

# المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة



تصدرها وزارة الثقافة والأعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - جمهورية العراق  
المجلد السابع والعشرون - العدد الأول - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

التراث والتاريخ

أما بعد:

إنَّ الأئمةَ من آلِ البيتِ والنَّسْلَ من آلِ البيتِ والرَّسالةَ من آلِ البيتِ والرَّسالةَ من آلِ البيتِ  
وإنَّ بنيَّنا من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ  
وإنَّ بنيَّنا من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ  
وإنَّ بنيَّنا من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ  
وإنَّ بنيَّنا من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ من آلِ البيتِ

الرَّسالةَ من آلِ البيتِ

الرَّسالةَ من آلِ البيتِ

٩٩/٩٩

# المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة - جمهورية العراق

المجلد السابع والعشرون - العدد الاول ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

رئيس التحرير  
الدكتور محمد عبد المطلب الربيعي

## ✽ في هذا العدد

لم تنل المرأة العربية في الدراسات التاريخية قسطاً كبيراً من العناية والاهتمام المطلوبين ، وما جاء من أخبار متفرقة في ثنايا التراث العربي ، لا يسهم في ايضاح تلك المكانة التي اخذتها المرأة العربية على صعيدي الحياة الفكرية والاجتماعية . وبذا سيكون ( ملف العدد : المرأة العربية : اسهام وتاريخ ) ، والذي سلطنا فيه الضوء على مكانة المرأة العربية المسلمة ودورها الحضاري جهداً متواضعاً بعد أن ترعرعت في كنف الاسلام آلاف النساء اللواتي نهلن من اصناف العلوم حتى نافسن الرجال .. وفرضن وجودهن على حياة عصرهن .

فضلاً على اسهامات المرأة الجهادية التي نشأت في قوم غلب عليهم رقة الحس ، وحذرة النفس . وخوض مناهل الدم دفاعاً عن قيم الحياة الجديدة ومبادئها ... لا فرق في ذلك بين مشرق الوطن العربي ومغربه .  
إننا نأمل في هذا الملف إمطة اللثام ، ليظهر أثر المرأة العربية المسلمة ناصعاً في واجهة تراثنا العربي والاسلامي .. فالحديث عن الدور التاريخي للمرأة بعد أن اخذت دورها العملي والعلمي ضمن الاطر الصحيحة لابد أن يتعكس على رفض النظرة التي تجعل من المرأة إنساناً هامشياً . الصفحات ٣٣ - ٩٦

## الهيئة الاستشارية

الاستاذ هلال تاجي  
الدكتور سامي حكي المياحي  
١ - د. محمود عبد الله الجادر  
١ - د. هادي عبد السلام الزبيدي  
الاستاذ اسامة البلعيني

مدير التحرير : د. هادي شوكيت يونس  
مكتبة التحرير : صافي كامل بركات

ملاحظات التحرير : د. هادي شوكيت يونس

الاعراف اللغوية والتصحيح : خالد الخزرجي / د. هادي شوكيت يونس

الاصميم والتنفيذ : ميسون حامد نهم

## معلومات المؤسسة

دار الشؤون الثقافية العامة - الاعظمية - ص ٥٠  
٢٠٢٢ - بغداد - جمهورية العراق

الاسعار:

(٢٠٠) دينار البلدان العربية ( ٥٠ ) دولاراً او ما يعادلها ، الدول الاجنبية ( ٧٥ ) دولاراً او ما يعادلها .

١- « المورد » مجلة تراثية علمية فصلية محكمة ، تهتم بنشر الدراسات والبحوث التي تهتم بترائنا العربي والاسلامي ، ودراسته بأسلوب موثق ، وبالنصوص المحققة تحقيقاً علمياً .

٢- ترحب « المورد » بمشاركة الكتاب المتخصصين ، والمحققين ، وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المتممة ، والنصوص المحققة ، وفقاً للقواعد التالية :

أ- أن يكون البحث أصيلاً مبتكراً ، ولم يسبق نشره .  
ب- أن يتبع البحث أو الدراسة الأصول العلمية المتعارف عليها ، وبخاصة في ما يتعلق بالتوثيق والمصادر ، مع إلحاق كشف المصادر والمراجع في نهاية البحث أو الدراسة ، وتزويدهما بالصور والخرائط ، والرسوم اللازمة حسب طبيعة البحث أو الدراسة .

ج- أن لا يزيد طول البحث أو الدراسة على ١٢,٠٠٠ ألف كلمة .

د- يراعى في نشر النصوص المحققة ، أصول التحقيق العلمي ، مع تقديم نسخة مصورة عن الصفحة الأولى والآخرى من المخطوطة ، مع نماذج من بعض صفحاتها ، وإن لا يكون النص المحقق قد نشر أو أرسل للنشر في مجلات أخرى .

هـ- لا ترد الأصول إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .

و- تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سري .

ز- البحوث والدراسات والنصوص المحققة التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات إليها ، تعاد إلى أصحابها لإجراء التعديلات أو الإضافات قبل نشرها .

٣- ترحب « المورد » بتغطية المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التي تهتم بالتراث وتحقيق النصوص داخل الوطن العربي وخارجه عبر تقارير ، يذكر فيها : مكان المؤتمر ، الندوة ، الحلقة الدراسية ، وزمانها ، وأبرز المشاركين ، مع رصد أهم ما جاء في الأوراق والتعقيبات والتصويبات .

٤- ترحب « المورد » بنشر مراجعات الكتب التراثية ، والنصوص المحققة على أن لا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين ، ويدون في أعلى الصفحة : عنوان الكتاب ، اسم مؤلفه ، محققه ، ومكان النشر وتاريخه ، وعدد الصفحات . وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد ، مع خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب .

٥- ترحب « المورد » بنشر أخبار التراث العربي والاسلامي ، وجهود الباحثين والمحققين والدارسين ، وتوثيقها خشية التكرار ، مع التعريف بأهم المخطوطات التي تنتظر همة المحققين والدارسين المعنيين بترائنا العربي والاسلامي .

٦- تقدم « المورد » مكافأة مالية عن البحوث والدراسات ، والنصوص المحققة التي تقبل للنشر ، وذلك وفقاً لقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة .

٧- يخضع ترتيب المواد المنشورة لاعتبارات فنية بحتة .

٨- ترسل البحوث والدراسات والنصوص المحققة ، وكل ما يرغب في نشره وفق القواعد التي ذكرت إلى : رئيس تحرير المورد - دار الشؤون الثقافية العامة

الاعظمية - ص.ب ٤٠٣٢ بغداد - جمهورية العراق



## وإذ برح الخفاء .. !

د. محمد البكاء

ما ان اشتد الجدل حول مدى العلاقة بين التراث والمعاصرة ، حتى خفت حدته ، وتلاشت اصداؤه ، إذ لم نعد نسمع ، كما كنا من قبل ، عن إنعقاد « ندوة » او مؤتمر « هنا او هناك يجعل من هذه القضية الحيوية محورا للدراسة او البحث ، حتى اصبحت المخالفة سمة بعض المعندين من مفكرين ومثقفين ، وتخل بمعضم الآخر غير آبه حتى بالقناعات التي اراد إبلاغها قبل وقت ليس بالبعيد .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، ذلك ان دور النشر ، تخافتت أنشطتها هي الاخرى ، بعد ان افترقت سبلها ، وغاب التخطيط ليمنا بيتها ، فانزوت حصة الجدل والنقاش عن أنشطتها ، ولم تعد تنهض - كما عهدناها الا بالنزول اليسير بعد ان حفلت السنوات التي خلت بحضور تعددية الطرح ، والمناقشة ، والإثراء . إن رصد العلاقة بين التراث والمعاصرة ، يظل ميدانا رحبا ، وحضورا فاعلا يشد لحمه النسيج الثقافي والمعرفي للامة ، ونحن نقرب من نهاية قرن جديد ، شهد الكثير من المتغيرات ، خاصة في عقده الاخير ، إذ لم يعد الغرب الاستعماري الذي اجتهد في ترويع صلفاته الثقافية والاعلامية الضخمة ، المرجع الثقافي في المنتج الثقافي العربي بعد ان أجهد لنا الامر واتضحت أكثر من ذي قبل ، نزعته المقيتة في الهيمنة والتسلط والاستحواذ - إذ « برح الخفاء ، وظهر المستور » في ظل اختلال التوازن الدولي - التي لم تشفع لها اجواء الياس ، والاحباط التي كان يسمى الى تكريسها في انتضاح غاياته الدينية ، ناهيك عن تجدد روح الجهاد ، وتجذر المنجز الحضاري والمادي والمعرفي الذي حققته الامة في عراقها المجاهد الصبور وهو يسمى بثقة واطمئنان ، بعد ان امتلك زمام امره الى ان تستكمل الامة بناء مشروعها القومي النهضوي الحضاري ، وان لا تكون حلقة متدرجتها خلف روح العصر ، لاهثة في المييش على فئاته .

إن إدامة صلة البحث بين التراث والمعاصرة ضمن الاطر الصحيحة ، وتكامل النظرة إزاء جوهر هذه القضية التي لا نختلف كثيرا فيها ، موضوع على قدر كبير من الاهمية ، لذا لابد ان يظل مستائرا بجدية الإهتمام ، والارجحية المتقدمة ، ونحن نواجه أعداء امتنا الذين اختلفت سحناتهم ، وتعددت مساربهم ، وجمعوا بين عقد التمسب العرقي ، والنزوع الاحادي في التفسير والتعبير ، والنظر اليينا كتكوين ثابت ، خاضع للوصف والتحليل والمعالجة ، ومن لم الاحتواء في عصر بدأت روحه تضغط علينا ببصائنها الواضحة ، وان تفاوت درجاتها .

إن الوقوف في مواجهة التحديات التي تداخلت أبعادها ، ولا سيما التحدي الاكبر الذي تمثل بالتألف بين القوى المضادة في منع الامة من مسابرة روح العصر ، والمدوان المستمر الذي يتعرض له العراق واقطار الامة العربية الاخرى للحيلولة دون تحقيق المنجز التنموي ، الحضاري ، وتجذره ، يقف في مقدمة سلم الاولويات التي يجب ان تحظى بالمثابرة لاقصاء الصورة المشوهة ، والمفلوطة التي جرى تمهيمها بقصدية واضحة : ذلك ان الغرب ما زال يرى في اهتمام الامة بالعلم والمعرفة ، هو اهتمام آلي ، يخلو من الابداع ، والعجز عن النمو والتطور خارج ميدان الأخذ ، والإعادة ، والتجريب ، وان لا سبيل لنا للخروج من رقة التخلف لاننا ننمو ، ونتنفس خارج محيطنا .. فالحثكك بالغرب هو الذي مهد لنا ان نبصر الدنيا من حولنا .. وان نخرج من وهدتنا !

وما دام الامر هكذا بصورته العدوانية الواضحة المعالم والابعاد ، فإن استنفار تراثنا ، بعد ان احتل مكانه اللائق والموضوعي في منهج ثورة ١٧ - ٣٠ تموز المجيدة . وتشخيص مديات العلاقة مع عصرنا بثقة واضحة ، بعد ان أجهزت - أم المعارك الخالدة - على مكان الخرق التي تسلسلت الى حياتنا المعاصرة ، والتعامل معها في ضوء أسس حيوية تمتلك الحضور ، ولغنى المفردات يمكن ان يصبح منبرا للائتلاف ، والاضافة ، والإثراء ، وصولا الى تكامل الرؤية في رصد اتجاهات العلاقة بين التراث والمعاصرة ، بعيدا عن التعميم ، ومن ثم توظيف تلك العلاقة بعد رسوخ حضورها ، وصولا الى التكاملية التي تسهم فيها كل الانشطة فالمسألة اكرم من ان تعد حكرا على نشاط دون آخر ، وهي : نقطة البدء في وعي الذات ، واليقظة الفكرية ، وبلورة سيفتها - بعد ان لعب الغرب دورا في تاطير الثقافة العربية - لتكون رديفا لكل متطلبات نهضة الامة وتقديمها .

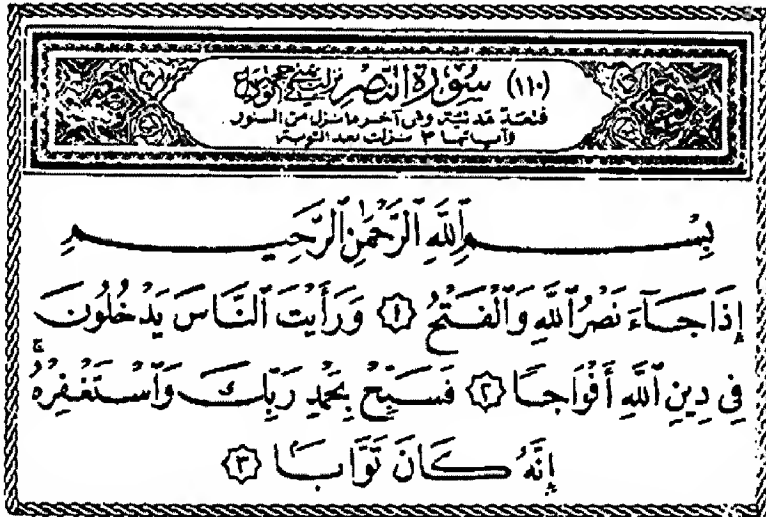


# يوم الفتح المبين

« فتح مكة »

عبد القادر التهامي

العميد الركن



وهذه الاطروحة في التاريخ العسكري تختص بالفتح المبين ، او الفتح الاعظم او الغزوة الحجون . والغرض منها بيان الإجراءات العسكرية المُتَّخَذَة منذ الأخذ بالانقلاب وسد طرق المدينة المنورة ، الداخلية والخارجية ، بالحرس والعيون والفسس لتعمية الاخبار عن قريش ، ثم الانطلاق بجند الله مسيراً من العقيق حتى دخول البيت العتيق بالنصر والفتح ، وقد أسميتها ( يوم الفتح المبين ) ايلاًناً وتبركاً بقوله تعالى « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً » . وابتغاء مرضاة الله عن هذا الطرح ورجاء رحمته الواسعة عند الإصابة ، والي أستغفره وأتوب اليه من الخطأ غير المُتَعَدِّدِ إِنَّ خَصْلِي فِي هَذِهِ الْاُطْرُوحَةِ .

الحمد لله رب العالمين ، ذي القوة المتين ، والقول اليقين \* ... وكان حقاً علينا نصر المؤمنين \* . والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وطلوبني لجند الكرم الميامين ،  
لما يَفْعَلُ :

فإن أيام الإسلام ( المعارك ) الحاسمة في القرآن هي يوم الفرقان ( معركة بدر ) ويوم التلي الجممان ( معركة أحد ) ويوم الأحزاب ( معركة الخندق ) ويوم الفتح المبين ( فتح مكة ) ويوم حنين ( معركة حنين ) .

وأن ما حصلت عليه من أبواب النقول مستمد من أربعة مصادر أصول ، هي : مفاتيح الوائدي والسيرة النبوية لابن هشام ومصمم ما استعجم للبكري ، والسيرة النبوية لأحمد زيني رحلان فلمؤلفيها الثناء الجميل ، أما بقية المراجع الحسنى الفعيلة في الحواشي ( الهوامش ) فلمؤلفيها الشكر الجزيل ، فلولاهم - الأوائل والأواخر - ما كانت هذه الدراسة لتصل الى عين الناظر بهذا الشكل القريب من المآل بتصوري الضارب في الخيال - على الرغم من تناقض الروايات وتباين الاقوال - والكمال لله وحده ، الكبير المتعالي .

صدر الكلام

صلح الحديبية ، المنعقد في السنة السادسة الهجرية ، بين المسلمين وحلفائهم من جهة وقريش وحلفائها من جهة أخرى ، كان أمده عشرين سنة . وفي بواكير هذه السنة ، مدة الصلح ، شرع الرسول ﷺ بتحسين العلاقات بين المسلمين وقريش بخاصة ، وسائر القبائل العربية عامة . ومن مبادراته بالاحتواء العموي والاقتصادي المطوف في هذه البواكير مبادرة إنقاذ قريش من مجاعة كانت تلم بها ، فقد أصاب مكة قحط فحط فشا أهلها الفاقة . وكانت قريش تشتري الحبوب من اليمامة الثرية بهذا المحصول . لكن لإسلام وليس القبيلة ( ثمامة بن أثال ) من بني حنيفة فقد امتنع عن بيع وتسويق الحبوب الى قريش فتضؤروا جوعاً حتى أرسلوا الى النبي ﷺ ليقنع ثمامة ببيعهم الحبوب وتسويقها اليهم ، فقبل النبي ﷺ الرؤوف الوساطة وأوعز بإجراء صفقات البيع ، فضلاً عن أن الرسول ﷺ أرسل خمس مئة دينار ذهباً وطلب أن توزع على فقراء مكة . فلما بلغ الخبر أبا سفيان قال : يريد محمد مخادعة السكان لا سيما الفتيان . واستمر الاحتواء النبيل ( فبعث الرسول ﷺ بكميات من التمور الى مكة تسلم الى أبي سفيان مقايضة بالأمم ( الجلود المدهوغة ) وكانت كاسنة باثرة آنذاك لانشغال الناس أيام القحط بالغذاء فقط ، ولا شيء يسد الحاجة مثل الحبوب والتمور طعام عامة الناس . حاول أبو سفيان رفض الصفقة غير أن الجياح اضطروه الى الانصياع . وكتم أحسن الناس بالسماحة عندما علموا أن التمر الذي ياكلون أرسله محمد ﷺ والمسلمون<sup>(١)</sup> ) كما أتاحت سنوات صلح الحديبية للمسلمين أن ينطلقوا بتقديم سوقي من مركز الدولة الإسلامية ( المدينة المنورة ) كافة المسلمين وقاعدتهم الأمينة الى جميع الجهات المحيطة لتأمين المناطق المجاورة والمتاخمة بن مداونة ومسالمة ، مقاتلين الكفار المتطهرسين ببلغة مأمور بها فيما بعد .

قال تعالى • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَئِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً<sup>(٢)</sup> . • علماً أن حال السلم كانت هي المقصد

الاسلي . اما حال الحرب فكانت الاستثناء لقوله تعالى • فَإِنْ أَنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ<sup>(٣)</sup> . وقوله عز من قائل • وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ<sup>(٤)</sup> . • وقد أضافوا على المسلمين بصلح اليهود والتحالف الودود ورغبتهم بدخول دين الواحد المعبود . وهكذا انداح نور الإسلام على هذا النظام يفتح العقول على الحق قبل فتح العقول . وإثان عقد الصلح وتأسف المسلمين على رجوعهم من الحديبية دون غمرة فورية أدزل الله تعالى قوله • لَقَدْ صَنَّفَ اللَّهُ رَسُولَهُ الزُّبْيَا بِالْحَقِّ لَتَحُلُلَ الْمُضْجَدُ الْخَرَامُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنَيْنِ مُخْلَقَيْنِ رُؤُوسُهُمْ وَمَقْصُورِينَ لَا تَخَافُونَ قُفْلَهُ مَا لَمْ تَمْلُؤُوا فُجْغَلَ مِنْ بَيْنِ بَيْنِ نَكْ فَتَحَا قَرِيْبًا<sup>(٥)</sup> • أي أن الله جل جلاله علم ما في صلح الحديبية من الخير والاصلاح ما لم تعلموا به أنتم في حينه فجعل بون دخولكم مكة هذا العام فتحاً قريباً . وكان هذا بشارية يفتح خير وتجنب الخطر اليهودي في المنطقة والاندحاح والتوسع حول المدينة المنورة لمسافات بعيدة ، ومن ثم فتح مكة المكرمة الفتح المبين .

#### نقض العهد والمعيثاق :

كانت الحرب قائمة في الجاهلية بين خزاعة وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة حتى اقتتلتا عند انصاب الحرم . فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده . وبخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم . ( واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان مضى اثنان وعشرون شهراً من صلح الحديبية إعنتت عندها بنو بكر على خزاعة بهجوم مباغت بعد أن أعانتهم قريش بالسلاح والكراع ( الفلاة ) والرجال ونشوا ذلك سرا فلما تحذر خزاعة ، وجعلوا ميعادهم عند ماء بارض خزاعة يدعى الوثير ، ووافقوا للميعاد وفهم من رجالات قريش المتنكرين المتتبعين صفوان بن أمية ومركز بن حفص وحويطب بن عبد العزى وأجلبوا معهم أرقاعهم<sup>(١)</sup> ) .

وكان رأس بني بكر نوفل بن معاوية الضفائي الضولي ، فقبضوا خزاعة ليلاً وهم آمنون من عدوهم ولم يكونوا على حذر ولا غنة ، ولم يزالوا يقتلهم حتى انتهوا بهم الى الحرم في مذبة فؤارة النـم . ( ولما انتهى أمر هذه المذبة الى أبي سفيان قال : هذا والله أمر لم اشهده ولم أعجب عنه ، لا خيل هذا إلا غفـي . ولا والله ما شورت فيه ولا فؤيت حيث بلغني ، والله ليهزونا محمد إن صدق ظني ، وهو صادق ، وما لي بـد أن آتي محمداً فأكلمه أن يزيد في الهدنة ويجدد عهد الحديبية قبل أن يئلفه هذا الامر . فقالت قريش : قد والله أصيب الرأي ! . ونمضت قريش على ما صنعت من عون بني بكر على خزاعة وعرفوا أن رسول الله ﷺ لن يدعهم حتى يفرؤفهم . فخرج أبو سفيان من مكة المكرمة الى المدينة المنورة

لمعه في سعيه أن يفعل شيئاً في مصلحة قريش بايقاف الغزو أو تأجيله<sup>(١٨)</sup> .

#### الإستتصار :

رأت خزاعة أن توفد عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين راكباً من خزاعة ، وقيل خرج بُذَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة أيضاً ، يستنصرون رسول الله ﷺ ويخبرونه بما اصابهم ويعدد قتلهم وما ظهرت عليه قريش وما أعانت به من مستلزمات القتال ، فلما قتل رأس خزاعة عمرو بن سالم بين يدي الرسول ﷺ إستأذنه أن ينشد قصيدة أمامه وهو في المسجد ، (فأذن له الرسول ﷺ واستمع منه قوله<sup>(١٩)</sup>) :

يا ربّ إني ناشئ محمداً  
حلف أبينا وأبيه الاتلدا  
قد كنتم ولداً وكننا والدا  
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا  
فأنصر هداك الله نصراً أعتدا  
وأثغ عباداً الله يأتوا فعدداً  
فيهم رسول الله قد تجردا  
إن سيم خسفاً، وجهه تزودا  
في فيلبي كالبجر يجري مُزودا  
إن قريشاً أخلفوك الموعدا  
ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وجعلوا لي في كدام رُعدا  
ووعموا أن لست ادعوا أحدا  
وهم أنل وأقل عندا  
هم بيتونا في الوثير مُجدا  
وقتلونا، زكماً وشجداً

( فقال رسول الله ﷺ : نُصِرْتُ يا عمرو بن سالم<sup>(٢٠)</sup> )  
( ولما فرغ الركب من عرض سائر الحال وبيان الموقف والمآل ، والتماسهم زرع من نقض العهد وبدأ القتال ، قال رسول الله ﷺ متسائلاً :  
فَمَنْ تُهَنِّئُكُمْ وَظَنُّكُمْ ؟  
قالوا : بنو بكر .  
قال : كلها ؟  
قالوا : لا ، ولكن تهنئنا بنو نفاثة قصرة ( فقط ) . ورأس القوم نوفل بن معاوية الضفائي .

قال : هذا بطن من بني بكر .

ثم قال ﷺ : وانا باعث الى أهل مكة فسانلهم عن هذا الامر ومخيرهم في خصال ، ولا تُجبرُ إن لم أنصر بني كعب<sup>(٢١)</sup> ) .

#### المفاوضات :

بعث رسول الله ﷺ ضمرة بن سعيد الى قريش ليخبرهم بين احدى ثلاث خصال بين أن يدفعوا دية قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتلاً ، أو يبرأوا من حلف نفاثة ناقضي العهد ، أو يذب إليهم على سوله . ( إلقاء العهد علناً ) فخلصت قريش دجياً وردت بتحيينها الخصلة الثالثة وهي اللبذ على سواء . فرجع ضمرة مبموث الرسول ﷺ الى المدينة المنورة بأجابة قريش المتضمنة لإلغاء العهد . غير أن قريشاً ندمت على ما فرطت من زُد ضمرة بن سعيد بزٍ غير سديد وطفقت تناور وتماطل عسى أن تجد خلأ في مصلحتها حتى قرأها على أن تبعث أبا سفيان بن حرب تسال رسول الله ﷺ أن يجدد العهد ويؤيد في المدة . وهذا ما تواقه رسول الله ﷺ حيث قال لأصحابه : لكانكم بابي سفيان قد جاء يقول : « جدد العهد وزد بالهدنة » وهو راجع بسخطه . فقدم أبو سفيان المدينة قاصداً النبي ﷺ فدخل عليه فقال : إني كنت غائباً عن صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة .

قال رسول الله ﷺ : هل كان قبلكم خذت ؟

قال أبو سفيان : معاذ الله .

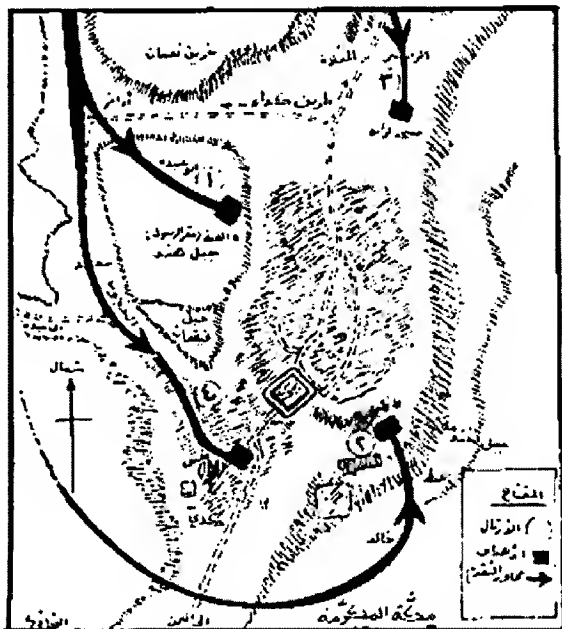
قال رسول الله ﷺ : فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نُفْخِر ولا نُبْذِل . ( فمكث أبو سفيان في المدينة أياماً يريد خلأ وظالت غيبته ، ثم ركب راحلته وانطلق راجعاً الى مكة . فلما وصلها قالت له قريش : ما وراءك ، هل جئتنا بكتاب من محمد ؟ وزيادة في مدة ؟ فما نأمن أن يفرزونا . فقال أبو سفيان : والله لقد أبين غلبي ، ولقد كلمت عليه أصحابه فما قدرت على شيء منهم<sup>(٢٢)</sup> )

#### وصف الأرض :

يحتاج الباحث في التاريخ العسكري من أجل ترصين موضوع بحثه الى ثلاثية مُتراسة 'الحلقات' ، الحلقة الاولى مجالها العلم العسكري وفن الحرب ومتغيراتها ، والحلقة الثانية المعلومات الجغرافية الخاصة بالظواهر الطبيعية لسطح الارض باشكاله وانواعه وإبعاده الثلاثة . الطول والعرض والارتفاع . والحلقة الثالثة حلقة الزمن بمفهومه ومعناه وتأثيره في الحوادث . والوقت وعلاقته بالإنجازات وبالمسافات ، فالمسافة لا تقاس



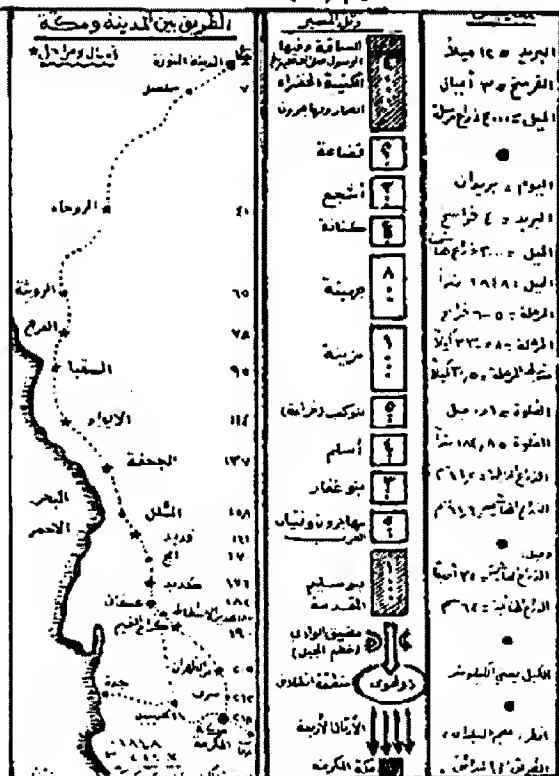
أما مكة المكرمة فتقع في وادي إبراهيم ، ( وهي محاطة بمرتفعات داكنة وعرة مسيطرة على حوض الوادي ، يبلغ ارتفاعها ما يزيد عن ألف قدم فوق مستوى الأرض المحيطة بها ، وبين هذه المرتفعات أربعة محاور يسلكها القادمون إلى مكة والمغادرون . وبورها تحيط بالحرم الشريف فتشكل مركز البلدة وتتسع أطرافها لتشمل بطحاء الوادي وسفوح المرتفعات وقد بُنيت من الطين<sup>(١٧)</sup> ) ( انظر المخطط رقم ٢ ) .



مخطوط رقم ( ٢ ) الطبع المبين

أما كداء فجبل بأعلى مكة وهو غزفة بمينها . والطريق من عرفة الى أذاخر يدعى طريق كداء . دخل الرسول ﷺ يوم الفتح من نهايته الغربية جهة أذاخر . ونزل الزبير الى بدايته ، وهي العقبة

محمد وقبر ( ١ ) المدينة المنورة



الفسرى . فخصباً من ذي طوى إليها من الجهة الشمالية الغربية عند مقبرة الغفلة أو الغفلن أو المنعطف ( الحجون الشمالي ) . وأما كُذْي ( بضم الكاف وتلوين الدال ) فجنوب غرب مكة عند جبل قميّمان عند المنعطف ( الحجون الجنوبي ) - وكل عطفة وثنية فهي حجون ولهذا يضرطرون . - وأما كُذْي ( بالتصغير ، ضم ففتح فتشديد ) فاسفل مكة لمن خرج منها إلى اليمن . ومن مستكرمات الغزوة الحجون ، ( وهي الغزوة التي تظهور غيرها ثم تُخالف إلى غير ذلك الموضع ويُقصد إليها ، وهي البميّة<sup>(١١٠)</sup> ) والطويلة المدى الواسعة النطاق ، أن يُشار إلى الطريق التي سلكها النبيّ الإسلامي في أثناء تنقله ومسيره المرقى . لقد تفاوتت تقديرات الجغرافيين والرواة القدامى في تحديد المسافات بين المدن والقرى وأم القرى ومعالم الطريق الأخرى وعند المراحل بينها ، فضلاً عن أنهم يقيسون المسافات تارة بالأميال وتارة بالأيام والليالي ، وربما قسبوها بالمراحل والمنازل ، وأحياناً بالزُبد ( جمع يرد ) أو بالفراسخ وهكذا بواليك . والميل عند اللغويين يعادل قد البصر في البادية ويرى آخرون أن الميل يعادل أربع مئة ذراع مُرْسلة . ومنهم من يقيس بالذراع الشرعية ومنهم من يقيس بالذراع الهاشمية وربما قاسوا بذراع الملك أو ذراع المساحة . ومن أجل الوصول إلى قياس مقبول لتحديد المسافات بين معالم الطريق جرى الاعتماد أساساً على ( ياقوت الحموي والبكري واحمد كمال<sup>(١١١)</sup> ) . والرجوع إلى كتب السيرة النبوية أحياناً لسد الفراغ وإحكام النهايات والمفاصل السالبة . ( انظر المخطط رقم ٣ ) . تبدأ الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة قُصداً ( مباشرة ) من العقيق وتنتهي في البيت المتيق . طولها نحو أربع مئة كيلو . فإذا فُضِّلَت القافلة من العقيق وتمقيناها بقدر العلاقة معالماً ومسافات ذات أميال تراتبية كما في المصادر لوجدناها ( تحط الرحال بعد سبعة أميال في ضُلُسل فالروحاء ( ٤١ ) فالروبية ( ٦٥ ) فالفُرج ( ٧٨ ) فالشُقيّا ( ٩٥ ) فالأبواء ( ١١٤ ) فالجحفة ( ١٣٧ ) فالمشلل ( ١٥٨ ) فقيّيد ( ١٦١ ) فالماج ( ١٧٠ ) فتقيد ( ١٧٦ ) ففسفان ( ١٨٢ ) فغدير الأشطاط ( ١٨٥ ) فكَرَاع المميم ( ١٩٠ ) ففُز الظهران ( ٢٠٥ ) ولَبِها خطم الجبل والاراك فمفرق شرف ( ٢١٢ ) فذي طوى على مشارف مكة ، لمكة المكرمة ( ٢١٨ )<sup>(١١٢)</sup> ) ميلاً تراتبياً ويمائل ( ١٨٤٨ متراً ) إنن

يهرب من الجميع. وسرياً أصبح هذه هي غير الطريق التي سلكها الهنريون إلى موقعة بدر، ( فطريق بدر تتحرف عن هذه الطريق الموصوفة ثم تعود إليها وتزيد عليها زهاء مئة كيلو. وبما أن الطريق البديرة طولها ( ٤٩٦ ) كيلو<sup>(١٧)</sup> ) فطريق الفتح نحو ( ٤٠٠ ) كيلو وكفى. وتقطع المسافة بين المدينة المنورة ومكة المكرمة بوسائل التنقل آنذاك بأحد عشر يوماً أو باثني عشر يوماً، ويقطعها أبو السَّيِّد الحنثيث المستعجل بتصف هذه المسلة ( وقد قطعها فتیان خزاعة بأربعة أيام عندما قدموا المدينة لأخبار الرسول ﷺ بتجمع قريش والأحزاب لمحاربت يوم الاحزاب<sup>(١٨)</sup> ) .

## الاستحضارات :

لما ولّى أبو سفيان راجعاً بخيخته إلى مكة ( قال النبي ﷺ  
لعاثشة : « جُزِينَا وَخُطِينَا أَمْكُنَا » . والمراد بالتجهيز تجهيز  
الزاد أصلاً وكان آنذاك قمحاً سويقاً وديقاً وتمراً غالباً . و دعا  
النبي ﷺ رثه قائلاً : اللهم خذ الصمون والأخبار عن قريش حتى  
تدفعها قى بلادها ( ١١١ ) ) أو كما قال : ودخل أبو بكر الصديق دار

الرسول ﷺ فوجد عائشة تجهز الزاد فسأله عن السبب فقالت لا أدري ، وعندما دخل الرسول ﷺ الدار فقال أبو بكر : أفأنتجهز ؟ أفأنتزلت سقراً يا رسول الله ؟ قال الرسول ﷺ : نعم . قال أبو بكر : وأين تريد يا رسول الله ؟ قال النبي ﷺ : قريشاً . وأخف ذلك يا أبا بكر . إنهم غفروا ونقضوا العهد فانا غايزهم .

( وأخذ الرسول ﷺ بالانقاپ وأوكل بالطواف عليها عمر بن الخطاب وتوجيه الحرس والمعيون والممسس وتوصية المراقبين والارصاد بما يجب عليهم فعله ومواقبته ، أي وقف على كل طريق جماعة ( نقاط سيطرة وتفتيش ) ليعرف من يمر بها ، وشدد عليهم ألا يدعوا أحداً يمر بهم يكرهه إلا زوجه وبخاصة من سلك الى مكة فيتحفظ به ويُسأل عنه(١٢٠) . )

وعمد رسول الله ﷺ الى تضليل قريش والتمويه عليها وخدعها بتحويل أنظارها وأنظار عيونها ( جواسيسها ) عما ينتظرها من غزوة حجون لبيت ثلاث سرايا باتجاهات غير جهة مكة ( كانت السرية الاولى التي بعثها الرسول ﷺ هي سرية الخطيب ابي عبيدة بن الجراح وتعدادها ثلاث مئة مقاتل من المهاجرين والانصار وفيهم عمر بن الخطاب ، وذلك في رجب سنة ثمان هجرية بعد نكت قريش العهد(١٢١) ( ووجهها الى حي من جهينة في القبيلة مما يلي الساحل ( سيف البحر ) والمسافة بينها وبين المدينة خمس ليال ، ومكثت ثلاثة أشهر في جهد جهيد(١٢٢) . ) وكانت السرية الثانية سرية خبزة ، وخبزة ناحية بلجد على سبعة فراسخ من بستان ابن عامر ، بقيادة ابي قتادة بن ريمي الانصاري وتعدادها خمسة عشر رجلاً للإغارة على غطفان بارض محارب وذلك في شعبان سنة ثمان هجرية فغابت خمسة عشر يوماً وعانت سالمة غائمة(١٢٣) )

( وكانت السرية الثالثة سرية إضم بقيادة ابي قتادة ايضاً وتعدادها ثمانية أنفار وذلك في اوائل شهر رمضان سنة ثمان هجرية قبل الغزوة الحجون بأيام قلائل وجهها الرسول ﷺ الى بطن إضم على مسافة ثلاثة بؤر من المدينة ، أي اثنا عشر فرسخاً ، وكان بعض ما يرجى منها ليُفَرَّقَ هناك أن رسول الله ﷺ توجه الى تلك الناحية ، ولأن تذهب الاخبار الشطلة الى قريش فلا تستمد للمواجهة الفعلية المقتدرة ليدخل عليهم الفيلق الاسلامي على حين غفلة ومن شأن هذه السرية انها وصلت في عودتها الى ( ذي خشب ) على ليلة عن المدينة فبلغها ان رسول الله ﷺ قد توجه نحو مكة فدخلوا ناحية الطريق حتى لحقوا به في ( الشقيا ) (١٢٤) )

وكثرت الظنون ، والظن لا يفي من الحق شيئاً ، عندما اشتد الرسول ﷺ أهل البادية ومن حوله من المسلمين للتجمع في المدينة . فكان يظن أن الرسول ﷺ يريد الشام ، وتأن يظن أنه

يريد تقيفاً ، وثالث يظن انه يريد هوازن ، ورابع أهل نجد . وسأصرف وجه الحديث الى امر نكر حدث في وقت الانشغال بالاستحضارات وذلك أن احد البهريين ، ( وهو حاطب بن ابي بلتمة ثيقت بفراسته ان النبي ﷺ سيفزو قريشاً ، فكتب كتاباً وارسله الى اهل مكة يخبرهم بمسير الرسول ﷺ اليهم(١٢٥) ) وارسله مع امرأة وأوصاه أن تتجنب طريق الخروج من المدينة الى مكة فان عليها حراساً . فخرجت المرأة متلصصة تريد مكة . فاطلع الله نبيه على ذلك ( فيمت علياً والزبير او المقداد(١٢٦) ) في أثرها فادركوها بالخليفة وأجبروها على تسليم الكتاب اليهم فاستلمت مرغمة ودفعت الكتاب اليهم ليعوموا به الى الرسول ﷺ فتعلم الرسول ﷺ الكتاب وكان مما جاء فيه : ( من حاطب بن ابي بلتمة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن أمية . اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله . وأنجز له وعده ، فانظروا لانفسكم والسلام . وفي رواية اخرى أن لفظه ينص على ان رسول الله ﷺ أنذّر في الناس بالفرار ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم نية(١٢٧) )

( فدعا رسول الله ﷺ حاطباً ، فقال : يا حاطب . ما حَقَّكَ على هذا ؟ فقال : يا رسول الله أما والله أني لمؤمن بالله ورسوله ، ما لحيت ولا بئلت ، ولكني كنت أقرأ لبيس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أولاد وأهل ، فصالمتهم عليهم ففعل ما عنه النبي ﷺ قائلاً : ... لمأل الله قد أطلع الى أصحاب بدر يوم بدر فقال : إعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم(١٢٨) ) فانزل الله تعالى في حاطب : يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا غزوي وغزؤكم اولياء تَكُونُ لَكُمْ بِالْقَوْلِ ... (١٢٩)

#### الظفرة والحشد :

غُوِّدَ الى تدابير الرسول ﷺ الأخرى شيء لإكراه للإطلاح على ما قرره من القيام بحركة جهادية ممعة الإتجاه المقصود وسرقة الهدف المنشود . لقد كان قراره محاربة أهل مكة في دارهم . اليوم لغزورهم ولا يفرقوا ولا يتنصروا لغزاة ، فإرسل الى أهل البادية والى من حوله من المسلمين يستنقروهم ويقول لهم بمهموته على لسانه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليخسر رمضان في المدينة » . فقدم المدينة على رسول الله ﷺ قبائل أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأصحح وبعض بني كعب ، والتحق آخرون إبان التقتل على الطريق ، منهم شُلَيْم ، ويؤد أسد وبقيّة بني كعب ، وسائر غفار حتى اكتمل الحشد في قديد . فصار تعداد جيش الفتح والغزوة الحجون عشرة آلاف يمزجون على الانصار والمهاجرين والقبائل العربية المذكورة غالبيتها أنفاً . وقوامه

التفصيلي يتكون من سبع مئة من المهاجرين ومعهم من الخيل ثلاث مئة فرس . ومن أربعة آلاف من الأنصار ومعهم من الخيل خمس مئة فرس . وكانت مئة ألفاً واحداً وفيها من الخيل مئة فرس وفرسانها مئة درع ( وكانت أسلم أربع مئة وفيها ثلاثون فرساً . وكانت جُهينة ثمان مئة ومعها من الخيل خمسون فرساً . وكانت بنو كعب بن عمرو خمس مئة<sup>(١٢١)</sup> ) ( وكانت سليم نحو ألف مقاتل<sup>(١٢٢)</sup> ) وفي سائر القبائل غنْدٌ وإسلام . وهذا هو الفيلق الإسلامي الأول الذي ذكره عمرو بن سالم في شعره بحضرة النبي ﷺ كما أسلفنا :

فيهم رُسُولُ الله شَدَّ شُجْرًا  
في فيلقٍ كالبحرِ يُجْري شُرْبًا

إن هذا العدد الضخم يدل على تعاضد قوة المسلمين في مدة مسيرة جداً محددة بين صلح الحديبية . ( وكانت ألفاً وأربع مئة مقاتل ، والتقدم لفتح مكة وقد بلغ الفيلق عشرة آلاف خلال سنتين . وفي رواية بلغ اثني عشر ألف مقاتل<sup>(١٢٣)</sup> )

مسير الاقتراب :

( نَفَرَ رَسُولُ الله ﷺ بفيلق الإسلام المتحشد في ساحة بلز أبي عبيدة على ميل واحد من المدينة المنورة بعد عصر يوم الأربعاء لمشر ليال خلون من رمضان سنة ثمان هجرية الموافق لليوم الاول من كانون الثاني سنة ثلاثين وست مئة ميلادية بعد أن استخلف أبا رهم ككتوم بن حصين الغفاري فيها ، وبعد أن أوعز إلى مناديه ينادي : من أحب أن يصوم فَلْيَصُمْ ومن أحب أن يُفِيْظَ فَلْيُفِظْ . وصام رسول الله ﷺ وصام المسلمون أشتوة به وتلك الرخصة بالفطر جاءت من أجل أن يَتَّقُوا على مقاتلة العدو . حيث قال لهم الرسول ﷺ : إنكم قد دنوتم من عدوكم والقطر أقوى لكم<sup>(١٢٤)</sup> )

لم يَتَوَّأ الفيلق في مسيره ولكنه من أجل التكامل وإزالة المعوقات قطع مرحلة ابتدائية قصيرة مسافتها سبعة أميال عن المدينة انتهت عند ضَلْعٍ لَحْلٍ فيها ( إِتَّخَعَهَا مَوْقِ لَيْلِي ) ، ثم مُضِلَّ المسلمون منها فجراً يقتادون خيولهم ويمتلطون الإبل ( يعني أنهم يعمدون عن العدو نسبياً ) ومع هذا فقد ( احتاط الرسول ﷺ للأمر فأفرز طليعة أمامه في مئتين من المسلمين بقيادة الزبير بن العوام<sup>(١٢٥)</sup> ) .

ولما ترك الرسول ﷺ الفَرَجَ أفرز جريدة من خيل ( طليعة ) للاستطلاع وترصد عيون الأعداء ، ولستقل من هذا أن الطلائع تستبدل في المراحل لتجديد نشاطها ، ( فلما كانت هذه الطليعة بين الفرج والطُلوِبِ أمسكت عينا ( جاسوساً ) لهوازن فاقتادته

الى رسول الله ﷺ فاعترف بمهمته وأبلى بآن هوازن تتحشد بكل طاقاتها لمواجهة المسلمين لو قصدوها ، وقد أرسلته عيناً ليعقب المسيرة حتى إذا غيَّر المسلمون إتجاههم غيَّر مسلك بطن شرف فلا شك أنهم يقصدون هوازن . فواجهه الاسراع بانذار قومه<sup>(١٢٦)</sup> ) لقد كان مسير الاقتراب هذا شَوْقِيّاً لَشَوْقِ الغاية وضخامة غند الجند وبعد الشَّقَّةِ فقد قطع فيه جند الله أربع مئة كيل أو زد عليها قلباً من منطقة التحشد الخلفية ( بنز أبي عبيدة ) الى منطقة التحشد الامامية ( مَرَّ الظُّهْرَانِ ) فمكة المكرمة ( بدلالة عمر بن الخطاب الوازع ) مُنْظَمَ السير ( الرادع الذي غيَّته الرسول ﷺ لخبط النظام . وقد سلك بالفيلق دروباً غير مطروقة أحياناً ، وأبلى القطعات عن إصدار الاصوات العالية . وعن قرع الطبول وآلات الحث على الاسراع للأل يلمتوت الانتباه إليهم<sup>(١٢٧)</sup> ) ( ومن توجيهات الرسول ﷺ للقطعات المتقدمة لتولي المباحثة جُلَّ اهتمامها قوله : ( لا تُصَحِّبِ الملائكة رِفْقَةً فيها كَلْبٌ أو خَرْشٌ ، والخَرْشُ بَرْمَازُ الشَّيْطَانِ<sup>(١٢٨)</sup> ) ( والرَّمْثُ بُعْلَةٌ حاطب وترصد عين هوازن وما على الفرار المؤمنين بكتمان الاشاعات وفوضى الأخبار والحد من النجوى التي تثيرها الرفقة في الاسفار وتضيق مساحة الانتقال التَّقَوُّلاتِ إن صَدَقَا وإن كُذِّبَا ورثها حال سماعها الى نوي الاختصاص وخبراء الإستنباط الذين يجيدون التحجيس ويفرزون النطيس عن الرخيصي ويرشدون الى كيفية التعامل معها لينهب الزيد جلاء ويمكث ما يذلع الغزوة في تحقيق غرضها . قال غزوان قاتل • وإذا جاءكم أمر من الأبي أو الخوف أذاعوا به وَلَوْ زُوِّدَ الى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمرِ يَحْتَمُّ لَفَيْتُهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ<sup>(١٢٩)</sup> •

( وأبقى الرسول ﷺ غاية الغزوة وغرضها خافيين على الجميع إلا قلة مسبوكة أصلاً ( قادة وهوية ركن ) بمدد أصابع المؤمنين<sup>(١٣٠)</sup> )

حاول كعب بن مالك ، وهو من هو إيماناً ورياسة ووجاهة في قومه ، أن يطمعه الرسول ﷺ على القصد من هذا المسير فأندش أمامه في العرج لصيدة فيها من الرجاء والاستفهام ما ينبىء عن تطلعه الى معرفة الهدف المنشود فقال في بعضها :

فَضِيلاً مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ زَيْبٍ  
وَحَيْثُ ، ثُمَّ أَخْفَقْنَا الشَّيْوَفا  
نَسَائِلُهَا ، وَلَمْ نَعْلَمْثْ لِقَالَتْ  
فَوَاطِلُهَا : نَوْسًا أو تَعْدِيًا

فتبسم الرسول ﷺ ، ولم يزد على ذلك فجعل الناس يقولون له : والله ما يَنْبُئُ الرسول ﷺ لك شيئاً ، ما تدري بيداً بقريش او تكليف او هوازن . وهذا غيبيته بن حصن يدرك الرسول ﷺ في العرج

أيضاً فيقول : يا رسول الله ، بلغني خروجك ولم أشعر به فاقبلت سريعاً ... ولست أرى هيئة حرب ولا أرى ألوية أو رايات ! أنا لعمرة تريد ؟ فلا أرى هيئة الإحرام فاين وجهك يا رسول الله ؟ قال النبي ﷺ : حيث يشاء الله .

( ووافى الأقرع بن حابس في عشرة من قومه رسول الله ﷺ في الشقيا فسار هو وعيينة مع الرسول ﷺ فلما نزل فديد وعقد الألوية سأل عيينة أبا بكر : أين يريد محمد يا أبا بكر ؟ قال الصديق أبو بكر : حيث يشاء الله<sup>(١١٠)</sup> ) ومن التحق بالرسول ﷺ وهو على الطريق وفي مزاحله ، العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أمية بن المغيرة فأسلموا .

ولما وصل جند الله الى قُذَيْد ، وهو موضع بين الجُحْفَةِ وعُسفان وهو أقرب الى مكة المكرمة منه الى المدينة المنورة ، ( عقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات لمنسوبي الفيلق الإسلامي وسَلَّمَهَا لِحَمَلَتِهَا<sup>(١١١)</sup> ) أي اتَّخَذَ أسلوب التقدم الآمين محتاطاً أخذاً حذره لاقتربه من أرض العدو واحتمال لقائه . وسار الفيلق الإسلامي من قديد بترتيب حسن إذ تقدمت سليم رتل المسير في أول تسلسلاته وأوكل إليها أمر المقدمة المنججة بالسلاح بعد أن كانت بقيادة خالد بن الوليد وربما كانت بقيادة غيره من قبل كما أسلفنا حول استبدال الطلائع إلا أن المصابر لم تسعف

بتفاسيلها . ( واستمر التقدم في أمان وبسريرة وكتمان حتى نزل الفيلق بِمَرْ الظهران<sup>(١١٢)</sup> ) ( منطقة تحشد أمامية ) على بعد خمسة وعشرين كيلاً تقريباً من مكة . واكتمل التحشد عشاء بعد أن بقل الوازع ورئيس الحرس عمر بن الخطاب جهداً كبيراً في تدبير امورهم وترتيب تسلسلاتهم . ولم يبلغ قريشاً خبراً واحداً عن مسير الفيلق الإسلامي اليهم . وعندما حل الظلام ونصبت الخيام شمع للمسلمين ولأول مرة منذ بدء الحركة بالشمال النيران وتكثيرها ( فاوقدت عشرة آلاف شعلة نار<sup>(١١٣)</sup> ) أحالت الليل نهراً وهزلت الموقف على قريش ورؤسائها فانحطت معنوياتهم وصار أمرهم فُطْطاً ولم يتخلوا عن كبرياتهم ( فاجتمعوا على إيقاد أبي سفيان صخر بن حرب يتحسس الأخبار من مضايرها الأصلية وقالوا له : إن لغيت مُخْجَداً فحقننا منه جواراً إلا إن ترى رقعة من أصحابه فأزنته بالحرب ، فخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام ويثمل ابن ورقاء يستنبطون الحدث ويستطلعون مبلغ الخطر ويتنسمون جليلة الخبر ، فلما وصلوا الأراك من مَرْ الظهران رأوا في ضوء النيران جند الرحمن بالسيف وأسنة القرآن وسمعوا صهيل الخيل وريغاء الإبل يخترق الأذان فافزعهم ذلك فزعاً شديداً<sup>(١١٤)</sup> ) إن السياق يقتضي ربط قضية حاطب بن أبي بلتعة بقضية العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ بغية العقارنة بين

الغفلتين . فالأول - مع إيمانه - كتب الى قريش بقوة المسلمين التي لا يقبل لهم بها كما سبق . وهذا العباس - مع إيمانه - يروي لنا موقفه ورقة نفسه لانقاذ قريش من سيف جند الله فيقول ( رقت نفسي لأهل مكة ، والله لئن دخلها رسول الله ﷺ عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش الى آخر الدهر ، فجلست على بغلة رسول الله البيضاء في الليلة الفُتارة حتى جئت الأراك لفني أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو حاجة ، يأتي مكة ويخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة<sup>(١١٥)</sup> ) ( فسمعت كلام أبي سفيان ويثمل بن ورقاء وهما يتراجمان ، فمررت أبا سفيان من صوت فقلت : يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ فقلت : نعم يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في عشرة ألف مسلم لا يقبل لكم بهم ، واصباح قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ قلت : آتي بك الى رسول الله ﷺ فاستأمنه لك . فركب خلفي فعرفه الحرس فاخبروا عمر به فقال عمر : ابو سفيان ، غدر الله ! الحمد لله الذي قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد واشتد الى رسول الله ﷺ ليوافق على ضرب عنقه ، فسبقته اليه وقلت : يا رسول الله ، إنني قد أجزئته . فقال النبي ﷺ للعباس : انهب به الليلة الى رحلك ... ثم أسلم أبو سفيان وشهد شهادة الحق وقصة إسلامه مشهورة<sup>(١١٦)</sup> ) ( وقبَّله بشؤمٍ أشلم أصحابه حكيم بن حزام ويثمل بن ورقاء . وفي رواية ان حكيم بن حزام قال مخاطباً الرسول الكريم ﷺ : يا رسول الله جئت بأوباش الناس ( أي اخلاطهم ) مَنْ يَفْرُطُ وَمَنْ لَا يَفْرُطُ الى اهلك وعشيرتك ... قد كنت يا رسول الله حقيقاً أن تجعل عُذَّتكَ وكينك لهوازن فانهم أبعد رحماً وأشد لك عداوة . قال رسول الله ﷺ ، إني لأرجو من رأيي أن يجمع ذلك كله لي ، ففتح مكة وإعزاز الإسلام فيها ( اسبقية أولى ) وهزيمة هوازن وأن يُفْلَمَنِي الله أموالهم ونزاربهم ، قالني وراغب الى الله تعالى في ذلك<sup>(١١٧)</sup> )

( وفي رواية أخرى أن المقولة تلك كانت لأبي سفيان<sup>(١١٨)</sup> ) وهذا القول يؤيد الفكرة القائلة بأن الاخبار بصورة عامة كانت قد وصلت قريش وهوازن بتحريك المسلمين باتجاه مكة المكرمة غير أن الذي خفي عليهم هو قصد الغزوة وهدفها أهو قريش أم هوازن أم تغيب ؟ ولهذا كانت هوازن على أهبة الاستعداد كما أفاد غيبتها الذي امسكت به الطليعة بين المرج والطلوب ... ( تم أرفأ أبو سفيان قائلاً : يا رسول الله ، أدع الناس بالآمان ، وأبأت إن أعزَّزْتُ قريش فكفَّت أيديها فأمَّنون هم ؟ قال الرسول ﷺ نعم . فقال العباس : يا رسول الله ، انك عرفت أبا سفيان وحبُّه الشريف والفخر ، فاجعل له شيئاً<sup>(١١٩)</sup> ) ( قال الرسول ﷺ : نعم ، من نخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن نخل المسجد فهو آمن<sup>(١٢٠)</sup> )

## كان الرتل الاول ( القلب )

يتألف من كتيبة من المهاجرين الرُّجالة الخُشُر ( المشاة من غير دروع واقية ولا خوذ ) بقيادة ابي عبيدة الجراح يتقدم ويدخل مكة عبر اُذخر من جهة الشمال الغربي على امتداد الطريق العامة ( بطن الوادي ) المنحدرة من اعلى مكة . بمحاذاة جبل هند والمؤدية الى مركز البيوت ، وكان الرسول ﷺ في ساقه هذا الرتل وجند الله تنفع بين يديه .

## والرتل الثاني ( المُجَنَّبَةُ البُهْنِي )

بقيادة خالد بن الوليد ومعه من القبائل أسلَمَ وسَلَمَ وغفار وجهينة وقُضَاعَة وأخريات ، يتقدم ويدخل من الجهة الجنوبية الغربية الى ( أسفل مكة ) ثم يُشْرِقُ صُغْدًا ليستدير عبر الأليط الى الخَنْدَمَة بخيالاته السريعة الحركة ويغرز رايته عند أدنى البيوت .

## والرتل الثالث ( المُجَنَّبَةُ البُهْنِي )

السريعة الحركة ايضاً ( بقيادة الزبير بن العوام يتقدم من الجهة الشمالية الشرقية ليركز رايته عند الحجون ( المنعطف الشمالي ) قرب الغفلة ( مسجد الراية ) بعدئذ<sup>(١١٠)</sup> .

## الرتل الرابع ( القوة الضاربة )

رتل الانصار ( بقيادة سعد بن عبادَة . يتقدم ويدخل مكة من الجنوب الغربي من ثنية كُحَيٍّ ( الحجون الجنوبي ) ويغرز رايته هناك<sup>(١١١)</sup> وضُرَّ الامر النبوي الى قادة الارتال بتجنب القتال ما ساعدت الحال مستتلياً أفراداً ( أباح بمامهم لم يتجاوز عددهم العشرة لشدة خصومتهم لدين الله ولرسوله وتحريضهم الناس على آثارة الفتن<sup>(١١٢)</sup> )

إن حرص الرسول ﷺ على حقن الدماء جاء عن سجية فطرية لنبى رؤيف وحفاظاً على صلة الرحم وشيعة القرى ورابطة المعاشية السالفة وميزة الاحتواء ، احتواء المعاندین والمكابرین بالرحمة والمطف ولين الجانب وحسن المعاملة والتجاوز عن السلبيات ، ومع هذا فقد أظهر القوة والجيش المُجَبَّ تبييناً لمزائم المنافقين ولعن قد تُسَوَّل له نفسه التصدى لجنود الله التي لا يُقْبَل لهم بها ولا طاقة . وهذا ما يُدْعَى في الفكر العسكري المعاصر بالردع السوقي بالتهديد باستخدام القوة دون استخدامها وقد أضفى الرسول ﷺ على هذا فضيلة لين الجانب والسماحة والكَذَى . إن من صميم حب المعرفة والاقبال عليها التطلع الى تلقي اسباب هذا التقسيم الرباعي للارتال هذه وتبلي

للقا لمعب أبو سفيان ليعصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس احبشهُ بمضيق الوادي عند حطم الجبل ( منصة العرض / نقطة حرجة ) حتى تمر به جنود الله فيراها . قال العباس فطرحته حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن احبسه . العرض :

فُزَّت القبائل والمهاجرون والانصار برتل مسير منتظم حسب تسلسلاتها وأندابها الآتية : ( انظر المخطط رقم ( ٣ ) )  
( بنو سُلَيْم ( ١٠٠٠ ) وكانت مقبمة الرتل ، ثم أغلبية المهاجرين وقتيان العرب ( ٥٠٠ ) بقيادة الزبير بن العوام ، ثم بنو غِفَار ( ٣٠٠ ) ثم أسَلَمَ ( ٤٠٠ ) ثم بنو كعب ، بطن من خُزَاعَة ( ٥٠٠ ) ثم مُزَيْنَة ( ١٠٠٠ ) ثم جُهَيْنَة ( ٨٠٠ ) ثم كِنَانَة ( بنو لُبث ، وضمرة ، وسعد بن بكر ) ( ٤٥٠ ) ثم أُنْجَع ( ٣٠٠ ) ثم قُضَاعَة ( تميم ، وبلو فزارة ، وسعد بن هذيم ) ( مجهولة العدد ) ثم الكتيبة الخضراء وهم الانصار ( ٤٠٠ ) بقيادة سعد بن عبادَة ، وفيهم المهاجرون الذين هم في الساقة يحفون برسول الله ﷺ<sup>(١١٣)</sup> ( وكان للوازع عمر بن الخطاب رُجُلٌ بصوت عالٍ وهو يرتب القطعات في أماكن سيرها ويربها صارخاً ، رويداً يلحق أولئك آخرهم<sup>(١١٤)</sup> ) يريد المحافظة على الترتيب وعدم انقطاع الرتل أو تداخله . وكان الرسول ﷺ قد أعطى رايته سفد لابن عبادَة وهو امام الكتيبة الخضراء . فلما غرَّ براءة النبي ﷺ من حطم الجبل وشاهد أبا سفيان نادى : يا أبا سفيان اليوم يوم الفُخْخمة ! اليوم تُشْهَلُ الخُرمَة ! اليوم أُنْزِلُ الله قريشاً<sup>(١١٥)</sup> . فارتعب أبو سفيان من هذه المقولة وارتعب وانتظر رؤية الرسول ﷺ عن كثب ليعبّره بما يمكن أن تصير اليه الحال اذا ما نُفِذَ سعد تهنئته الفُخَال المُقْتَم بصلي الانفال .

## الارتال والمحاور :

اجتمع الفيلق الاسلامي كوة أخرى بعد العرض بذى طوى ( منطقة افتتاح والطلاق ) فالتجند يهيئون السلاح والخيول تُفْعَج ( تسرع ) والوازع يردع ، ورسول الله ﷺ يتوسط جند الله يدعو بالصلاح ويرفع من المعنويات الى الازج ويوصي القادة ويوجههم والقادة يتفهمون آلية العمل . ثم أعاد الترتيب الأساسي للفيلق ونُظِّمَ من أجل الدخول الى المعركة فقسم القوات المكثفة بالتعرض على أربعة ارتال تتدفع عبر أربعة محاور . ( انظر المخطط رقم ٢ ) وحدد لكل رتل محوره بحسب استراتيجيته وخصوصية الرتل ، اراجل أم راكب ، وحدد الاهداف وعين مواقعها وكانت المحاور تعقب سفوح المرتفعات والطبقات الارضية وبطنون الادوية منصبة الى مكة المكرمة .



الاحاطة الواسعة ، بل التطويق . . وربما يصح القول توطئة للاجابة واستناداً الى النهج الحاضر ، ان هذا التقسيم يسمح بالقيام بهجمات متعمدة على منطقة حيوية لاجبار العدو على الانفتاح الواسع وتوزيع قواته على اربعة اتجاهات دون تركيزها على محور واحد . كما أنه لو قُدِّرَ للعدو ضدُّ أحد الارتال أو أكثر فإن بقية الارتال ستتابع التقدم وتصل الى اهدافها المرسومة لها وتفتحق النجاح وتحرز الظفر . فضلاً عن هذا فإن التطويق يضيق الخناق على العدو ويحصره في منطقة ضيقة مما يجبره على الإستسلام بون الانسحاب والقتال في منطقة اخرى اكثر صلاحية له ، وإذا ما تمكن من الهرب فسيهرب متسللاً وحداناً وجماعات .

كما أن التطويق بالخيانة الشريفة الحركة البعيدة المحور شديداً خلها المنطقة المقصودة في أن واحد أو في اوقات متقاربة مع بقية الارتال عند حساب السرعة والمسافة بدقة ، لأن المحور الواحد أو المحورين لا يساعدان على استيعاب عشرة آلاف مقاتل يطالبُ منهم القيام بعمل جماعي موحد في أن واحد لتحقيق غاية مشتركة . وأخيراً فإن الإرهاب المعنوي والقلق النفسي والخوف من المجهول والإحباط الفكري ، كل أولئك انما لازموا الفؤاد المُبَاغَثَ بهذه الفلوة الحجون ( الحركة الواسعة النطاق ) ستفقد توازنه وتُخَلُّ بترتيباته لأن المباغثة تشل أكبر العقول وغياً فلا يتمكن من سلامة التفكير ولا من رصانة التدبير ، ولا حتى تقدير اهمية المحاور وأسبقايات المعالجة فيتم في حيرة محبطة .

### قريش وحلفاؤها :

مما أسعفت به المصادر أن قريشاً تَنَكَّلَتْ يوم الاحزاب ( غزوة الخندق ) من جمع العديد من القبائل العربية كقطيفان وفرزارة وشؤيم وبني مِرْزَة وأشجع وغيرها لمعاونتها في حرب الرسول ﷺ ودينه الجديد عند مشارف المدينة الملورة أي على بعد أربع مئة كيل عن مستقر قريش ، فهي إذن - على الرغم من دخول غالبية تلك القبائل في الإسلام - لا تدعم إيماناً جمع وتأييد القبائل المجاورة لمكة والحليفة والمنتمية للمعاون معها حرصاً على المصالح المشتركة .

ويجدر بنا التماس العذر لمقولة سعد الانفعالية هذه لانها لم تات من فراغ . فبالرجوع القهقري مع كُتّاب السيرة الى أمر قد جرى بعد اكتمال بيعة العقبة الثانية - قبل عامي سنوات من فتح مكة - نرى أن الرسول ﷺ عَيَّنَ اثني عشر نقيباً مدلياً لنشر الدعوة الاسلامية هناك ، ومنهم سعد بن عباد . وما ان علمت قريش بالأمر حتى خرجت في طلبهم قبل شغف الرجال من ( مثنى ) الى ( المبيعة ) عاندين ، فاقبلتوا منها ( إلا سعداً فأركوه باذاخر فاحذوه وريطوا يديه الى عنقه بنسج زخيل ( سير عريض ) ثم أقبلوا به حتى اذا دخلوه مكة يضربونه ويجنّبون بشعره الكتف<sup>(١)</sup> ) وهكذا يظهر للمراقب المحايد أن عائلة الماضي أنارت بإرقة المواضي لدى سعد ومعيتة فقال ما لم يفعل ووصل الى الحجون وسيله البثّار مكنون التزاماً بامر الرسول ﷺ . لذا سندع الرتل الرابع ( القوة الضاربة ) التي لم تضرب ، وقد اضطرنا الحدث السابق الى تقديم الكلام عليه . ولنعد الى الرتل الاول ( القلب ) المنضبط من أذاخر الى الهدف فقد نَعَّدَ واجبه ودخل مكة حسب الخطة المرسومة مع بقية الارتال لعشر ليالٍ نقيض من

رمضان سنة ثمان هجرية الموافقة لليوم الحادي والعشرين من كانون الثاني سنة ثلاثين وست مئة ميلادية ، واستقر على مشارف السفح الأمامي لجبل هند ضارباً قبة ( مقر قيادة ) للرسول الفاتح ﷺ يشرف منها على سير أعمال بقية الأرتال .

وكذلك أنجز الرتل الثالث ( المُجَنَّبَةُ اليسرى ) واجبه وركز رايته أعلى مكة في ثنية المغلّى أو مقبرة العملاء ( قرب مسجد الراية لاحقاً ) . لم تلاق الأرتال الثلاثة الأنفة الذكر أي مقاومة ولم تشبك نفاً . أما الرتل الثاني ( المُجَنَّبَةُ اليمنى ) بقيادة خالد ابن الوليد فقد أصطدمت مقدمته عند الخندمة بجمع قريش وأبواشها وفيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو . وحاول خالد دخول مكة فمنعوه وشهروا السلاح على جند الله ورموهم بالنبل وناوشوهم شيئاً من قتال وهم يقسمون ألا يدخلها محمد وجنده عنوة أبداً (١٣٠) ( فاضطر خالد الى قتالهم وبرقت السيوف والأبسة وانطلقت الرماح وقتلوه من الخندمة حتى الخزوة ( سوق بمكة ) (١٣١) )

فقتلوا من المشركين أربعة وعشرين من قريش ، وأربعة من هذيل ، وحاققت الهزيمة بالباقيين متفرقين ذات الشمال وذات اليمين أنفاراً وبجزيين ، قد تمزق جمعهم شراً ممزق ، فمنهم من تسلق المرتفعات وفيها انزوى وتفرق ، ومنهم من توارى في الأزقة هرباً من المازق ، واتبعهم المسلمون والكُلُّ - الطرفان - يسمع أبا سفيان وحكيم ابن حزام يصيحان : ( يا معشر قريش ! غلام تقتلون أنفسكم ؟ هذا محمد قد جاءكم بما لا طاقة لكم به (١٣٢) ) ( من دخل دار أبي سفيان ( وهي بأعلى مكة ) فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام ( وهي بأسفل مكة ) فهو آمن ، ومن كف يده ووضع السلاح ودخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، فعاد المتفرقون يقتحمون الدور ويفلقون أبوابها بعد طرحهم الأسلحة في الطرقات فيأخذها المسلمون (١٣٣) )

( ومن شعر عمر بن الخطاب يذكر زلفي الخيالة غداة فتح مكة المكرمة قوله (١٣٤) .

ألم تَرَ أنَّ الله أظهر دينه  
على كُلِّ دينٍ قُتِلَ ذلك خائد  
وأمكنهُ من أهل مكة بفسدنا  
تذاعوا الى امرٍ من النفي فاسب  
غداة أجال الخيل في غرضاتها  
سؤمة بين الزبير وخالد  
فأمسى زول الله قد غر نصرة  
وأمسى عداة بني قتييل وشارد

ولما ظهر رسول الله ﷺ على ثنية إذا نظر الى بارقة السيوف فقال : ما هذه البارقة ؟ ألم أنة عن القتال ؟ . قيل : يا رسول الله قوتل خالد بن الوليد ولو لم يُقاتل ما قاتل ! فقال رسول الله ﷺ : قضى الله خيراً (١٣٥) ) وقُتل من خيالة المسلمين فارسان عندما سلكا طريقاً غير معهودة ، وهما كُرُ بن جابر ، وخُفيس بن خالد بن ربيعة كما قتل في المناوشة ضلمة بن الميلاء الجُهني (١٣٦) ) وتناقش حول « هل فتحت مكة غنوة أم صلحاً ؟ لمكان الأمان المُفْطِن لاهلها » ، ( فذهب جمهور أهل العلم الى أنها فتحت غنوة ولهم أدلتهم ، ونهب قلة آخرون الى أنها فتحت صلحاً ولهم أدلتهم أيضاً (١٣٧) ) ولا مجال هنا للإفاضة في الترجيح . ( وكان فتحها يوم الاثنين على الأرجح وقيل الجمعة (١٣٨) ) .

### السماحة البالغة :

مما قاله رسول الله ﷺ يوم دخل مكة المكرمة ووقف على باب الكعبة : « لا إله إلا الله وحده ، ضلّ وغدّه ، ونصّر غيبه ، وفرّغ الأحزاب وحده ... » يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعتظّمها بالآباء ... ، الناس لأم وآلم من تراب ، ثم تلا آية • يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل ليعرفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ... (١٣٩) ثم قال عليه الصلاة والسلام : ما شئون إني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : فاني أقول لكم كما قال أخي يوسف • لا تثريب عليكم اليوم ، يُغْفِرُ الله لَكُمْ وهو أرحم الراحمين (١٤٠) ... ثم قال ﷺ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّفْلَاءُ (١٤١) . ثم استلم الركن بيحجبه وكبّر المسلمون لتكبيره ، وخطم ومن معه من المسلمين ، الأصنام وتلا آية • جاء الحقّ وذهّب الباطل إنا الباطل كان زهوقاً (١٤٢) • وهكذا زلّه زلّه • انّ الذي فرض عليك القرآن لَزَأُكَ إلى مَنَابٍ ... (١٤٣) • بعدئذ أقام رسول الله ﷺ بمكة قرابة خمسة عشر يوماً لينتقل بعدها الى حيث تحول مركز ثقل المشركين الى قبيلتي هوازن وثقيف اللتين سارعتا لملء الفراغ وقيادة المشركين لحرب المسلمين فكانت غزوة حنين والطائف التي أستمتر فيها الفوز .

### العبر مما غُبر :

هذا عنوان فرعي تراشي ، يحظى بمضمونه قارىء الكتب العسكرية المعاصرة بصيغة الدروس ، او الدروس المستنبطة ، او المستحصلة ، او الدروس المستفادة . وهي العبر التي تظهر من فعاليات القوات المسلحة للطرفين ، جنداً وقادة ، عدّة وسلاحاً ،

فنأ وتنظيماً ، فُكرًا وتطبيقاً ، مبادئ وابداعات ، وأشياء أخرى ، وتكون هذه المعبر حصيلّة مستساغة للإفادة منها حاضراً ومستقبلاً بتدبّر معطياتها وتبني فوائدها وتطويرها ونبذ محاذيرها . والمعبر يوم الفتح المبين هي :

### توخي الهدف وإدامته .

غالباً ما يكون لكل حركة حربية هدف أسنى ( مقصد بعيد ) ونون الوصول اليه اهداف دنيا مرحلية . وربما اجتمعت هذه الاهداف او بعضها في وقت واحد . وعليه يلزم في كل الحالات وضع الهدف الأسنى بأسبقية عالية تحت المراقبة المكثفة المتواصلة من اجل القدرة على اتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بمعالجة المتغيرات وما لم يثر بخلافه او يكن في حسيان . ومن هنا كانت قريش ، مكاناً وامكانات ، هي الهدف الدنيوي القريب المتوخي من اجل التوصل الى الهدف الديني الأسنى . وهذه الكليونة فرضتها أهمية قريش الدينية الوثنية المتأينة عن وجود الكعبة ذات الاصنام الممظمة ومبابة الحبيب كل عام ، ومحط رجال التجارة واسواق العرب ، ومركز العمليات الاقتصادية الجنوبية والشمالية ( رحلة الشتاء والصيف ) ، فضلاً عن ملائمة الأرض للتقدم اليها ، وأن طبيعة البلد المكّي معروفة للجميع لكثرة التردد عليها ، وتسهل المناورة فيها لتعدد المداخل اليها . وقبل هذا كله وفي طليعته تحقيق الهدف الديني الأسنى وهو السيطرة على البيت الحرام . قال تعالى : **إِنْ أَوَّلَ بَنِيّ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَيْنَكَ مَبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** (٣٧) وقال تعالى : **وَإِذْ خَلَقْنَا النَّبِيَّثَ مَثَابَةً وَّأَفْنَأَ لِلنَّاسِ** (٣٨) . ومن بعد السيطرة التطهير الشامل وإزالة آثار الباطل وإزهاقه وإعلان مبادئ الحق والعمل بها الى قيام الساعة ، وهذا ما أوصى به الله جل جلاله رسوله الكريم بقوله : **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** (٣٩) .

### التعرض / الغزو .

لنكون على بينة من مصطلح التعرض ، وليتسنى لنا ربط المعاصرة بالتراث وتحميص الاصل القديم للتعرض نستأنس بقوله تعالى : **قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَفْوَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا ادْخُلُوا** غلبهم الباب ، فإذا نخلفتموه فإنكم غالبون... (٤٠) . وقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِئُوا فَيْكُمُ غُلَظَةً**... (٤١) . وقوله جل جلاله : **إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبًى**... (٤٢) . وقال رسول الله ﷺ يوجه جنوده الى الغزو : **« اغزوا بأسم الله وفي سبيل الله . وقاتلوا من كفر . اغزوا ولا تقبّروا »** (٤٣) .

إن معنى « ادخلوا عليهم الباب » ، هاجمهم وتعرضوا لهم في عقر دارهم . وإن كلمة الغزى جمع مغرّة « الفازي » . وكلمة « الغزو » تعني « لغوياً » ( المسير الى الأعداء وقتالهم في ديارهم ) (٤٤) . وتعني إسلامياً الخروج لمقاتلة العدو مقاتلة عادلة ضمن أساسيات شريعة الخلاق وأدبيات مكارم الاخلاق . إن المصطلح المعاصر للتعرض لا يبتعد عن هذا المفهوم اللغوي كثيراً ولا عن المفهوم الاسلامي إن لم يكن هناك اعتساف أو انتهاك حقوق . وقالوا فيه ( الهجوم خير وسيلة للدفاع ) . إن التعرض أو الغزو يمكن أن يؤدي النتيجة المبتغاة بشيء من المجازفة والمخاطرة المحسوبة .

لقد تحول المسلمون من الدفاع الى التعرض او الغزو بقرار الرسول ﷺ بعد شُرّق الاحزاب يوم الاحزاب ( غزوة الخندق ) إذ قال « الان نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير اليهم » (٤٥) . وبدأ الاستعداد القتالي وتهيئة الامة للمقاتلة للجهاد التعرضي ، وتعدّد القرار علمياً بالتعرض لخزير ، ثم وعد الرسول ﷺ عمرو بن سالم بالإنصاف لخزاعة بقوله « نصرت يا عمرو بن سالم ... ولا نصرت إن لم أنصُر بني كعب » ثم استنفر القبائل من شتى الديار وسار بهم وبالمهاجرين والانصار لتنفيذ ما اتّخذ من قرار .

### التحشد الملازم :

يؤاد به خشد قدر ملائم من الجهد المادي والمعنوي حصيلّة الفدّ والهدّة ( السلاح والكرام والرجال ) مع مراعاة الاقتصاد بالموارد المادية وزجّها في الزمان والمكان المناسبين لبلوغ غرض فائق أو غاية كبرى . إن التقوى الساحق ، كفاً ونوعاً ، ليس مطلباً لأن الحشد الملازم الصحيح قد يسمح لموارد قليلة بالتغلب على موارد كثيرة عند توجيه الحشد الى أسبقية عليا قبل التي دونها مع مشاغلة سائر الاسبقيات وتبنيها . وللمبادأة شأن كبير في صيغة التّخشد وصفة التّخشد ونوعه .

وايضاحاً لمعالم العبرة ومواضع القدرة نقول أن الحشد الاسلامي كان ضخماً جداً لا يتناسب وختمية الاقتصاد بالقوة وهذه نقطة أخلّت بالتوازن المنشود . إلا أن ما يبرزها ويسوّغ قبولها هو تأثير الضخامة في نفسية العدو بغية مثال الظفر بلا قتال او التهديد بالقوة وليس استخدامها . كما أن هذا الحشد لا يشكل معضلة ادارية وتموينية كبيرة لسهولة معيشته وقلة ميوته واكتفائه بالمعتمدين من التمر واللبن والسويق والدقيق ، ونحو الجزر أحياناً لظهور وسحور . ويتنوّت الحيوان بالصليان ( خبزة الإبل ) وبغيره من عشب المكان . ويحفظون للخيول خلاها في مخاليها ( الفلوة في الملائق ) . اصف الى ذلك مسوغاً آخر وهو أن ضخامة العدد يوفر الاحتياط الذي يعالج ما ليس في الحسيان

## المباغطة :

شعورٌ يُفاجأ به الإنسان بما لم يكن يتوقع ، والمفاجأة تُنفّس اليكز مما استوعب . وتتحقق المباغطة باختراع ، أو ابتداء ، أو فعل واع ، أو قول يوسوس في الاسماع . وامتثلتها على التوالي : اختراع سلاح جديد ، أو ابتداء أسلوب نادر أو ممارسة فعل يذكاه فريد لا يقدر العدو على مواجهته أو إحباطه كممارسة أنماط مساعدة من الكتمان والسرعة والتسوية والخداع والتضليل ، أو إشاعة قول يرفع من معنويات جند مبتدعه ويحط من معنويات خصمه . وقد يجتمع أكثر من فعل واحد في ميدان معركة واحدة ، فيؤخذ نك كلتا تأثيراً في نفسية العدو واعتباراته ويحدث ارتباكاً في موقفه أو خللاً في تطبيق خططه لا يلائم مصلحته ولا يوائم نهجه فيتحول ميزان القوى تحولاً فاعلاً من جانب الى اخر ، وتتمهد الطريق للنصر غير المكافئ للجهود المبذولة له ، وتعتبر آخر يصير النصر اقل كلفة . وليس شرطاً ألا يعلم العدو بالاعمال المُفاجئة ضده ، ولكن العبارة في أنه اذا علم بها في وقت متأخر يكون قد سُلب في يده أو تأخر في القيام بؤذ فعل مؤثر في مفرداتها ، وأحياناً يكون قد عجز عن تدبير أموره حيالها ، لان المباغطة ( المفاجأة ) تشمل اكبر المقول وغيماً . قال رسول الله ﷺ : « الحرب خدعة »<sup>(٨٢)</sup> [ يفتح الحاء ] . ومن تاويلات المقولة أن تباعث العدو بدملة أو أكثر مرة واحدة في مزاولة واحدة لان العدو لا يمكنه التخلص منها فإن تكررت الخدعة فقدت عنصر المفاجأة الكبير التأثير عند الصدمة الاولى فقط ، وفي الامثال العربية « لا يُخدع المرني إلا واحدة »<sup>(٨٣)</sup> . ومن معطيات المباغطة في غزوة الفتح المبين ما يأتي :-

### ١ . حجم القوة وسرعة تحشدها .

كانت المدة بين ترديد المنادي : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة ) ، وانطلاق الفيلق ذي العشرة آلاف مقاتل عصر العاشر من رمضان زهاء عشرة أيام أو أكثر قليلاً ، وهذه مدة قصيرة لا تتناسب وهذا الكم الهائل من مختلف القبائل النازل من كل حنوب وصوب نحو المدينة ليحتشد واخوته في الجهاد المهاجرين والانصار . هذه السرعة فوّتت على قريش تلاؤل الوقت للاستعداد والاستحضار للمواجهة . وهذا الحشد يعد ان سمعت به قريش لاحقاً ، زاد من ارتباكها وخبط من معنوياتها الى نرك أسفل .

ب . الكتمان .

هو الجناح الايمن للمباغطة . ويكتمان السر يُنال الخُفَر .

فيتحقق شيء من المرونة يساعد على المثلورة لتخفيف ضغط معار أو تعزيز الدفاع عزم أو معالجة أكثر من موقف حار في أن واحد عند الضرورة ، والاحتمال الوارد تُخلل هوازن وتثيف لحرف الفيلق عن هدفه .

## الإقتصاد بالقوة :

يعني توفير الجهد الاكبر للهدف الاصعب والعكس صحيح ايضاً . او اعادة توجيه القوى نحو الافضل . وغالباً ما يُتخذ عدم الخسارة فوزاً . وقد بُيّن في فقرة التحشد الملالم تخلخل الموازنة بين الحشد الضخم والاقتصاد بالقوة ، وبثربناها . ونضيف هنا علة اخرى جاءت عن حكمة الرسول ﷺ وسبق نظره وشمول خطته العامة ولماسته فهو سيد المؤمنين ، والمؤمن ينتظر بغير الله ، وقد علمنا أن فئات المدينة قد تكهنوا باستعداد عدة اعداء منهم قريش ، وهوازن ، وثقيف ، وبوس . فهل أعذ الرسول ﷺ هذا الفيلق الجرار تحشيداً لتدخل هؤلاء الاعداء معاً او على النعاقب او التداخل في مآخزيات نهجه ؟ فان كان ذلك كذلك فلا ضعف ولا تخلخل موازنة ا وقد أثبتت الاحداث تهيب هوازن وثقيف وحلفائهما للتصدي في اقرب فرصة مُتاحة وضُقت البيلة الاخرى بانتقال الفيلق الإسلامي بعد فتح مكة لقتال هوازن وحلفائها .

## الإحتواء :

المقصود به اجراءات قوامها السماح وخفض الجناح وصلح الطوية للوصول الى نهج يوقظ الضمائر ويتفلسل مفهومه في النفوس ويدغدغ المشاعر الخيرة لتستجيب الى داعي الإيمان المبشر بأخوة البشر وحرية الانسان المستضعف ونقله من عبادة الاوثان والخضوع لطغيان الإنسان الى عبادة خالق الاكوان الرحيم الرحمن .

ومن أنماطه هنا : الدعوة الى الله على بصيرة ، والصلح الجميل عن حاطب بن ابي بلتمعة وغنّ هوازن ، والمؤ عن الاسرى ، والتنازل عن بعض الحقوق الخاصة ، وتوفير الحبيب عند اللحظ المكي ، واستبدال الميرة بصرفها لقريش تمويضاً . عن جلود مذبوحة كاسدة ، وإقالة سعد بن عبيدة بابنه قيس تنميلاً لبيلة الزخم وحذاً من استجلال الخرم . واخيراً منح الامان لاهل مكة ثم إطلاقهم ( انهبوا فانتم الطلقاء ) بون التمريض لاموالهم ومقتنياتهم سوى نزع السلاح للإسراع في تحقيق حالة السلم المطلوبة مع الصفح الجميل .

واستمعوا على قضاء حوائجكم بالكتمان . وقد أمر الرسول ﷺ بمسك أنقاب المدينة لمنع تسرب أخبار الاستحضارات . ونفا ربه أن يأخذ الأخيار والعميون عن قريش حتى يبيغتها في بلادها . كما كُتم عن جند الله ، إلا بقلة مسؤولة ، غاية الغزوة ومقصدها ومكان الهدف الرئيس ولم يُظهرها حتى ظَهَرَ في مَرِّ الظهران ( منطقة التحدّد الامامية ) لقربها من العدو ، فإن سمع العدو بذلك يكون قد فات الاوان لإتخاذ زُد فعل مناسب . يُدُلُّنا على هذا قصيدة كعب ابن مالك التي أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ في الشقيا . وسؤال أين حابس أبا بكر في قديد بمد عقد الاولوية والرايات عن مقصد سيد السادات من هذه الغزوة فاجابه ( حيث يشاء الله ) .

#### جـ . المخادعة :

هي الجناح الايسر للمباغطة . ومعناها ( إظهار خلاف ما تخفي مع ارادة المكروه للعدو من حيث لا يُعلم<sup>(٨٨)</sup> ) ويشاكلها التسليل والتمويه فيقال مؤه عليه الخبر أخبره بخلاف ما سأل عنه . والتورية ارادة شيء وإظهار غيره ومن هذا القبيل إرسال الرسول ﷺ ثلاث سرايا الى ثلاثة اصقاع خلاف جهة مكة ، هي سرية الخبث وسرية خيضة وسرية إضم ، قبيل الإنطلاق الى مكة بدحو شهر واحد أو أنقص منه قليلاً لتذهب الاخبار الى قريش شفوهُ فتتعدّد مُتَوَانِيَةً غافلة . ومن هذا القبيل أيضاً التوقيف الصائب ، ودليلنا عليه إجراء الحركة في شهر رمضان الذي تنقلص فيه الجهود عادة ، لما يلاقيه الصائمون من وطأة شدة العطش ومحدودية الطعام فلا يعمرون في خلد قريش أن ينشط المسلمون خلاله للقتال . أضف الى ذلك ممارسة المسير والتنقل نهاراً ، وهذا عمل غير متوقع في شهر رمضان . ويرجع صحة الدعوى عندنا هو أن المرحلة الأولى بدأت غصراً وانتهت على مدى سبعة اميال ( ثلاثة عشر كيلاً ) عند ضُلُفْل ، اي تعادل نصف مرحلة اعتيادية وتلك من أجل تنسيق ضبط المسير على الطريق : ثم المرحلة قبل الاخيرة وكانت من كُراع القُفيم الى مَرِّ الظهران ومداها خمسة عشر ميلاً ( ثمانية وعشرون كيلاً ) وقد وصلوا اليها عندما خُيِمَ الظلام . وقياساً عليه يصح أن تكون قد جرت المراحل كُلُّها نهاراً عبر طريق نادرة الطروق مع تحاشي الصخب والضوضاء وقرع الاجراس والمواء .

#### الامن .

سياج جميع الترتيبات التي يراود بها استحصال الوقت والمكان للازمين لحشد القوات والقيام بالمناورة . وبه تتم المحافظة على القوات ويساعد على تقليل احتمال تأثير فعاليات

العدو على المصالح الحيوية . والامن يزيد من حرية عمل القادة ويمعن على المباغطة بكسب المعلومات عن العدو بوساطة عناصر الاستخبارات ومنع العدو من الحصول على المعلومات بوساطة عناصر الحماية ومكافحة استخبارات العدو . لقد وفر الرسول ﷺ مقتضيات الامن بإحكام السيطرة على الانقاب وإخراج الطلائع في أثناء المسير وحماية المأوى الليلية بالحرس الذي كان رئيسه عمر بن الخطاب في اكثر من مرحلة . فضلاً عن تدفق المعلومات عن قريش بوساطة ( الرتل الخامس ) قبيلة خزاعة ، والعباس بن عبد المطلب الذي اُنْتُقَا في الجحفة مهاجراً ، ولا نستبعد أن يكون لاهل المهاجرين الماكثين بمكة ، ومن أخفى إسلامه من المُكَيِّين شان كبير في تسريب المعلومات الى الرسول ﷺ . وقد بلغ الامن اقصاه في قديد عندما عقد الرسول القائد ﷺ الاولوية والرايات فبات الفيلق الاسلامي في نطاق من حديد ويأس شديد .

#### الممنويات

هي القوة الروحية لإيماض الرقعة الذهنية والتي تخوض صراع الإدارات قبل صراع القطعات وفي خضمه . ومن اسلحتها الثبات والشجاعة والإقدام عندما تزل الاقدام والثقة المطلوبة والامل المتفائل والحماسة والولاء وروح الجماعة وقوة الارادة والصبر حتى النصر والتصميم على الظفر .

ان القيادة الحازمة الرشيدة والضببط والألفة واحترام الذات والايمان بعدالة القضية تساعد جميعها في بناء الممنويات وترصنها . وكذلك ألم الحرمان من الحق الطبيعي أو المكتسب وهدر الكرامة قد يؤديان الى اثاره الممنويات وتاجيحها بغية إعادة الحق الى نصابه . إنّ العامل الروحي والنفسي والاعتباري أوقع من العامل المادي خُصْماً . وهذا مما ينهض بالقوة المادية لارفع من مستواها الطبيعي .

أن الفيلق الاسلامي بضخامته الممهودة ، وعقيدته الاسلامية الراسخة ، وقيادة رسوله الواثقة ، وحب جند الله لاسوتهم الحسنة نبي الله . وبالم المهاجرين المبعدين عن دارهم المقدسة وحرمانهم من الاتصال بأهلبيهم ، وبما لقيه بعض المستضعفين . من إيذاء شديد قبل الهجرة ، وينكية خزاعة بقتلاها عند أنصاب الحرم وفي الحرم نفسه ، ويُثْعَرَةُ الثار التي لم تُخَفِدْ . وبما في نفس سعد بن عبيدة من لزوم محاسبة من اعتدى عليه سابقاً عند بيعة العقبة . وياراة المسلمين قاطبة تطهير البيت من الاصنام ، وبالامل الذي في نفوسهم ثقة بوعدهم لهم بقوله • ... لَنُفَخِّلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمينين • كل اولئك وغيره ، دون استقصاء ، أظهر لنا الممنويات الفاتكة التي

## الارض .

تتحكم في دراسة الأرض مقولتان . الأولى : قتل أرضاً غاليها وقتلت أرض جاهلها . والثانية : سب على المرتفعات تنقص .

وقد تنقل الفيلق الاسلامي بدلالة عمر بن الخطاب السفير الضخمن والخبير المغفل في مجاهيل صحراوية معروفة لديه . ولما جاء وقت الانطلاق من ذي طوى الى الاهداف التمهوية للارتال الاربعة ، إتجه رتلان ، خيالة ورجالة ، مُنضبَّان من مكان التفريق الى أعالي مكة ، وكذلك ففل سعد بن عبادة قائد رتل الانصار ، أي دخلوا من غل ( من المرتفعات الاعلى الى الاوطا ) . وقد انصبَّ خالد بن الوليد بخياله جنوباً ، فشرقاً ، ثم اعلتلى جبل الخندمة لينحدر الى أنفى البيوت .

## البساطة .

الانكار السليمة الحصيفة تتخوّل الى أوامر أو توجيهات دقيقة بمبارات واضحة جليّة لا تحتلّ اللبس ، وهذا يقلل من احتمال سوء الفهم الذي يقود الى الارتباك أو الخطأ في التنفيذ . ولا حزم أن رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم . ومن أوامره وتوجيهاته ووصاياه البسيطة الواضحة أقواله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليخضّر رمضان في المدينة » . ثم قال « أغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغربوا » . ثم قال لقادة الارتال ما معناه « تجنّبوا القتال ما ساعدت الحال » - او كما قال - وقال أيضاً « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . وكانت واسطة عقد الكلمات المعصماء : « إنهبوا فانتم الطلقاء » .

قابلية الحركة وسرعتها .

تُعرف قابلية الحركة بأنها إمكانية الحركة السريعة ، للقطعة العسكرية ، في منطقة معينة ، وسيطرة حازمة ، مع أفضل استخدام لموارد القوة ، في مدة محدودة ، تحت ظروف مختلفة ، لتنفيذ واجب معين .

أما سرعة الحركة فتقع ضمن الناحية الطبيعية ، والواسطة المستخدمة لتقليل احتمال المقاومة ، وقد تشملها المعلومة التي تفيد بان المسافة لا تقاس بالاكياس فحسب بل وبالوقت المصروف لقطعها . وأن الخط المستقيم ، في العرف العسكري ، ليس غالباً أقصر مسافة بين نقطتين ، نقطة الانطلاق والهدف المنشود . إذ قد تكون المناورة بالتفاف أو بالتطويق أو تخطي المقاومة

تمتع بها جند الله الغالبون . وعلى اللقيض والمماكسة كانت الانهيارات النفسية والاعتبارية والعموية لقريش وحلفائها . وتلك الانهيارات المتلاحقة منذ معركة الخندق وتفوق الأحزاب ، وصلاح الحديبية وقيام الدولة الاسلامية ، وفتح خيبر ، وازدياد القبائل المنضمة الى المعسكر الاسلامي وانتشار الاسلام واتساع رقعته تباعاً يوماً بعد يوم ، وخيبة مسمى أبي سفيان لتمديد مدة صلح الحديبية ، والقحط الذي لجق بفكة أهلها ، ووصول عشرة آلاف مقاتل الى مزا الظهران في الثلث الثاني من شهر رمضان وإيقادهم المزيد من النيران للهويول والأرهاب ، وعرض الفيلق في خطم الجبل لبيان حقيقة قدرته المتناهية امام ابي سفيان مسؤول قريش فيما يختص بإعلان الحرب .

## الوحدة الثلاثية .

هي وحدة العقيدة ووحدة القيادة ووحدة الفرض ( الهدف ) وتبلورت وحدة العقيدة عند المسلمين قاطبة بالايمان بالله وحده ، وبملانكته وكتبه ، وزُسله ، وباليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر .

والإيمان ، شرعاً ، هو الاقرار باللسان ، والتصديق بالجنان ، والعمل بالأركان عن يقين خالص واطمئنان . وإن ايمان جنود الرحمن وقياداتهم وبربهم يجعلهم يقاقلون لتكون كلمة الله هي العليا ، وهذا يسهل جفني النصر واحراز الفتح .

وقد أوجبت وحدة العقيدة الموالاة ( الضحية والنصرة ) بين المؤمنين دون الاعداء . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا غدوّي وغدوّكم أولياء تفتنوا إليهم بالمؤنة ... » وأوجبت التكافؤ بالدماء . قال الرسول ﷺ : « المؤمنون تنكافوا دماؤهم ، وهم يدّ على من سواهم ، ويسمى بؤمئهم أذناهم ... »<sup>(١١)</sup> أي أن المؤمنين متساوون في القصاص والديات ، وهم مجتمعون على اعدائهم ، لا ينسفهم الشقاق بل التعاون فيما بينهم وإذا أعطى أحد لجيش العدو أماناً جاز ذلك على جميع المسلمين وليس لهم أن يخفروه ( ينقضوه ) . وقد اعطى سيّدكم رسول الله الامان لقريش فالتزموا به . أما وحدة القيادة فتجلت بعباعتهم لله ورسوله ، وامتنالهم لأوامر ووصايا وتوجيهات سيد البشر الذي أحسن قيادتهم بزكته<sup>(١٢)</sup> وفراسته وهدايته وكونه الأسوة الخسنة لهم ومشاركته إياهم في صفحات القتال والغزوات النقال ناهيك به من رسول كريم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم .

أما وحدة الفرض الذي هو إحقاق الحق وإزهاق الباطل لتكون كلمة الله هي العليا فقد تجلّت في التعاون والتكاتف والتضامن وتوجيه كل الطاقات والأمكانات والفعاليات العقلية والمادية تجاه المقصد الأسنى .



المعتزلة على الطريق أسرع وأسلم تعبواً وسوقياً من نطح الهدف جيهوياً . ويتم التغلب على المقاومة الرئيسية باستئلال عنصري الحركة والمباغنة . وتتوقف سرعة الحركة على حساب عامل الوقت والمسافة وطبيعة الأرض وقابلية التثقل !

فما مقدار تطبيقات الفيلق الإسلامي لهذه المستلزمات ؟ إن المعطيات المكتوبة تشير الى أن الفيلق الإسلامي كان سريعاً في اتخاذ القرار ، سريعاً في تحضده ، سريعاً في تنقله ، سريعاً في احتلال هدفه . إنه تنقل ، باعتبار ضخامته ، خلال عشرة أيام من المدينة الى مكة بسيطرة الرسول ﷺ متمسكاً بلياقة بدنية فائقة لخفة تجهيزاته وكثرة تنقلات أفراده الاعتيادية ، ومُدْجِجاً بالأسلحة المعهودة كلها من سيوف بئارة ورماح خطية وأقواس عربية ، وبعض الدروع الملبوسة والبُيُض ( الخُوْذ ) الحمايوية وذلك في فصل الشتاء في كانون الثاني ، والجند صائمون والجهد شديد حتى وصلوا الى كديد فافطروا لِيَتَقَوَّوا على عندهم عند المنازلة ببطن مكة لما تُطْلَقُ الطُّرُق . وكانوا قد زادوا من سرعتهم بامتناء الأيل واعتقابها ( ركوبها بالتعاقب والتناوب ) في أثناء التنقل . والإبل قلماً تتطلب الماء بالشتاء في الصحراء قبل عشرة أيام من آخر ارتواء وتقتات على المتيسر من الأعشاب المحلية . اما الخيل المعقود في نواصيها الخير فَتُجَنَّبُ وينفق عليها بسخاء وتُخدم خدمة ممتازة لتحفظ بنشاطها حتى المنازلة الكبرى أو المحكم الحيوي . وهنا رُجِّحَتْ في المنطلق الأخير . مزخلة التطويق والصولة والإقتحام . كما جرت الاستفادة من طبيعة الأرض الصحراوية بالتنقل حرصاً على المباغنة عبر سبيل برئت يعيا بها الدليل الخُزِيَّت ويندر سلوكها لفير المضطر والصملوك ، وأخيراً كان الفيلق الإسلامي سريعاً يوم إقتحام البلد الحرام .

#### استيعاب المحور .

الاستيعاب لغة هو السعة . واستوعب المكاؤ الجند أي وسعهم . وكما يقال استيعاب الجسر كذا سيارة ، واستيعاب مدرجة المطار كذا طائرة ، يقال استيعاب المحور كذا كتيبة ، إن استيعاب المحور ( سبقت ) معلومة لازمة للمخطط العسكري عند وضع الخطة وتبقى نصب عينيه عند حساب الوقت والمسافة وقوات الطرفين والوسائل المُستخدمة وبقية العوامل المتأثرة بالسعة والمؤثرة فيها دفاعاً وهجوماً .

إن محوراً واحداً أو محورين متجهين من ذي طوى ( منطقة الانطلاق ) الى منطقة مكة لا يستوعبان عشرة آلاف مقاتل ينجزون واجباً محدداً في نهار يوم واحد ، بصرف النظر عن موازنة العوامل ، فلا بد أن سيبقى كثير منهم خارج الواجب . وعليه يجب

توزيعهم على المحاور الأربعة كلها ، توافقاً مع سائر متطلبات الواجب ، لتتكفل الغزوة الحجون بالنصر الحاسم . إن هذا ما حدث نملأ يوم الفتح المبين فقد تعامدت المحاور منجزة الغرض المنشود .

#### الإستثمار السوقي .

الإستثمار ارادة النماء في الثمر او المال وما شابه ذلك . وفي الحرب توسيع شقة الهدف ، من أجل الامن ، بعد احتلاله وملاحقة العدو حتى يتعزز النصر الإبتدائي . واستناداً الى مقدار حشد الغزوة الحجون وتفوقه غدداً وغدة ، والى ما علمنا من سبق نظر الرسول وفراسته في حسن تصوره لتدخل هوازن وحلفائها المتأخمين لقريش في مآجريات الاحداث ، فقد تحققت الفراسة بما حدث قملأ من ترأس هوازن وثقيف لتجمعات المشركين في منطقتهم وتحشيدهم لمهاجمة المسلمين كسباً للمباداة وثيقناً من أن الضربة المسلمة القادمة موجهة اليهم لا محال .

فكان انتقال جند الله بعد ايام قلائل من فتح مكة الى جهة هوازن أمراً مفروغاً منه ، قيل أن يفوقوا من هول ما سمعوا عن انهيار قريش في سويحات وارتهاهم من أن الفيلق الإسلامي قائم اليهم لاستثمار النصر وتعزيزه سوقياً بعد حنين . قال تعالى ه **وَأَعْلُوا لَهُمْ مَا أَشْطَمْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَغُزُوكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تُغْنُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ... ه (٨٨)**

#### خاتمة الكلام .

أخرجت نابذة ( الدولة الإسلامية العالمية ) ، ذات النواة العربية شطأها زسماً عندما وقعت قريش وثيقة صلح الحديبية في السنة السادسة الهجرية . وظهرت للميان فلتان متضاربتان ذاتا سيادة وقيادة ، المسلمون وحلفاؤهم ، وقريش وحلفاؤها . في السنة الثامنة الهجرية شئت قبيلة بني بكر ، مُعانة سراً من قريش ، غارة شعواء فجائية على قبيلة خزاعة الأمنة حلينة المسلمين . إشتنضرت خزاعة المُنبِئَةَ الممتدى عليها المسلمين فوعدها الرسول ﷺ نصراً . ونذمت قريش على إعانتها بني بكر فاوقدت ابا سفيان حمامة سلام لمصلحتها الى المدينة فلم يفلح وعاد ادراجها خائباً .

باشر الرسول ﷺ بالإعداد لغزوة حجون تجاه قريش ختم على اسرارها وكتم جملة أخبارها لئلا يغت بها قريشاً في عقر دارها ، فحشد عشرة الاف مقاتل على مشارف المدينة ثم سار بهم عصر الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان صياماً مجتازين احدى عشرة مرحلة نهائية لم يفظروا إلا عند قديد لاقتربهم من العدو

وليتنزلوا عليه . ثم ساروا ليُخيموا مساءً في مُز الظهران ويشعلوا النيران إرهاباً لقريش وآخرين . قال تعالى • وأعدوا لهم ما أُنْتِظِعْتُمْ من قُوَّة ..... • بعدها عوض الرسول ﷺ الفيلق الإسلامي في اليوم التالي عند خطم الجبل على مِوَأى ومسمع أبي سفيان الذي تَلَصَّصَ قبل يوسين ليتجشَّس لقريش لكنَّهُ أَسْلَمَ ماخوذاً بقوة المسلمين وبأسهم ورجع عارضاً على قريش أمان الله ورسوله . أما الرسول ﷺ فقسم الفيلق على أربعة أرتال في ذي طوى ودفعهم يوم الاثنين بمناوئة تطويق مُحْكَمَةً الى أهدافهم وقد أوعز الى القادة بتجنب القتال الا مضطرين . فاندفعوا واحتلوا مُطَبِّقِينَ أَغْلَبَ مبادئ الحرب طواعيةً تبل ان يفتن اليها

المنظرون باكثر من ألف سنة .  
وعندما دخل الرسول ﷺ مكة اتَّجَه الى الكعبة ووقف عند بابها مُوَحِّداً الله شاكراً له صدق وعده بنصرة عبده . ثم صفع الصفع الجميل بقوله لقريش : اذهبوا فانتم الطلقاء .  
ثم استلم الركن وكَبَّر وتلا آية • جاء الحق وزُفَّ الباطل إن الباطل كان زُفُوفاً •

وبها بلغ جهدي التمام وغاية المرام ، فإن هذا أحسن ما وصلت اليه من تمحيص الروايات فعمسى أن يكون جلُ البحث صواباً وان تقلَّ فيه مساحة الخطأ . والله أسأل أن يهيئ لنا الخير ويكتب لنا السلامة في الرأي ، والسلام .

### المصادر والمراجع والتعليقات

- ١ - نظرة جديدة في سيرة رسول الله . كونستانس جورجيو . ترجمة محمد التونسي ط ١ بيروت ١٩٨٣ ص ٣٢٥ . السيرة النبوية لابن هشام مج ٢ ص ٦٢٩ . السير الكبير للشيباني . محقق . ط مصر ١٩٧١ ج ١ ص ٩٦ .
- ٢ - النبوة / ١٢٣
- ٣ - البقرة / ١٩٣
- ٤ - الانفال / ٦١
- ٥ - الفتح / ٢٧
- ٦ - مغازي الواقدي . ط بيروت . تحقيق مارسدن جونز ج ٢ ص ٧٨٣ . السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق مصطفى السقا وآخرين . ط ٢ مصر ١٩٥٥ مج ٢ ص ٣٨٩ . تاريخ الطبري ط ٢ مصر ١٩٦٧ . محقق ج ٣ ص ٤٤ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ط صادر بيروت ١٩٦٥ ج ٢ ص ٢٣٩ .
- ٧ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٨٥
- ٨ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٨٩ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٣٩٤ . عيون الاثر لابن سيد الناس ط ٢ بيروت ١٩٧٤ ج ٢ ص ١٩٥
- ٩ - سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٣٩٥ . تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٥ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٠ .
- ١٠ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٨٦
- ١١ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٥ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٤١ .
- ١٢ - المظاهر الحضريّة للمدينة المنورة . د . خليل السامرائي ط ١ الموصل ١٩٨٤ ص ١٧ .
- ١٣ - سيف الله خالد بن الوليد . للجنرال أ . اكرم . مترجم ط ٤ دمشق ١٩٨٢ ص ١١٤ بتصرف .
- ١٤ - لسان العرب لابن منظور . مادة ( حجن )
- ١٥ - معجم ما استمع . عبد الله البكري . محقق ط بيروت . معجم البلدان . باقوت الحموي ط بيروت ج ١ المقدمة الباب الثالث . الطريق ال الحدائن . احمد عادل كمال ط ١ بيروت ١٩٧٢ الباب الخامس ص ١٤٣ .

- ١٦ - معجم ما استمع مج ٢ ج ٢ ص ٩٥٤ مادة المقيق .
- ١٧ - غزوة بدر الكبرى محمد احمد شميل ط ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ١٧ . الكيل : مصطلح اطلقه المجمع العلمي العربي بدمشق على الكيلومتر . د . اكرم العمري السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٣٧٨ .
- ١٨ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٤٤
- ١٩ - سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٣٩٧ . الطبري ، تاريخ ج ٣ ص ٤٧ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ .
- ٢٠ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ . السيرة الحلبية ط بيروت ج ٢ ص ٧٤ .
- ٢١ - السيرة النبوية لاحمد زيني دحلان ط بيروت . ذكر المؤلف لابن دحلان ج ٢ ص ٢٢٣ ان قريشاً نكثت عهد الحديبية قبل رجب سنة ٨ هـ . ثم عاد فذكر في ج ٢ ص ٢٣٩ ان قريشاً نكثت عهد الحديبية في شعبان سنة ٨ هـ . وبالرغم من هذا التناقض فان سرية الخيطة كانت في الواجب حتى رمضان سنة ٨ هـ فيكون قد تحقق الفرض من التموه .
- ٢٢ - عيون الاثر ج ٢ ص ١٥٨ . زاد المعاد لابن قيم الجوزية ط مصر ١٩٧٠ ج ٢ ص ١٧٦ .
- ٢٣ - مغازي الواقدي ج ١ ص ٦ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٦١ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٣٥ .
- ٢٤ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٧ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٦٢ . السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٥ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٣٦ .
- ٢٥ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٦٦ . تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٢ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢
- ٢٦ - لعل الصحابة الثلاثة كل ذهب في اتجاه وربما ذهبوا معاً فالروايات متباينة في ذكر ذلك انظر سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٤٥ .
- ٢٧ - سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٤٥
- ٢٨ - سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٢٩٩
- ٢٩ - الممتحنة / ١
- ٣٠ - مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٠
- ٣١ - سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٠
- ٣٢ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٦

- ٢٣- المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٧  
 ٢٤- المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٧  
 ٣٥- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٥  
 ٣٦- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٤ . حياة محمد واشتجتن أرفنج .  
 مترجم طالقاهرة ١٩٦٦ ص ٢٢٤ .  
 ٣٧- سنن أبي داود ج ٣ ص ٢٥ : وهذا إرهاب لما يعرف اليوم بحالة  
 فرض الصمت اللاسلكي قبل المعركة .  
 ٣٨- المائدة / ٨٣ .  
 ٣٩- سيرة ابن دحلان ص ٢٤٤  
 ٤٠- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٢ ، ٨٠٣ .  
 ٤١- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٠١  
 ٤٢- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨١٣  
 ٤٣- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١٤ . زاد المعاد ج ٢ ص ١٨١  
 ٤٤- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١٤  
 ٤٥- سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٥٢ . تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٢ .  
 الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٤ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ سيرة  
 ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥٠  
 ٤٦- سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٣ . السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٩ .  
 سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥١  
 ٤٧- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٠  
 ٤٨- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨١٦  
 ٤٩- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١٨ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٠  
 ٥٠- سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٣ وهذا إرهاب لما يعرف اليوم بمنع  
 التجوال  
 ٥١- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٠ ، ٨٢١ . السيرة الحلبية ج ٢  
 ص ٨١ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥٧ .  
 ٥٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨١ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥٧  
 ٥٣- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١  
 ٥٤- تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٧ . السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٣  
 ٥٥- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٢  
 ٥٦- سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٩  
 ٥٧- الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٧ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٦٠  
 ٥٨- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٢  
 ٥٩- سيرة ابن هشام مج ١ ص ٤٤٩  
 ٦٠- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٣ ، ٨٢٥ .  
 ٦١- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٦ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٦٠  
 ٦٢- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٦ .  
 زاد المعاد ج ٢ ص ١٨٢  
 ٦٣- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٦ . تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٥  
 ٦٤- زهر الآداب للحصري الفيرواني ط ٤ بيروت ١٩٧٢ محقق ج ١  
 ص ٧٤  
 ٦٥- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٦  
 ٦٦- المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٨ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠٧ .  
 تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨  
 ٦٧- زاد المعاد ج ٢ ص ١٩١  
 ٦٨- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٧٣ . السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٥ .  
 سيرة ابن دحلان ص ٢٧٦  
 ٦٩- الحجرات / ١٢ .  
 ٧٠- يوسف / ٩٢  
 ٧١- مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٥ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤١٢  
 ٧٢- الاسراء / ٨١ .  
 ٧٣- القصص / ٨٥ .  
 ٧٤- آل عمران / ٩٦ .  
 ٧٥- البقرة / ١٢٥ .  
 ٧٦- الاسراء / ٨١ .  
 ٧٧- المائدة / ٢٣ .  
 ٧٨- التوبة / ١٢٣  
 ٧٩- آل عمران / ١٥٦ .  
 ٨٠- سنن أبي داود ط بيروت جهاد / ٢٦٠٣ .  
 ٨١- لسان العرب . مادة ( غزا ) . المعجم الوسيط مادة ( غزا )  
 ٨٢- صحيح البخاري ط بيروت . مغازي / ٢٩ .  
 ٨٣- المصدر نفسه جهاد / ١٥٧ . صحيح مسلم جهاد / ١٨ ، ١٩ .  
 مسند احمد بن حنبل ١ / ٨١ ، ٩٠ .  
 ٨٤- مجلة المورد العراقية مج ١٥ عدد ٢ لسنة ١٩٨٦ ص ٨١ نقل  
 عن المختار من كتاب الامثال لابي زيد الانصاري  
 ٨٥- لسان العرب مادة ( خذع )  
 ٨٦- سنن الترمذي . قسامة / ١٤  
 ٨٧- الركن : الظن الذي هو كاليقين  
 ٨٨- الانفال / ٦٠





# تقويم جديد لجهود حماد الراوية في رواية الشعر العربي ونقده

د . زكي ذاكر الفجر العاني

كلية الآداب - الجامعة المستنصرية

أود في البدء ان أشير الى دراستين تناولت سيرة حماد الراوية وروايته للشعر احدهما للاستاذ السيد يعقوب بكر وقد نشرتها مجلة الرسالة المصرية سنة ١٩٤٥ في بضعة اعداد تبدأ بالعدد ٦٤٣. والاخرى - وهي أكثر إختصاراً من سابقتها ووردت ضمن كتاب مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد الذي صدر سنة ١٩٥٦. وتأتي دراستي هذه مكملة للدراستين المذكورتين ومشملة على وقفات مختلفة او مغايرة في بعض المواضع لما في الدراستين القيمتين المذكورتين .

## من هو حماد الراوية ؟

وتصوره لنا المصادر في مطلع شبابه يصحب الصماليك . وتذكر انه نقب على رجل ، فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصار ، فقرأه واستحلاه وتحفظه - كما تقول الراوية - ثم طلب الادب والشعر وأيام العرب ولغاتها بعد ذلك وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ<sup>(١)</sup> .

ولا نميل الى تصديق هذه الرواية التي تبين لنا ان شغف حماد بالشعر واللغة كان بعد ان اطلع على شيء من ديوان الانصار . ونعتقد ان الاخباريين حين جهلوا نشأة حماد وسيرته أيام شبابه تعلقوا بذلك الخبر الذي يصور حماداً صعلوكاً من صماليك العرب ، يشارك رفاقه في غاراتهم وتاراتهم قاطعاً الطريق على من يحسبهم سبباً في بؤسه وشقائه ومحنته . ثم فجأة بتغير مسار حياته وتبدل سيرته ، فيغدو طالب علم ومعرفة معنياً

هو ابو القاسم حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد المشهور بحماد الراوية<sup>(٢)</sup> . وقيل بل هو حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد ، وكان سابور يكنى بأبي ليلى . ولذلك نجد في بعض المصادر انه حماد بن أبي ليلى<sup>(٣)</sup> . وثمة رواية تالفة تؤكد انه حماد بن هرمز وان والده هرمز كان من سببي مكثف بن زيد الخيل او من سببي ابن عروة ابن زيد الخيل<sup>(٤)</sup> . كان حماد ديلمياً الاصل ، شيباني الولاء عربي اللسان والنشأة والتربية والثقافة . وللعرب حبه ووفاءه وفي كنفهم عاش وترعرع . وصلاته الوطيدة بخلفاء بني أمية وتقريبهم له يدل على انه لم يعرف العصبية على العرب وحكمهم فهو إذاً عربي وان لم يكن ذلك من حيث النسب . ولد حماد سنة ٧٥هـ<sup>(٥)</sup> وفي رواية اخرى سنة ٩٥هـ<sup>(٦)</sup> .

<sup>(١)</sup> نقب عن الشيء فحصى عنه نحصاً دقيقاً .

بأشعار العرب ولغاتها وأيامها وأنسابها ، بل شهاباً ساطعاً في ميدان الأدب واللغة ، أقول إن ما يرجع على سواء في هذا الصدد أن حماداً شغف بالعلم منذ الصغر ، وأنه نشأ نشأة علمية : فحفظ الشعر . وروى اللغة عن العرب الفصحاء . واختلف إلى حلقات العلماء الذين لم تذكر لنا المصادر أسماءهم . وبدلاً من ذلك أظهرته لنا بلا ماضٍ ولا شيوخ ومن غير مصادر . اشتهر حماد بكثرة الحفظ ، فقد قيل : أن الوليد بن يزيد قال له : بم استحققت هذا اللقب . فقبل لك حماد الراوية ؟ قال : لاني أروي لكل شاعر يعرفه أمير المؤمنين أو سمع به ، ثم أروي منهم ممن تعترف بانك لا تعرفهم ولا سمعت بهم . ثم لا أنشد شعراً لقديم أو محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث : قال ان هذا العلم وابيك كثير فكم مقدار ما تحفظ قال : كثير ولكنني انشدك على أي حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية قال : سامتحتك . وامره الوليد بالانشاد . وانشده حتى ضجر الوليد<sup>١٠٠</sup> . وفي رواية أخرى انه قال للوليد بن يزيد : أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها بآية سعاد<sup>١٠١</sup> . وعلى الرغم من هذه المبالغات فإن مما لا ريب فيه ان حماداً تفوق على علماء عصره بكثرة الحفظ وسعة الرواية .

حظي حماد بالتقدمة والتقدير من خلفاء بني أمية فقربوه وأثروه على سواء . وكان كثير الوفاة عليهم ، وكاتوا يسألونه عن الأشعار ويستنشدونه أياها فينشدهم فيجزلون صلته ، وكان منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك . وقد ظلت صلته بالدولة قائمة بعد تولي هشام بن عبد الملك الخلافة ، فقد أجزل له العطاء ، واحسن الصلة ، وانزله منزلة رفيعة ، وحظي بالتقدمة من الوليد بن يزيد . وكان يستمع إليه كثيراً<sup>١٠٢</sup> . ولم يتصل بالخلفاء العباسيين من بعد ولا دنا من مجالسهم . ويقال : إن جعفر بن أبي جعفر المنصور حين ذكر له حماد قال لمن حدثه عنه : ائتنا به لنراه ، فلأجاب حماد سائله : « دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية . ومالي عند هؤلاء خير »<sup>١٠٣</sup> .

تبوأ حماد مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي ، فحظي باحترام معاصريه من العلماء وتقديرهم له - ما خلا أحدهم - أولئك العلماء الكبار الذين عرفوا عن كتب ما كان عليه حماد من نكاه لماع وبصر نافذ وحافظة مسعفة . فاثناوا عليه بالذي هو أهل له ، وقد وصفه راويته الهيثم بن عدي بقوله : « ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد »<sup>١٠٤</sup> . ووصفه معاصره الشاعر الطرماح بن حكيم بأنه « أذكى الناس وأحفظهم »<sup>١٠٥</sup> . أما تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم فكثروا . نذكر في مقدمتهم خلفاً الأحمر ، والهيثم

بن عدي وأبا عمرو الشيباني ، وهشام الكلبى ، والاصمعي ، ومحمد بن كناسة . وقد تطول القائمة ، فيدخل فيها المفضل الضبي وابن الاعرابي وآخرون<sup>١٠٦</sup> ، بيد ان حماداً تعرض لحملة عنيفة بعد وفاته بقرن ومن لدن رواية بصريين ، عاشوا في القرن الثالث الهجري قرن تاجع الخصومات والنزاعات بين علماء البصرة والكوفة ، وقيل في شأنه أقوال متناقضة ، تدعو الباحث إلى ان يتوقف عندهما ويمحصها ليعرف أصلها وحقيقة الدوافع التي دفعت أصحابها إلى إطلاقها . وقد حمل الينا ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء احكاماً في حماد كلها في الإساءة إليه والانتقاص منه . وكان ابن سلام ينقل هذه الأقوال والاحكام عن استاذنه يونس بن حبيب . فحماد من وجهة نظر يونس « غير موثوق به » و« يزيد في الأشعار » ، و« يكذب ويلحن وبكسر »<sup>١٠٧</sup> . وأنه لمن المدهش ان تصدر هذه الأقوال عن يونس العالم البصري المعروف ، ومن الغريب ان ينقلها ابن سلام من غير احتياط او تحفظ فيما ينقل او يروي . ولكننا هنا لا نحب ان نناقش أقوال يونس في حماد كما أوردها ابن سلام . ونرى ان لمضي خطوات في البحث قد توصلنا في شأن حماد وروايته إلى يقين . وإذا ظهر لنا من بعد ان حماداً على عكس ما يصفه يونس بن حبيب . استطعنا ان نرد أقوال يونس في حماد ونرجعها إلى خصومة شخصية بين رجلين معاصرين متنافسين احدهما كوفي والاخر بصري .

اما اذا ظهر لنا صحة أقوال يونس بن حبيب تلك ، وان ثمة ما يؤيدها ويعززها ثبتنا ذلك وأكدناه من غير تجن على الرجل وعلمه ، فنحن لا نرغب في ان نقرر أمراً من غير بثينة او دليل ومن غير ان نقيم الحجة والبرهان على صحته . قلنا ان حماداً حظي باحترام معاصريه وتقديرهم له . ومن معاصريه شيخ جليل من شيوخ العلم في البصرة هو أبو عمرو بن العلاء رأس علماء البصرة في اللغة والأدب واحد القراء السبعة وموقفه من حماد يبينه لنا أبو عمرو الشيباني تلميذ أبي عمرو وحماد معاً . قال الشيباني : « ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد إلا قدمه على نفسه . ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه »<sup>١٠٨</sup> . فمن غير المعقول ان يقدم أبو عمرو هذا العالم الزاهد الورع على نفسه رجلاً « غير موثوق به » و« يكذب ويلحن وبكسر » . والعالم البصري الآخر الذي كان يجلس حماداً ويثق به هو خلف الأحمر . وقد تتلمذ لحماد . وكانت صلته به وثيقة وقوية ومتينة . كان كثير الأخذ منه كثير الصحبة له . وقد ذهب إليه من بلدته البصرة إلى الكوفة ليستقي منه وقد قيل : انه « بلغ مبلغاً لم يقاربه حماد »<sup>١٠٩</sup> . وسواء أكان المقصود ان خلفاً قد برز حماداً في

الرواية وحماد حي أم انه بلغ بعد وفاة حماد مبلغاً لم يكن حماد قد بلغه ، فان الذي لا نرتاب فيه ان حماداً ظل شاهقاً وكبيراً في عالم الرواية ، وانه تميز من معاصريه بكثرة الحفظ وسعة الرواية واتقانها ، وهذا مشهود له . وهو به معروف . ويستوقفنا في صدق الصلة بين خلف وحماد قول يمزى الى خلف هو قوله : « كنت آخذ من حماد الرواية الصحيح من أشعار العرب واعطيه المنحول . فيقبل ذلك مني ويدخله أشعارها . وكان فيه حمق »<sup>(١٧١)</sup> . وهذه حقاً رواية غريبة فهي من جهة صيرت التلميذ يطعن في أستاذه ويصغر من شأنه . وهي من جهة أخرى اظهرت الشيخ مغفلاً جاهلاً . فحماد على وفق هذه الرواية لا يصرفه بالشعر ، فهو يروي ما لا يصح من الشعر ظاناً انه شعر سليم غير منحول ، فمن أجل تنهم الاجواء التي اسندت فيها أقوال الى علماء هم براء منها نمرض شيئاً مما يصور لنا مدى ما بلغه التمصص البلدي عند بعض اللغويين والرواة : فتعجب يري انه « لولا الفراء ما كانت عربية لانه حصنها وضبطها »<sup>(١٧٢)</sup> . ويقول في ابي عمرو الشيباني « كان مع ابي عمرو من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة »<sup>(١٧٣)</sup> . ويقول ابو بكر الانباري : « لو لم يكن لاهل بغداد والكوفيين من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس . اذ انتهت العلوم اليهما »<sup>(١٧٤)</sup> . والرياشي من العلماء البصريين يقول مفاخراً بعلماء بلدته غاضاً من شأن علماء الكوفة : « انما اخذنا اللغة من حرشة الضباب واكله اليرابيع . وهؤلاء اخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواويز »<sup>(١٧٥)</sup> . وابو حاتم السجستاني يقول : « فاذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها او حكيت عن العرب شيئاً ، فانما أحكى عن الثقاة منهم مثل أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة ويونس . وثقات من فصحاء الاعراب وأهل العلم ولا التفت الى رواية الكسائي والاحمري والاموي والفراء ونحوهم واعوذ بالله من شرهم »<sup>(١٧٦)</sup> . والكسائي في نظر البصريين « لنا من الخلفاء ، فرفعوا ذكره . لم يكن شيئاً . وعلمه مختلط بلا حجج او علل »<sup>(١٧٧)</sup> . وهو قد « صار الى بغداد فلقى اعراب الحطمية فاخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن »<sup>(١٧٨)</sup> . اما خلف فبسبب احذه الشعر من حماد فقد اظهرته لنا الروايات خارجاً الى اهل الكوفة ، يعرفهم الاشعار التي ادخلها في أشعار الناس<sup>(١٧٩)</sup> . اما المفضل الضبي ، فقد اظهرته الروايات وهو غير راض عن حماد غير مطمئن الى روايته ، فقد عزي اليه قوله : « قد سلط على الشعر من حماد ما أفسده »<sup>(١٨٠)</sup> . هذه اقوال مفتعلة وغريبة . وليس لها قيمة علمية ، فلا يعمل عليها دارس جاد . ولا يطمئن الى صحتها باحث

محقق . وقد كفانا الدكتور ناصر الدين الاسد مؤونة تعقيد الكثير منها وابطالها<sup>(١٨١)</sup> .

اشرت الى ان الرواة العلماء الذين عاصروا حماداً كانوا يجلونه ويتقون كل الثقة بروايته . ومن اولئك العلماء المفضل بن محمد الضبي الكوفي . وقد ساق ابو الفرج الاصفهاني قصة طويلة للمفضل مع حماد الرواية مؤداها ان عدة من الرواة والعلماء بايام العرب وأدائها واشعارها ولغاتهما اجتمعوا في دار الخليفة المهدي بعيسا باذ وان المفضل دعي الى ذلك الاجتماع او تلك الندوة ثم لم يلبث ان خرج ومعه حماد ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط كما تقول الرواية ثم خرج حاجب الخليفة المسمى حسين الخادم ، فنادى قائلاً : يا معشر من حضر من أهل العلم ، ان أمير المؤمنين يعلمكم انه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين الف درهم لجودة شعره . وأبطل روايته لزيادته في اشعار الناس ما ليس منها . ووصل المفضل بخمسين الفاً لصدقه وصحة روايته وسبب ذلك ان الخليفة المهدي قال للمفضل لما تحدث معه متفرداً إنني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بقوله :

دع ذا وعد القول في هرم ... ولم يتقدم له قبل ذلك قول  
فما الذي امر نفسه بتركه ؟ . فقال له المفضل الضبي :  
ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً الا اني توهمت كان يفكر  
في قول بقوله أو يروي في ان يقول شعراً ، فعدل عنه الى مدح  
هرم ، وقال : دع ذا . أو كان مفكراً في شيء من شأنه فنكره وقال :  
دع ذا ، اي ، دع ما انت فيه من الكد . وعد القول في هرم . فأسك  
عنه الخليفة ثم استدعى حماداً . فسأله عن مثل ما سأل عنه  
المفضل ، فقال حماد : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ،  
قال : فكيف قال : فأنشده :

لن السديار بثقة الخجر  
اقوين مذ ججج ومذ ذفر  
لعب الرياح بها وغيرها  
بمدي سبوا في المور والقطر  
تقرأ بمسدفع النحائت من  
ضفوى اولات الضال والسدر

وتقول الحكاية ان الخليفة لما شك في امر الابيات . استحلف حماداً في شأنها ، فاقر له حينئذ بانه قائلها ، فامر فيه وفي المفضل بما أمر<sup>(١٨٢)</sup> . وكان الدكتور ناصر الدين الاسد قد فند



هذه الرواية مبنياً ان وفاة حماد كانت قبل ان يتولي المهدي الخلافة بنحو ثلاث سنوات من جهة . ومن جهة اخرى فان المهدي لم يبن داره في عيساباذ الا بعد وفاة حماد بنحو تسع سنوات<sup>(١٢٢)</sup> . واذا صرفنا النظر عما ورد في كتاب الاغانى في هذا الشأن . فاننا لم نجد احداً من العلماء شك في ان الابيات الثلاثة التي تصدرت القصيدة هي جزء من قصيدة مشهورة لزهير وقد اثبتتها الاعلم الشنتمري في شرحه لديوان الشاعر<sup>(١٢٣)</sup> . واثبتتها لزهير ايضاً هبة الله بن الشجري فيما اختار من اشعار العرب<sup>(١٢٤)</sup> . ومعروف ان الاعلم اعتمد رواية الاصمعي في روايته لديوان زهير . فالاصمعي اذاً كان قد روى الابيات التي اتهم حماد بنظمها والحاقتها بقصيدة زهير<sup>(١٢٥)</sup> .

لقد إطمئن بعض القدماء ممن جاء بعد أبي الفرج الى روايته ووثق بأن المفضل الضبي وصم حماداً بالكذب ، واطمان الى تكذيب المفضل لحماد الراوية بعض الفضلاء من الباحثين في زماننا ، فالشريف المرتضى في أماليه يقول : « وكان حماد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ، ودسه في اشعارهم ، حتى ان كثيراً من الرواة قال ، قد افسد حماد الشعر ، لانه كان رجلاً يقدر على صنعته ، فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم . وهذا الفعل منه وان لم يكن دالاً على الالحاد ، فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية »<sup>(١٢٦)</sup> .

ولا نريد ان نعتب على كلام الشريف المرتضى بغير ان نقول : ان من نسب اليه بأن حماداً افسد الشعر هو المفضل الضبي وليس « كثيراً من الرواة » هذا اذا صح ما نسب الى المفضل من قوله هذا في حماد . اما القول بأن حماداً يقول شعراً يشاكل الشعر العربي القديم ، فيدس في شعر كل شاعر من القدماء ما يشبه شعره . فسنناقشه في موضع اخر من هذا البحث .

وكما لم تتضح معالم صورة رواية حماد للشعر للشريف المرتضى ، لم تتضح ايضاً للاستاذ يعقوب بكر في قوله : « فاما قول المفضل وقول يونس بن حبيب ، فاننا نثق منها بموقف الحذر فقد كان المفضل معاصراً لحماد والمرء لا ينصف معاصره في اغلب الاحيان ولا سيما اذا كانا من صناعة واحدة »<sup>(١٢٧)</sup> . ولا توافق الدكتور يوسف خليف على قوله : « ان المفضل خصم حماد اللدود ومنافسه الاكبر »<sup>(١٢٨)</sup> . ولا نتفق مع الدكتور ناصر الدين الاسد فيما ذهب اليه من « ان بين المفضل وحماد منافسة شديدة وربما بلغت حد الخصومة والاثام »<sup>(١٢٩)</sup> . فالراجح لدينا ان المفضل روى عن

حماد الشعر ، وانه كان يثق به ويحله . ليس ذلك حدساً او تخميناً ، فان الاعرابي الذي هو تلميذ المفضل وربيته - اذ المفضل زوج امه ، وقد ترس في بيت المفضل يقول في صدد قصيدة لزهير بن ابي سلمى : « لم يروها المفضل من كتاب حماد »<sup>(١٣٠)</sup> . وهذا يعني ان المفضل الضبي كان روى قصائد سواها من كتاب حماد ، وحين اراد الخليفة المهدي ان يعرف شيئاً عن أسرة حماد وحالها بعد وفاة حماد سأل المفضل الضبي بقوله : « ما فعل عياله . ومن اين يعيشون ؟ »<sup>(١٣١)</sup> . وهذا يدل على وجود صلة بين المفضل وحماد ربما كانت صلة التلمذة . لقد كان حماد رأس الرواة الكوفيين وشيخهم الكبير في عصر بني أمية ثم أصبح المفضل شيخ الرواة الكوفيين في عصر بني العباس ، فحماد راوية الامويين . والمفضل راوية العباسيين فليس ثمة منافسة ولا خصومة ولا اتهام بين العالمين .

ومن الرواة العلماء الذين روى عن حماد الاصمعي وكان له منهج في الرواية يقوم على التضييق والتشديد قال فيه ابو الطيب اللغوي انه كان ( يضيق ولايجوز الا افصح اللغات ويلج في ذلك ويمحك )<sup>(١٣٢)</sup> . وكان لا يروي من شعر الاغلب الا قصيدتين ونصف<sup>(١٣٣)</sup> . ويحجم عن رواية شعر ابي ذؤاد الازدي وعدي بن زيد لان الفاضل لم يستجدية<sup>(١٣٤)</sup> . كان الاصمعي تلميذاً مخلصاً لخلف الاحمر كثير الثقة به شديد التعميل على روايته . وقد بسطت ذلك في بحث لي عنوانه « خلف الاحمر راوياً »<sup>(١٣٥)</sup> . وكان خلف الاحمر كما هو معروف تلميذاً مخلصاً لحماد الراوية . ووضح ان رواية الاصمعي موصولة برواية حماد . قال ابو الطيب اللغوي في الاصمعي وعلاقته بحماد : « وروى عنه الاصمعي شيئاً من الشعر »<sup>(١٣٦)</sup> . ولا عجب فقد كان حماد شيخاً لشيوخ الاصمعي خلف الاحمر . واعتقد ان الاصمعي لم يكن مختلفاً عن استانه خلف في الثقة برواية حماد للشعر والاطمئنان الى صحتها . فاستمع اليه يقول موثقاً روايته لشعر امرئ القيس « كل شيء في ايدينا من شعر امرئ القيس هو عن حماد الا انتف سمعته من الاعراب وابي عمرو بن العلاء »<sup>(١٣٧)</sup> . فهذه المقولة تؤكد ان الاصمعي كان موثقاً لحماد متسكاً بروايته . ولكننا نصطدم بموقف اخر للاصمعي من حماد وهو قوله : « جالست حماداً فلم اجد عنده ثلاثمائة حرف . ولم ارض روايته »<sup>(١٣٨)</sup> . اما ان الاصمعي لم يجد عند حماد ثلاثمائة حرف اي لم يجد ثلاثمائة لفظ صحيح او تركيب فصيح مروي عن الاعراب فهو باطل . فحماد مشهور له بسعة الرواية وكثرة الحفظ والشق الاخير من كلام الاصمعي - ان صح له هذا الكلام - فيه غمز لحماد واتهام بالتزوير . واطن

ان طبعة العلاء بين الاصمعي وحماد او نملها كما نتصورها لا تجعلنا نصدق ان الاصمعي حقاً قال هذا الكلام او اطلق مثل هذا الاتهام . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الذي روى قول الاصمعي المذكور هو ابو حاتم السجستاني الذي ستتضح لنا عصبية على علماء الكوفة . ولا اعتقد ان للاصمعي مع حماد صحبة مشهورة او تلمذة طويلة . وإنما الراجع على سواه ان الاصمعي - وكان حدثاً في حياة حماد - تهيأ له ان يحضر طرفاً من مجالس حماد . فاحذ عنه شيئاً من الشعر كما يقول ابو الطيب اللخوي .

### هل ألف حماد كتاباً او خلف أثراً ؟

لا تعد المصادر بما يعيننا على معرفة مصادر حماد في الرواية بيد اننا نستطيع ان نقول انها كانت تتمثل في شيوخه الذين حضر مجالسهم وحلقاتهم العلمية . وهؤلاء الشيوخ هم علماء القراءة والحديث الذين هم انفسهم علماء العربية فلم تكن علوم العربية منفصلة عن علوم الدين في الوقت الذي شب فيه حماد عن الطوق وسعى في اكتساب العلم والمعرفة . فابو عمرو بن العلاء - وهو معاصر لحماد - كان يذهب الى ابن ابي عقرب بصحبة شعبة بن الحجاج . وكانا يجتمعان عنده يقول شعبة : « فاسأله عن الحديث خاصة . ويسأله ابو عمرو عن الشعر واللغة خاصة فلا أكتب شيئاً مما يسأله عنه أبو عمرو . ولا يكتب ابو عمرو شيئاً مما أسأله انا عنه »<sup>(١١٠)</sup> . من الممكن اذاً ان نستنتج ان حماداً اخذ الاشعار والاخبار او رواهما عن شيوخ العلم في القرن الثاني الهجري اولئك الشيوخ الذين لم يتخصصوا بفرع من فروع المعرفة ولم يقتصروا على ضرب من ضروب العلم .

اما المصدر الثاني الذي استقى منه حماد ، فيتمثل في اعراب البادية . وكان معاصرو حماد قد اخذوا اللغة عن البوادي فالخليل بن احمد الفراهيدي ويونس بن حبيب والكسائي جابوا الفياضي باحثين عن اللغة لقية صافية . فهل كان حماد مختلفاً عنهم في هذا الشأن ؟ لا أظن ذلك ، بل ان ثمة رواية تنفي بان بعض الاعراب كان يحضر حلقة حماد العلمية وان حماداً قد استنشد الشعر<sup>(١١١)</sup> .

ومن مصادر حماد في العلم الكتب والمصنفات . وكان حماد قد تحدث عن هذه المصنفات فذكر ان المختار الثقفي عثر في الكوفة على اشعار مدونة . كان يحتفظ بها ملك الحيرة النعمان بن المنذر . وكان النعمان قد امر بشكوى تلك الاشعار التي قيلت في

مدحه وال بيته ثم آلت هذه الاشعار او تسب منها الى آل مروان<sup>(١١٢)</sup> . ويبدو ان حماداً كان مطلعاً على تلك الدواوين . وكان يحتفظ بقدر منها . يبين ذلك قوله :

« أرسل الي الوليد بن يزيد بمئتي دينار . وأمر يوسف بن عمر بحملي اليه على البريد فقلت لا يسألني الا عن طرفيه : قريش وثقيف . فنظرت في كتابي قريش وثقيف . فلما قدمت عليه سألتني عن أشعار بلي . فأنشدته منها ما استحسنته »<sup>(١١٣)</sup> . وثمة رواية تنفي ان الوليد بن يزيد عندما رغب في تدوين اشعار العرب . طلب من حماد ما لديه من الكتب والدواوين ثم ردها اليه<sup>(١١٤)</sup> . وهل استطاع حماد من هذه المصنفات والكتب ومما سمع من الاعراب وما اخذ عن الشيوخ ان يصنف كتاباً ؟ . نعم . لقد ترك حماد بعد وفاته كتاباً وهو على وفق مناهج القدماء عبارة عن أمالي املاها على تلامذته بيد ان المصادر التي اهتمت بذكر كتب القدماء لم تذكر الى كتاب حماد . بل ان ابن النديم يقول : « ولم ير لحماد كتاب ، وإنما روى عنه الناس . وصنفت الكتب بعده »<sup>(١١٥)</sup> . لكننا لا نجد ابن النديم مصيباً فيما ذكر . فثمة اشارات عديدة الى كتاب حماد . فابو العباس تلعب يقول في صدق قصيدة لزهير بن ابي سلمى ( ولم يروها المفضل عن كتاب حماد »<sup>(١١٦)</sup> . وقد كان كتاب حماد بيد هشام بن محمد الكلبي . فحين اورد الكلبي قصيدة لعامر بن الطفيل . قال : « اصبتها في كتاب حماد خلاف روايتنا »<sup>(١١٧)</sup> . ثم اورد الرواية التي في كتاب حماد ووقع كتاب حماد بيد ابي حاتم السجستاني . فقد كان ابو حاتم نقل شيئاً من شعر الحطاية من كتاب حماد وإضافة الى ما توافر لديه من شعر هذا الشاعر . قال ابو حاتم : « وفي كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت اربعة ابيات »<sup>(١١٨)</sup> . وقال في موضع اخر في صدق قصيدة اخرى للحطاية : « هذا آخرها . وفي كتاب حماد الراوية زيادة من هذا الموضع بيتان »<sup>(١١٩)</sup> . وقد اشار ابو الفرج الاصفهاني الى كتاب حماد حين تحدث عن اخبار كسرى ان يظهر ان كتاب عن اخبار كسرى قد احتوى على مائة اخبارية في صدق ملوك الفرس<sup>(١٢٠)</sup> . وفي وسع المتتبع ان يستشف من قراءة لشرح ابي العباس تلعب لديوان زهير بن ابي سلمى ان كتاب حماد كان تحت تصرف تلعب<sup>(١٢١)</sup> . وتلعب هو تلميذ ابن الاعرابي وابن الاعرابي تلميذ المفضل وهكذا كان الكتاب ينتقل من الشيخ الى التلميذ . وبعد وفاة حماد كان كتابه عمدة الرواة والمصنفين من بصريين وكوفيين يأخذون منه ما يحتاجون اليه من الاشعار والاخبار عن ثقة به واطمئنان اليه وكان ابو حاتم السجستاني من اشد المتعصبين على علماء الكوفة . وكان يجنح الى الطعن بحماد والانتقاص من

روايته بيدانه بـ يف ان لا مناص له من الاطلاع على رواية حماد للاشعار والرجوع اليها ففي صدد قصيدة للحطية وجد ابو حاتم في كتاب حماد ابياتاً لم يطلع عليها او لم يعرفها فاضطر الى تدوينها بيد انه قال : « كتبتها ليعرف المصنوع »<sup>(١٨٠)</sup> ، وفي صدد قصيدة اخرى وجد في كتاب حماد زيادة مقدارها بيتان على ما تهيا لديه منها . فاضاف البيتين الى ما توافر لديه من ابيات القصيدة ، ثم قال : « هما مصنوعان مردودان »<sup>(١٨١)</sup> ، وهكذا وقع ابو حاتم في تناقض شنيع فهو يتم ما لديه من نقص في الاشعار بالاخذ من كتاب حماد ، ثم يقول بعد ذلك : ان ما اخذه وضمه الى رويته مصنوع او مردود .

بقيت مسألة القصائد السبع التي اختارها حماد وعرفت بالسبع الطوال او المعلقات السبع . فبعد الذي عرفناه من وجود كتاب لحما . يحتوي على اشعار العرب . لا نستبعد ان تكون هذه القصائد مما احتواها كتاب حماد . نعم يمكن ان تكون السبع الطوال جزءاً او قسماً من ذلك الكتاب الشهير ، وقد لفت هذا الجزء من الكتاب اهتمام من جاء بعد حماد من العلماء والرواة والشرح الذين اعجبوا باختيار حماد هذا . اما بقية اقسام او اجزاء الكتاب وفصوله فلم يتهيا لها ما تهيا لقسم الاختيارات من يعنى بها ويحافظ عليها من الضياع والبعثرة . وهكذا وصل اليها القسم المهم من كتاب حماد المعروف بـ « السبع الطوال » من خلال الشروح كما هو شان كتاب الحماسة لابي تمام الذي لم يصل اليها الا من خلال شروحه لقد توالى الشروح حول الجزء المسمى بـ « السبع الطوال » او « القصائد السبع » من كتاب حماد واهتم اللغويون والتحويون بهذه القصائد الطويلة واجدير فيها مادة يدرسون من خلالها اللغة العربية في نحوها وغريبها وبلاغتها . ونسي الكتاب الاصل الذي يبدوان حمادا ضمنه الاخبار والاشعار والانساب والايام المتصلة بالحياة العربية قبل الاسلام .

**حقيقة الروايات التي تتهم حماداً بنحل الشعراء شعر سواهم والزيادة في الاشعار :**

تقدم الكلام على عدم صحة ما قيل من ان حماداً زاد ثلاثة أبيات على قصيدة لزهير بن ابي سلمى وجعلها في مقدمة تلك القصيدة . وقد بينا زيف هذه الرواية التي وصفت لقاء بين حماد والمفضل الضبي في قصر من قصور الخليفة المهدي وان المفضل هو الذي كشف الزيادة التي الحقها حماد بقصيدة زهير ، وثمة كلام اخر عن نحل حماد الشعراء المتقدمين شعر غيرهم سوى تلك القصة المفضلة ، فقد نقل ابن سلام عن يونس بن حبيب ان حماداً

وفد على بلال بن ابي بردة والي البصرة لعهد هشام بن عبد الملك فانشد بلالاً قصيدة للحطية يمدح فيها جد بلال ابا موسى الاشعري وتذكر الرواية ان الوالي فطن الى ان القصيدة ليست للحطية اذ انه كان يروي شعر الحطية . فقال لحما : ويحك يمدح الحطية ابا موسى ولا اعلم به . وانا اروي شعر الحطية ولكن دعها تذهب في الناس<sup>(١٨٢)</sup> . وقد رأى الدكتور ناصر الدين الاسد ان ما رواه ابن سلام عن يونس في صدد وضع حماد لتلك القصيدة ونحلها الحطية مردود من جهتين اولاهما ان ابا الحسن المدائني ذكر « انها صحيحة قالها فيه وقد جمع جيبشاً للغزو » ، والثانية ان العلماء الذين جمعوا ديوان الحطية وشرحوه يعد حماد اثبتوا هذه القصيدة في ديوانه ، ولم يأخذوا بالرأي الذي اوردته ابن سلام عن يونس . فابن حبيب روى القصيدة عن ابن الاعرابي وعن ابي عمرو الشيباني معاً واثبتها السكري عن ابن حبيب في شرحه لديوان الحطية<sup>(١٨٣)</sup> . وثمة رواية تذكر ان حماداً قدم على بلال بن ابي بردة وكان عنده الشاعر ذو الرمة . فانشدته حماد شعراً يمدحه به على انه من نظمه . فقال بلال لذي الرمة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيد ، وليس له . قال فمن يقوله ؟ قال : لا أدري ، الا انه لم يقله . وتمضي الرواية مظهرة حماداً . وهو يعترف بكذبه ويقر بان الشعر الذي انشده ليس له . وانما قاله « بعض شعراء الجاهلية وتقول الرواية : قال حماد : « وهو شعر قديم وما يرويه غيري »<sup>(١٨٤)</sup> وليس من شك في ان الاضطراب في هذه الرواية لا يخفى على ذي نظر او بصو . فهل بلغ حماد هذه الدرجة من الحماسة حيث يمدح الوالي بقصيدة جاهلية وامام ذي الرمة الشاعر الراوية للشعر الجاهلي ويدعي انها من نظمه وما الذي يدفعه الى هذا التزوير وقد عرفنا كيف كان مقصد طلاب الادب والشعر وكيف ان خلفاء بني امية كانوا يدنونهم ويحيطونه بالرعاية والتكريم مستمعين الى ما يروي من اشعار العرب واخبارها وسيرها .

ذكر ابن عبد ربه في كتاب العقد المفرد قسماً من الروايات التي تتهم حماداً بالزيادة في اشعار القدماء ، فقد قال : « وكذلك كان يفعل حماد الراوية يخلط الشعر القديم بابيات له » ، وقال ابن عبد ربه بعد ذلك : « قال حماد : ما من شاعر الا قد زدت في شعره ابياتاً فجازت عليه الا الاعشى أعشى بكر . فاني لم أزد في شعره قط غير بيت ، فانصدت عليه الشعر . قيل له : وما البيت الذي ادخلته في شعر الاعشى ، فقال :

وانكرتني وما كان الذي نُكرتني  
من الحوادث الا الشيب والطفل<sup>(١٨٥)</sup>

## هل كان حماد شاعراً ؟

لم يشتهر حماد شاعراً قدر شهرته راوياً للشعر . وقد نظم الشعر . لكنه لم يبلغ فيه مبلغ الشعراء الكبار . فالمقطوعات البضغ التي وصلت الينا من شعره لا تدل على موهبة شعرية ولا نستطيع من خلالها ان نتحدث عن شاعريته . وقد اطلع القدماء على شعره فروؤوا انه لم يكن متقوفاً فيه<sup>(١)</sup> ، واورد له ابو الفرج الاصفهاني قوله<sup>(٢)</sup> :

تنكر من سمدي واقفر من هند  
مقامها بين الرغامين فالفرد  
محجل لسعدى طالما سكنت به  
فأوحش ممن كان يسكنه بمدي

ومن شعره ما كتبه الى بعض رؤساء الاشراف وهو قوله :  
ان لي حاجة قرأيك فيها  
لك نفسي فدى من الاوصاب  
وهي ليست ما يبلغها غير  
ي ولا يستطعمها في كتاب  
غير اني اقولها حين القد  
كاك رويدا اسرها في حجاب

فكتب اليه الرجل : اكتب الي بحاجتك ، ولا تشهري في  
شرك فكتب حماد<sup>(٣)</sup> :  
انني عاشق لجبتك الدكناء عش  
تأ قد حال لون الشراب  
فاكسنيها فدتك نفسي واهلي  
اتباهي بها على الاصحاب  
ولك الله والامانة ان اخبر  
هاعمرها امير ثيابي

ورمة رواية تظهر حماداً شاعراً محترفاً يقصد الولاة بشعره مادحاً اياهم نائلاً من عطايهم ما يثاله الشعراء المداحون من اموال مدوحيههم تقول هذه الرواية ان حماداً قصد خالد بن عبد الله القسري أيام ولايته على العراق ومدحه بقصيدة نال بها مالاً من الوالي ، منها قوله :

لا تمذليني سلمى اليوم وانتظري  
ان يجمع الله شعثاً طالما افترقا

بيد ان المشهور المعروف ان الذي زاد في شعر الاعشى بيتاً ، واعترف بهذه الزيادة هو ابو عمرو بن العلاء لا حماد الراوية . فقد قال ابو عبيدة معمر بن المثنى تلميذ ابي عمرو بن العلاء : « ان بشاراً اعلم الناس بالشعر والفاظ العرب ، قال لي وقد انشدني اول هذه القصيدة للاعشى ، فمر هذا البيت : وانكرتني ... : كان هذا ليس من لفظ الاعشى . وكان قوله هذا قبل ان اسمع هذا من قبل ابي عمرو بعشرين سنة »<sup>(٤)</sup> ، وقال يونس بن حبيب التلميذ الاخر لابي عمرو بن العلاء : « سمعت ابا عمرو بن العلاء يقول : ما زدت في أشعار العرب الا هذا البيت : وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا »<sup>(٥)</sup>

وقال ابن جني : « حدثنا بعض اصحابنا يرفعه . قال ابو عمرو بن العلاء - رحمه الله - ما زدت في شعر العرب الا بيتاً واحداً . يعني ما يرويه للاعشى من قوله :  
وانكرتني وما كان الذي نكرت  
من الحوادث الا الشيب والصلعا »<sup>(٦)</sup>

وقال ابن خالويه : « حدثنا ابن مجاهد وغير واحد . ان ابا عمرو بن العلاء قال : ما زدت في شعر العرب الا بيتاً واحداً في قوله الاعشى :  
وانكرتني وما كان الذي نكرت  
من الحوادث الا الشيب والصلعا »

وما قرأت حرفاً في كتاب الله الا باثر ، الا قوله عز وجل  
« وأملئ لهم » فوجدت الناس قد سبقوا اليه «<sup>(٧)</sup> ، فما ذكره ابن عبد ربه إذا باطل .

بقيت حكايتان تتحدثان عن عدم امانة حماد في رواية الشعر وعزوه الى اصحابه وعدم دقته وقلة تحريه : عزيت احدهما الى ابي عمرو بن سعيد بن وهب الثقفي ، وهي انه سأل حماداً ان يملئ عليه قصيدة لاخواله بني سعد بن مالك ، فاملئ عليه حماد شعراً نسبته الى طرفة ، وهو لاعشى همدان<sup>(٨)</sup> ، وتتصل الثانية فيما رواه سعيد بن هريم البرجمي عن يثق به ( كذا ) من ان اعرابياً انشد حماداً قصيدة لم تعرف ولم يدرك من هي . فقال حماد : اجملوها لطرفة<sup>(٩)</sup> ، ولا ترتب في ان هاتين الحكايتين لا تختلفان عما أوردناه من حكايات وقصص افترتها الحزازات والعصبيات وروح التخاسد بين المتنافسين المتعاصرين من الرواة ولا يمكن للباحث ان يمول عليها او يعتمد عليها لانها لا تساوي شيئاً في معيار البحث العلمي .

ان شئت الدهر شملأ بين جبرتك  
فطال في نعمة ياسلم ما اتفقنا  
وقد حللنا بقسري اخي ثقة  
كالبدر يجلو دجى الظلماء والافقا  
لا يجبر الناس شيئاً هاضه اسد  
يوماً ولا يرتقون الدهر ما فتقا  
كم من ثناء عظيم قد تداركه  
وقد تقاوم فيه الامر وانخرقا

ولكن رواية الكوفة ومنهم ابو عمرو الشيباني يروون هذه  
الابيات لقيس بن الحداية في مدح أسد بن كرز<sup>(١٧١)</sup>، الذي أواه  
وأحسن اليه ، بيد ان اغرب ما نجده في صدر شاعرية حماد رواية  
وردت في كتاب الاغاني ايضاً تظهر حماداً شاعراً كبيراً متفوقاً في  
الشعر محسناً له ، فقد اورد ابو الفرج الاصفهاني قول المفضل  
الضبي في شاعرية حماد : « فلا يزال يقول الشعر ، يشبه به  
مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الافاق ،  
فتختلط بأشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم  
ناقد ، واين ذلك ! »<sup>(١٧٢)</sup> ، وقد سبق ان اوردنا قصة قدوم حماد على  
بلال بن ابي بردة والي البصرة ، وكيف ان حماداً انشده شعراً على  
انه من نظمه ، يمدحه به ، وكان ذو الرمة حاضراً في مجلس بلال ،  
فنبه الوالي على ان الشعر ليس لحماد ، وانه « لم يقله » . وهذا  
امر مستبعد لان حماداً لم يقصد الخلفاء والولاة شاعراً بل قصدهم  
راوياً وناقداً للشعر وعالمأ في الايام والانساب واللغات لغات  
العرب ، وكان له في هذه المعارف التي يحسنها مندوحة عن ان  
ينظم الشعر ، يمدح به ولالة الخلفاء .

اما تقويم المفضل الضبي لشعر حماد ، فهو مما وضع على  
لسان المفضل ، وقد سبق ان بينا ذلك . لم يكن حماد بذلك  
المستوى العالي الرفيع في قرض الشعر وتعاطيه ولم يعرف عنه  
انه كان يتهج نهج الشعراء القدماء ، وينسج على منوالهم ، فلم  
يبرز في الشعر من العلماء الرواة والنحويين اللغويين غير خلف  
الاحمر الذي كان « احد الشعراء المحسنين ، ليس في رواية الشعر  
احد أشعر منه »<sup>(١٧٣)</sup> ، وكان خلف كما يقول هارون بن علي المنجم  
« يبلغ من حذقه واقتداره على الشعر ان يشبه شعره بشعر  
القدماء حتى يشبهه ذلك على جلة الرواة ، ولا يفرقون بينه وبين  
الشعر القديم »<sup>(١٧٤)</sup> ، لم يكن حماد إذا « يقول الشعر ، يشبه به  
مذهب رجل ، ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الافاق ،  
فتختلط بأشعار القدماء »<sup>(١٧٥)</sup> ، فكان خلطاً قد حصل بين شعر  
خلف وشعر حماد فانسحبت الاحكام التي قيلت في صدر شعر

خلف على شعر حماد ، فالذي كان ينظم شعراً شبيهاً بشعر  
القدماء هو خلف لا حماد . وقد اورد ابن طيفور في كتابه  
« المنظوم والمنثور »<sup>(١٧٦)</sup> لخلف قصيدة تبلغ سبعين بيتاً ، يجري  
فيها خلف على نمط القدماء كما ذكر ذلك مؤرخو الادب ورواته .  
فوصف شعر حماد بأنه يشبه شعر القدماء امر مرفوض او انه في  
الاقل لا دليل عليه .  
نقد حماد للشعر :

لم يكن حماد راوياً للشعر فقط ، بل كان ناقدأ له ، وشهرته  
في نقد الشعر لم تكن بأقل من شهرته بروايته ، وشان حماد هنا  
مثل شان معاصريه من العلماء الرواة واللغويين النحويين كابي  
عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والكسائي وخلف الاحمر  
والمفضل الضبي والاصمعي وغيرهم فكان هؤلاء العلماء ينتقدون  
قصائد الشعراء في المجالس التي يقيمها الخلفاء والولاة  
للاستماع الى الشعراء وهم يمدحونهم او في المجالس والحلقات  
العلمية في المساجد وكان لنقدهم اثر كبير في سيورة شعر  
الشاعر : فمن نوهوا به ، طارت شهرته وذاع صيته . فلذلك حرص  
الشعراء على معرفة رأي هؤلاء النقاد في شعرهم فسموا الى  
لقائهم واسماعهم قصائدهم قبل القائهم اياها في محافل الخلفاء  
والولاة وكان لحماد شان كبير ومنزلة مرموقة في النقد وقدرة على  
تقويم القصيدة وعلى ابداء الرأي الصريح في شأنها من غير  
استرضاء للشاعر او اطراء في غير محله . فالطرماح بن حكيم  
الذي كان ممجباً بحماد الراوية كما أشرنا الى ذلك من قبل نظم  
قصيدة ، فرأى ان يمرضها على ناقد للشعر ، فالتجأ الى حماد  
وانشده اياها ، لكنه خرج من عنده غير راض عنه متهمأ اياها - بعد  
اخفاقه في امتاع الناقد بجانه رام ادعاءها لنفسه<sup>(١٧٧)</sup> . وعرض ابو  
الغول النهشلي ، وهو علباء بن جوشن ، شعراً له على حماد ، لكن  
نقد حماد لشعر ابي الغول لم يكن ساراً للشاعر فانقلب الشاعر  
على الناقد يهجو به قوله<sup>(١٧٨)</sup> :

نعم الفتى لو كان يعرف به

ويقيم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الدنان فانفه

مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه

فبياضه يوم الحساب سواد

لا يمجبنك بزه وثبابه

ان اليهود ترى لها اجلا

حماد يا ضيماً تجر جعارها  
أخنى لها بالقريتين جراد  
سبعاً يلعبها ابنها ويناتها  
ولها من الخرق الكبار وساد  
وثمة شاعر لم يذكر اسمه قصد حماداً عارضاً عليه شيئاً من  
شعره . بيد ان حماداً رد الشاعر منكراً ان تكون القصيدة التي  
عرضها عليه من نظم ذلك الشاعر فجعل الشاعر يهجو حماداً  
بقوله<sup>١١١</sup> :

سيعلم حمساد اذا ما هجوته  
أأنتحسل الاستعمار ام انا شاعرو  
الم تر حماداً تقسم بطنه  
واخر عنه مباحن المأذ  
فليس برءا خصيتيه ولو جثا  
لركبته مادام للزيت عاصر  
فيا ليتك أمسى قعيدة بيتك  
له بل صلق كومه متواتر  
فحماد نعم العرس للمرء يبقني الـ  
نكاح وينس المرء فيمن يفاخر

ولا عبرة فيما ذكر في هذا الصدد من ان حماداً هو الذي طلب  
من الشاعر ان يهجو ليكتشف قدرته على النظم ان كان شاعراً  
قادراً على نظم الشعر .

ويظهر ان الخلفاء الامويين كانوا يعتمدون تقويم حماد  
لشعر الشعراء الذين يقصدونهم مادحين ، فيحضره الى مجالس  
الشعر ، ليستمعوا الى رأيه فيما ينشد في هذه المحافل الرسمية .  
ويذكر الشاعر مروان بن ابي حفصه انه وفد مع جماعة من  
الشعراء على الوليد بن يزيد ، فوجد عنده رجلاً كلما انشد شاعر  
شعراً ، وقف على البيت والبيت من شعره قائلاً : هذا أخذه من  
موضع كذا وكذا . وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر  
فلان حتى اتى على أكثر الشعر . قال مروان : فقلت : من هذا ؟  
فقالوا حماد الراوية<sup>١١٢</sup> . فقد كان حماد إذا يمارس النقد التطبيقي  
القائم على الموازنات وتبيان مدى تأثر الشاعر بالموروث من  
الشعر ومدى اقتعائه خطى غيره او قدرته على التوليد والابتكار  
في المعاني والتجويد في الاساليب ولذلك فان ما نسب الى  
المفضل من ان حماداً « عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب  
الشعراء ومعانيهم »<sup>١١٣</sup> . صحيح من حيث المضمون . وكان الذي  
عزا هذا القول الى المفضل الضبي كان على علم بمعرفة حماد

العميقة لمذاهب الشعراء معانيهم ، فوصف حماداً هذا الوصف .  
ثم اسند الى المفضل ، ليقول المفضل بعد ذلك في حماد ما لم  
يقله تلميذ في استاذ من طعن وتجريح .

كان النقد في عصر حماد يتجه الى البيت لا الى القصيدة  
عامة فاحسن الشعراء احسنهم بيتاً ومثلاً شادراً . فبراعة الشاعر  
وجودة شعره تتمثل عند المرزوقي في « ان يقوم كل بيت بنفسه  
غير مفتقر الى غيره الا ما يكون مضمناً باخيه . وهو عيب  
فيه »<sup>١١٤</sup> . والشاعر المفضل عند النقاد وعلى وفق قواعد عمود  
الشعر من « كثرت سوانر امثاله وسوارد ابنياته »<sup>١١٥</sup> . فالشاعر  
يحمد ان هو اتى ببيت يستقل في المعنى بنفسه ويحمد اكثر اذا  
كان شطر البيت الواحد مستقلاً عن شطره الاخر مستغنياً عنه  
وعلى اساس هذه النظرة الى الشاعر وشعره كان حماد يقدم  
الناطقة الذبياني على الشعراء المعاصرين له وقال مبينا سبب  
تفضيله الناطقة على سواه : « ان تمتلئ بيت من شعره . اكتفيت  
به . مثل قوله :

حلقت فلم اترك لنفسك ربيبة  
وليس وراء الله للمرء مذهب

وان تمتلئ بنصف بيت من شعره . اكتفيت به . وهو : وليس  
وراء الله للمرء مذهب . بل ان تمتلئ بربع بيت من شعره ، اكتفيت  
وهو قوله : اي الرجال المهذب<sup>١١٦</sup> . ورجح حماد شعر امرئ القيس  
على شعر سواه من شعراء الجاهلية ورجح ايضاً شعر ذي الرمة  
على شعر اقرانه من الشعراء الاسلاميين لما في شعر هذين  
الشاعرين من تصوير فني جميل ، قال : « امرؤ القيس احسن  
الجاهلية تشبيها وذو الرمة احسن الاسلام تشبيها . وما اخر القوم  
ذكره الا لحدادة سنه وانهم حسدوه »<sup>١١٧</sup> . ولاحظ حماد على شعر  
عمر بن ابي ربيعة ، وقد التفاه بمكة شيئاً من السمات المحببة من  
حيث رقة اللفظ وسهولة العبارة وقرب المأخذ فقال فيه : « ذلك  
الفسق المقشور »<sup>١١٨</sup> . واعجب بشعر عبد الله بن قيس الرقيات .  
فقال في شأنه : « اذا اردت ان تقول الشعر ، فارو شعر ابن  
الرقيات ، فانه ارق الناس حواشي شعر »<sup>١١٩</sup> . وذكر انه كان  
معجباً بشعر الاحوص وانه يقدم هذا الشاعر على شعراء النسيب  
المعاصرين له<sup>١٢٠</sup> . اما اختيار حماد من الشعر الذي عرف  
بالقصائد السبع ، فهو في حد ذاته عمل نقدي ، لان الاختيار قائم  
على موقف ومستند الى نظرة فلا بد من وجود اسس بمقتضاها  
يقدم الشعر الذي وقع عليه اختيار الناقد ، ويؤخر الشعر الذي قيل  
في بابيه او موضوعه حين لا يحظى من صاحب الاختيار بالاتفات



ابعدت من نومك الفرار فما  
جاوزت حيث انتهى بك القدر  
لو كان يتجي من الردى حذر  
نجاك مما أصابت الحذر  
يرحمك الله من اخ يا ابا  
القباس ما في صفاته كبر  
فكهذا يذهب الزمان ويفنى  
العلم منه ويدرس الاثر  
رحم الله حماداً فقد خدم العربية خدمة جليلة واخلص  
لابنائها اخلاصاً لا ينكر.

#### هوامش البحث ومصادره

١. الانباري ٨١. « باختلاف يسير ». الاردن ١٩٨٥ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي.
١٩. طبقات النحويين واللغويين ١٩٤.
٢٠. نزهة الالباء ٨٢.
٢١. الفهرست ٦٤.
٢٢. مراتب النحويين ٩٠ « في المطبوع. من الثقات عنهم بدل منهم وهو خطأ نسخي
٢٣. مراتب النحويين ٧٤. معجم الالباء ١٩٠/٣.
٢٤. معجم الالباء ١٨٢/٣ - ١٨٣.
٢٥. مراتب النحويين ٤٧.
٢٦. الاغانى ٨٥/٦.
٢٧. مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الاسد ص ٤٤٣ وما بعدها. القاهرة ١٩٧٨.
٢٨. الاغانى ٥٦/٦ - ٨٧.
٢٩. مصادر الشعر الجاهلي ٤٤٣.
٣٠. اشعار الشعراء الستة « شعر زهير » ٢٢٢. بيروت ١٩٨٢.
- نشر دار الافاق الجديدة.
٣١. مختارات ابن الشجري ٩/١. القاهرة ١٩٧٥ تحقيق علي محمد البجاوي.
٣٢. انظر في هذا الصدد: مصادر الشعر الجاهلي ٥٠٤ - ٥٠٥.
٣٣. امالي الشريف المرتضى ١٢٢/١. القاهرة ١٩٥٤ تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم.
٣٤. رأي جديد في حماد الراوية للاستاذ السيد يعقوب بكر - مجلة الرسالة المصرية في عددها ٦٤٣ وما بعدها لستها الثالثة عشرة ص ١١٧٤.
٣٥. حياة الشعر في الكوفة للدكتور يوسف خليف ٢٧٩. القاهرة ١٩٦٨.

اليه والوقوف عنده فيكون هذا الشعر غير المختار ادنى مرتبة من المختار على وفق ذوق الناقد ومقياسه او معياره لقد بحث حماد في تراث شعري ضخم. وانتهى به البحث الى انتقاء سبع قصائد. عدت من خيار الشعر ونفاثه. وهكذا كان حماد ناقداً كبيراً للشعر العربي فضلاً عن طول باعه في العلوم والمعارف الاخرى. وقد توفي رحمه الله سنة ١٥٥هـ او ١٥٦هـ بعد نشاط علمي وأدبي كبير وخلف تراثاً كبيراً. تناقله تلاميذه من بعده. وكان اولئك التلاميذ معترفين بغضله مقدرين منزلته حق قدرها. وهذا احدهم - وهو الشاعر الراوية محمد بن كناسة يزيهه بقصيدة يقول فيها:

١. الفهرست لابن النديم ١٠٤. طهران ١٩٧١ تحقيق رضا نجدي.
- معجم الالباء لياقوت الحموي ٢٥٨/٩ بيروت ١٩٨٠ دار الفكر.
- وفيات الاعيان لابن خلكان ٢٠٦/٢. بيروت ١٩٦٩ تحقيق الدكتور احسان عباس.
٢. الفهرست ١٠٤.
٣. المعارف لابن قتيبة ٣٣٣. طبقات النحويين واللغويين لابي بكر الزبيدي ١٩١. القاهرة ١٩٨٤ تحقيق محمد ابي الفضل.
٤. الفهرست ١٠٤.
٥. معجم الالباء ٢٦٦/٩.
٦. الاغانى لابي فرج الاصفهاني ٨٣/٦. بيروت ١٩٦٠ نشرة دار الثقافة. تحقيق عبد الستار احمد فراج.
٧. الاغانى ٨٧/٦.
٨. الاغانى ٦٨/٦ - ٦٩.
٩. الاغانى ٦٨/٦.
١٠. الاغانى ٧٨/٦.
١١. الاغانى ٦٩/٦.
١٢. الاغانى ٩٠/٦.
١٣. الاغانى ٨٣/٧. ٢٨٥/٢١ « نشرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ». وانظر في هذا الشأن المفضل الضبي حياته وآثاره ١٢٦ رسالة ماجستير غير منشورة لركي ذاكر العاني. بغداد ١٩٨٨.
١٤. طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٤٨/١ - ٤٩. القاهرة ١٩٧٤. تحقيق محمود محمد شاكر.
١٥. الاغانى ٧١/٦.
١٦. مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي ٤٧. القاهرة ١٩٥٥. تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم.
١٧. الاغانى ٨٨/٦.
١٨. طبقات النحويين واللغويين ١٣٢. نزهة الالباء لابي البركات

٦٣. العقد الفريد لابن عبد ربه ١٢١/٦ . بيروت ١٩٨٧ تحقيق  
د. عبد المجيد الترحيني .  
٦٤. مجالس العلماء للزجاجي ١٨٠ . القاهرة ١٩٨٢ . تحقيق عبد  
السلام محمد هارون .  
٦٥. حلية المحاضرة للحاتمي ٣٩/٢ . بغداد ١٩٧٩ . تحقيق  
الدكتور جعفر الكتاني .  
٦٦. الخصائص ٣١٠/٣ .  
٦٧. شرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه ٥٢٢ . حققه الدكتور محمود  
جاسم الفرويش ضمن كتابه : ابن خالويه وجهوده في اللغة .  
بغداد ١٩٩٠ .  
٦٨. طبقات فحول الشعراء ٤٩/١ .  
٦٩. مراتب النحويين ٧٢ .  
٧٠. المصون في الادب لابي احمد العسكري ٧٥ . القاهرة ١٩٨٢  
تحقيق عبد السلام محمد هارون .  
٧١. الاغاني ١٩٢/٥ .  
٧٢. الاغاني ٧٩/٦ .  
٧٣. الاغاني ١٤٢/١٤ .  
٧٤. الاغاني ٨٥/٦ .  
٧٥. إنباء الرواة للقطبي ٣٤٨/١ .  
٧٦. حلية المحاضرة ٣٧/٢ .  
٧٧. الاغاني ٨٥/٦ .  
٧٨. نشر الدكتور محسن غياض فصله من هذا الكتاب وسمت  
به القصائد التي لا مثيل لها « في بيروت سنة ١٩٧٧ .  
٧٩. الاغاني ٩٠/٦ .  
٨٠. الاغاني ٨١/٦ .  
٨١. الاغاني ٨١/٦ .  
٨٢. شرح ديوان الحماسة ١٨/١ - ١٩ .  
٨٥. الوساطة للجرجاني ٢٢ - ٢٤ .  
٨٦. حلية المحاضرة ٢٤٣/١ العمدة لان رشيق ٢٨٢/١ .  
٨٧. خزائن الادب للبغدادي ١٠٧/١ . القاهرة ١٩٦٧ - ١٩٦٨ .  
تحقيق عبد السلام محمد هارون .  
٨٨. العقد الفريد ١٢١/٦ . زانطر كذلك العقد الفريد ١٥١/٨ .  
٨٩. خزائن الادب للبغدادي ٢١٧/١١ .  
٩٠. طبقات فحول الشعراء ٦٦٨/٢ . ٩١. الفهرست ٤٠١ . وفيات  
الاعيان ٢٠٧/٢ . معجم الادباء ٢٦٦/٩ . سير اعلام النبلاء للذهبي  
١٥٧/٧ . بيروت ١٩٩٢ . تاريخ الاسلام للذهبي ٥٦/٦ . القاهرة .  
مكتبة القدسي .

٢٦. مصادر الشعر الجاهلي ٤٤٤ - ٤٤٥ .  
٢٧. شرح ديوان زهير بن ابي سلمى لابي العباس ثعلب ٣١١ « وروت  
العبارة في نسختين من مخطوطة الشرح فجعلها المحقق في  
الهامش » .  
٢٨. قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق النديم ٣٠٧ ومشق  
١٩٦٩ . تحقيق احمد الجندى . ربيع الابرار للزمخشري ٦٣٢/٢ .  
بغداد ١٩٨٢ . تحقيق الدكتور سليم التميمي .  
٣٩. مراتب النحويين ٤١ .  
٤٠. فحولة الشعراء للاصمعي ٢٥ . القاهرة ١٩٥٢ تحقيق خفاجي  
والزيني . الموشح للمرزباني ٣٣٣ . القاهرة ١٩٦٥ تحقيق علي محمد  
البجاوي .  
٤١. الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٨٢/١ . بيروت ١٩٦٤ تحقيق  
احمد محمد شاكر .  
٤٢. بحث غير منشور مقدم الى مجلة اداب المستنصرية .  
٤٣. مراتب النحويين ٧٢ .  
٤٤. مراتب النحويين ٧٢ .  
٤٥. مراتب النحويين ٧٥ .  
٤٦. المزهر للسيوطي ٣٠٤/٢ . القاهرة تحقيق جاد المولى والبجاوي  
وابي الفضل .  
٤٧. مراتب النحويين ٧٢ .  
٤٨. طبقات فحول الشعراء ٢٥/١ . الخصائص لابن جني ٢٨٧/١ .  
القاهرة ١٩٥٢ تحقيق محمد علي النجار .  
٤٩. الاغاني ٨٩/٦ .  
٥٠. الفهرست ١٠٣ . مصادر الشعر الجاهلي ١٥٧ .  
٥١. الفهرست ١٠٤ .  
٥٢. شرح ديوان زهير ٣١١ ( وروت العبارة في نسختين من  
مخطوطة الشرح ) .  
٥٣. ديوان المقفليات بشرح ابي محمد الانباري ٢٣ .  
٥٤. مختارات ابن الشجري ١٦/٣ .  
٥٥. مختارات ابن الشجري ١٢/٣ .  
٥٦. الاغاني ٣١٩/١٧ . القاهرة ١٩٦٢ - ١٩٧٤ لشوة دار الكتب .  
٥٧. شرح ديوان زهير ثعلب ٢٨٢ . ٢١٣ . ٢٢٥ . ٢٢٦ . ٢٢٧ .  
٥٨. مختارات ابن الشجري ١٦/٣ .  
٥٩. مختارات ابن الشجري ١٢/٣ .  
٦٠. طبقات فحول الشعراء ٤٨/١ .  
٦١. مصادر الشعر الجاهلي ٤٨٨ .  
٦٢. الاغاني ٨٦/٦ .



إن المرأة العربية في بلادنا جفيدة النساء العربيات  
والتي لا تترك الذنوب في قلوبهن مع الرجال الذين لا يهتمون  
بهن ولا يهتمون بهن في البيت والشارع  
والمرأة في بلادنا لا تترك الذنوب في قلوبهن  
والمرأة في بلادنا لا تترك الذنوب في قلوبهن



# المرأة المسلمة ودورها الحضاري

عبد العزيز بن عبد الله

مكتب تنسيق التمريب في الوطن العربي / المغرب

خصومه بأن إنفاة الرجل على المرأة هو ظاهري فقط لأن للمرأة تفوقاً ناصعاً على الرجل في الميدان الاجتماعي لأنها مجبولة على الصونة الاجتماعية وهي عامل المحالطة والتوازن في الهيكل الاجتماعي ، وحتى في الزواج لا توجد مساواة بين الرجل والمرأة لأن لهما حقوقاً وواجبات مختلفة ، فالرجل قوام على البيت وهو الذي يميل المرأة كما يقول الفيلسوف المصري ، لأن المرأة يجب أن تجرد من هموم المادة ، فناموس التطور الحديث يقضي ، في فلسفة كونت الايجابية بجعل الحياة النسوية منزلية يوماً عن يوم ، وتجريدها أكثر ما يمكن من كل عمل خارجي لكفالة وجهتها العاطفية . ويذهب هذا الفيلسوف الى حد حرمان المرأة من الاثر بالمرأة نظراً لكون التكاليف المادية منوطة بالرجال وحدهم .

ثم جاء العالم برودون Proudhon فذكر في كتابه « المدالة » ان الرجل والمرأة غير متساويين وانهما متكاملان ، وبرهن على أن الرجل يتلوق على المرأة من ثلاث نواح : مادياً وفكرياً وأديباً ، فالتفوق المادي ظاهر ، والتفوق الفكري راجع لعجز المرأة عن تصور النسب بين الأشياء فهي قادرة على تصور الأمور منفصلة بعضها عن بعض ، ومن هنا جاء انصرافها للروحانيات والشعر لا للعلوم ، فللمرأة القدرة على الاحتذاء لا على الابتكار والخلق ، لهذا لم نرها في مختلف مراحل التاريخ حققت اكتشافات علمية أو أسست مدرسة أدبية أو فنية . وقد ذهبت مدام جورج صاند الروائية الفرنسية الشهيرة الى حد القول بأن « المرأة بليدة بالطبع » . ولا شك ان هذا الحكم الصارم الذي صدر من امرأة ضد المرأة راجع الى الوضع الخاص الذي يجعل المرأة في نظر برودون محرومة من «روح الجمع والتأليف» عاجزة عن سبر غور الأشياء وإدراك الروابط الدقيقة التي تجعل من جزئيات مختلفة كلاً متناسقاً ووحدة متراسة ، فهي تلهم كل فكرة على حدة ، ولكنها تتعاضد عن

يستغذ المؤرخون أن جميع الأديان والامم قبل العرب، أساءت الى المرأة ، فقد كان الاغريق يمتبرون النساء من المخلوقات المتحطة التي لا تصلح لغير دوام النسل وتدبير المنزل ، وكان جميع قدماء المشركين يظهرون القسوة نفسها على المرأة ، ومن ذلك قوانين الهندوس ، وكان الصينيون والروس والايطاليون والاسبان وقبلهم الرومان يحتقرون المرأة ، كما تدل على ذلك الامثال النائرة عندهم ، وتعتبر جميع الشرائع الهندوسية والاغريقية والرومانية والحديثة المرأة - كما يقول جوستاف لوبون - من فصيلة الاماء او الصبيان ، وقد اتفق ايمان البيعت النبوي مؤتمر في بلاد الرومان تساعل : هل للمرأة روح ؟ ولجميع المؤتمرون على أن النساء أشياء لا روح لها تباع وتشترى ويتصرف فيهن الرجل كيف يشاء .

وتطورت الآراء في أوروبا حول المرأة حتى تبلورت خلال القرن الثامن عشر في نظريات أوجست كونت Auguste Comte الذي من أبعاد الفلاسفة عن فكرة الطبيعة الإباحية في المرأة . فما هو الوضع الذي أعطاه هذا العالم للمرأة في فلسفته الايجابية التي كان لها أكبر الأثر في تشكيل نظريات عصره في الميدان الاجتماعي ؟

يقول الفيلسوف : إن الرجل والمرأة يهدفان الى غايات متباينة في الحياة ، لمرمى الرجل هو العمل ، وغاية المرأة الحب والحنان ، والواجب يدعو الرجل إلى قيادة نشاط الأمة بينما على المرأة الانصياع وبذل النصيحة والتأثير الاخلاقي والتهديب ، لأنها تشخص الحب وترمز الى قوة العاطفة والقلب وتمثل روح التجانس والتقارب ، فتقوى الجنسين متكاملة ، وإذا ما تنافست هذه القوى فيما بينها فانها تنمخض عن السعادة المنزلية والوحدة العائلية .

وهذا النظام الذي يجعل المرأة خاضعة للرجل يسند إليها مهمة رائدة في الحياة الخاصة بينما يحظر عليها التسرب الى الحياة العمومية ، ومن هنا انبثق الاحتجاج ضد « أوجست كونت » الذي اخذ عليه أنصار حرية المرأة حصرها في نطاق ضيق ، ولكن « الفيلسوف الايجابي » يرد على

قصه المؤرخون أنه كان لها من الشأن ما اتفق لأخواتها حديثاً في أوروبا ، وذلك حين انتشار فروسية عرب الأندلس <sup>(١)</sup> ، وقد لعبت المرأة المسلمة أدواراً في منتهى الخطورة أيام كان منها النساء العاملات البارعات والشوارع الماهرات ممن ذاع صيتهن في العصر العباسي في المشرق وفي العصر الأموي في الأندلس .

نعم إن المرأة المسلمة لم تحتفظ بهذا الوضع السامي الذي حولها الإسلام أياه مما جعل تطورها يتحجر أحياناً . وقد أشار ابن رشد إلى سوء وضع المرأة في المشرق من عدم تمكينها من إظهار قواها كأنها لم تخلق إلا للولادة ، وارضاع الطفل . ولعل القريب في النظريات الفلسفية هو أن ابن رشد هذا قد اعترف للمرأة بميزات سامية لم يعترف لها بها حتى أولئك الفلاسفة المحدثون الذين درسنا نظرياتهم ، وذلك حين أكد في تعليقه على جمهورية أفلاطون أنه لا يوجد اختلاف بين الرجال والنساء في الطبع وإنما هو اختلاف في الحكم ، أي أن طبيعة النساء تشبه طبيعة الرجال ولكنهن أضعف منهم في الأعمال ، والدليل على ذلك قدرتهن على القيام بجميع أعمال الرجال كالحرب والفلسفة وغيرهما ، ولكنهن لا يعلنن فيها مبلغ الرجال .

ولقد صقلت الحياة العربية نفسية المرأة فجعلت منها شاعرة بارعة وخطيبة مفوهة ، وقد أحصيت من بين أبرع هؤلاء الشواعر نحو الثلاثين ، منهن : أروى بنت عبد المطلب ، وأم الخير الخطيبة ، وأبيمة أم تابط شرا ، والحارثية المشهورة بالحماسة والفخر ، وحليمة الموصوفة بالحكمة ، وحميصة التي كانت كلما تزوجت برجل ورأت فيه عيباً تهجوه بالشر حتى خشي لسانها العرب ، وسعدى التي تفتت بمشقتها ، وصفية ابنة مسافر التي تكونت في أساليب البلاغة ، وعمرة ذات الشعر المحكم وداوية العرب ، وعمرة الخثعمية الحماسية ، وفاطمة الخثعمية الحماسية ، وفاطمة الخثعمية الكاهنة ، وفاطمة الطراعية التي لم يكن شعرها يخرج عن الحكم والأمثال ، وناجية التي شاركت في الحروب وحرضت على القتال . وفي هذه المجموعة من الشواعر العربيات ألوان شتى تعطينا صورة عما بلغت المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام من مكانة في الأدب والشعر في أدق جوانبه وأعرق فنونه .

وعندما جاء الإسلام انتسح الميدان أمام المرأة ، فشاركت الرجل في العلوم النقية والمقلية ، وطرقت أبواب الشعر وايمتكت في الغناء ، وأصبحت كاتبة بارعة بينما كانت من قبل تقرض الشعر سليقة ، ذلك أن الإسلام لم يجد عند العرب سوى خمس نسوة يقرآن ويكتبن ، منهن حفصة بنت عمر <sup>(٢)</sup> . وقد ترعرعت في أحضان الإسلام الآلاف من النساء اللواتي

تصور الفكرة العامة ، فالرجل أقوى فكراً من المرأة بنسبة تسعة إلى أربعة ، وخلقياً بنسبة ثلاثة إلى اثنين ، ويمكن تلخيص هذه النسب والقول بأن الرجل يفوق المرأة في المجموع بنسبة سبعة وعشرين إلى ثمانية .

والمرأة تفوق الرجل في الجمال ، ومن هنا تقيده وتحدوه إلى العدالة ، وميزة الجمال هذه هي التي تضفي على مهمة المرأة الاجتماعية مغزاهها الكامل .

والجمال هنا جسماني وفكري لأن جثمان الرجل يتملى بجمال المرأة الظاهر بينما يتملى روحه بجمال روحها وروعة نفسيته التي هي مرآة للرجل ، فكثيراً ما تساند المرأة زوجها وتحول بينه وبين الانهيار ولا يتقبل الرجل نظام الزوجية إلا بفضل مثالية المرأة .

أما جول ويشليه Mikhelel فإنه استمد نظريته في المرأة من الثورة الفرنسية ، وقد ذكر في كتابه « المرأة » أن دور هذه في الحياة هو إضفاء طابع السمو على كل شيء حولها ، فهي الشعر الذي يستمد منه الرجل شجاعته كما يستروح منه الطفل مثاليته ، وهي البنيوع الخلقي في العائلة ، كما أن الدين هو مثار الفضيلة في المجتمع ، فالمرأة هي الطبيب الحق . تلك نظريات فلسفية في المرأة كان لها تأثير كبير في

التطور النسوي في أوروبا في العصر الحديث ، مما جعل المرأة تتحرر في جرمانيها ، مثلاً ، بطرس ثقة كاملة في دورها الاجتماعي والتهديبي ، وكذلك في فرنسا حيث صرفت المرأة جهودها لاسترجاع مكانتها داخل المنزل ولمشاطرة الرجل في الحلل الأدبي الكتابة والتأليف .

ولكن تطور العلوم ساعد المرأة أكثر من دعوة الفلاسفة إلى الابتثاق ، فخرجت المرأة في أوروبا إلى معترك الحياة لتكون طبيبة ومحامية وتاجرة وممثلة .

وإذا كانت المرأة الأوروبية قد تحررت داخل إطار الاعراف فإن القوانين المتعلقة بها لم تتغير إلا قليلاً ، فهي ما زالت سجيبة القانون ، لا سيما في فرنسا ، حيث لا يطلق لها مثلاً كامل التصرف في مالها كما عند المرأة المسلمة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وقد بدأت المرأة الفرنسية تتمتع ببعض الحقوق منذ ١٩٠٨ .

لقد تمتعت المرأة العربية حتى قبل الإسلام بمركز اجتماعي لم تحظ به النساء في كثير من أقطار أوروبا حتى في العصور الحديثة ، وقد ذكر غوستاف لويون أن الإسلام كان ذا تأثير عظيم في حال المرأة في المشرق ، فهو قد رفع مستوى المرأة الاجتماعي خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى ، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن بكثير مما في القوانين الأوروبية .. وإذا أردنا أن نعلم درجة تأثير القرآن في أمر النساء وجب أن ننظر اليهن أيام ازدهار حضارة العرب ، فقد ظهر مما

عزكن اصناف العلوم حتى تافس الرجال ، وفرض وجودهن واصبحن استاذات لكبار علماء عصرهن ، وقد ترجم ابن حجر في الاصابة لـ ١٠٤٣ امرأة كان من بينهن العالمات والفقيهات واللغويات والمحدثات<sup>(٣)</sup> وخصص الامام النووي في « تهذيب الاسماء » والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » والسخاوي في « الضوء اللمع » حيزاً كبيراً لترجمة النساء العالمات ، وقد ذكر السخاوي أن السيدة ملك سمعت معه على بعض مشايخه في القاهرة وسمع هو منها في دمشق ، وقد اتهم الذهبي أربعة آلاف من المحدثين ، ولكنه قال عن النساء المحدثات « ما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها »<sup>(٤)</sup> ، وترجم السيوطي لـ ٣٧ شاعرة واقتطع شاذج رابعة من اشعارهن في كتابه المخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق والموسوم بـ « نزهة الجلساء في اشعار النساء »<sup>(٥)</sup> ، وتكلم الامام ابن عساکر على احدى ولتانين امرأة اخذ عنهن العلم<sup>(٦)</sup> ، وقد أورد المقرئ نصاً لنساء الاندلس وأخذ هو نفسه عن الكثيرات منهن كما تكلم عليهن ابن الاثير والحافظ الذهبي مؤرخ الاسلام .

ولعل النساء المسلمات قد حققن موسوعة علمية لم يتأت لامة اخرى أن تحظى بها في مختلف الاعصار والامصار ، وقد قال عروة في عائشة الصديقية : « ما جالست أحداً قط أعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا أروى للشعر ولا أعلم بفريضة ولا يطبخ من عائشة ، وقد ولدت الصحابية أم الدرداء على بيت المقدس وكانت تملأ حلقات التدريس فيحضرها سليمان بن عبد الملك ، وأخذ الامام الشافعي الحديث عن السيدة نفيسة وضمته حلقتها في القاهرة وقامت بالصلاة عليه بعد موته ، وحكى ابن خلكان<sup>(٧)</sup> عن نفيسة هذه أنها كانت تلقى محاضرات يجلس للاتصاف إليها مشاهير العلماء ، وكانت عائشة الحنبلية احدى استاذات ابن حجر العسقلاني في الحديث ، وقد تكلم ابن حجر لزينب بنت محمد بن عثمان الدمشقية المحدثلة الفقيهة وكانت حلقة درسها لا تقل عن الخمسين طالباً للحديث ، كما تكلم ابن حجر ايضاً لزينب بنت عثمان بن محمد التي كانت لها اليد الطولى في علوم السنة ولها رسائل في الفقه والحديث استند عليها كثير من العلماء ، وفي العصر نفسه كانت فاطمة بنت المهدي زوجة لاحد العلماء وكان زوجها يرجع إليها فيما يشكل عليه فاذا ضايقة الطلبة استشارها ، وقد درس ابن خلكان على أم المؤيد ، وأخذت هي عن الرزخشري « صاحب الكشف » وذكر ابن العماد الحنبلي في شذراته عن أم الخير وتخصصها في علم الحديث « أن أهل الأرض نزلوا درجة في العلم بموتها » ، وقد تكلم على عنيدة خمسمائة رجل وامرأة<sup>(٨)</sup> ، وقرأ الخطيب البغدادي صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي التي أسهمت بتصويب

كبير في تكوينه<sup>(٩)</sup> وهي حافظة من رواية البخاري<sup>(١٠)</sup> ، وقد حدثت رقية حليدة ابن مزرع بالاجازة عن شيوخ مصر والشام كابن سيد الناس والمزي وألفت محاضرات في المدينة وهي من مشاهير المحدثين ، وأخذت مسند الشافعي عن الزبيدي ، وذكر الصدي أنها كانت محدثة عصرها وروى عنها مشاهير العلماء ، وقد برعت عائشة بنت علي الدمشقية في النحو والصرف والبيان والعروض والحديث وفتحت حلقة للتدريس ، وكانت عائشة المقدسية ( من حلقة ابن قدامة المقدسي ) سيدة المحدثين بدمشق سمعت البخاري على الحجار وروى عنها ابن حجر وقرأ عليها كتباً عديدة وانطردت في آخر عمرها بعلم الحديث وكانت سهلة في تعليم العلوم لينة الجانب للعلماء ، وقد فاقت العروضية مولاة أبي المطرف بن غلبون هذا الأخير في النحو واللغة والعروض وكانت تحفظ « كامل » المبرد و « نوادر » القائي وتشرحهما ، وكانت فاطمة بنت الشيخ جمال الدين الدمشقي من المحدثات اجازها معظم علماء القرن السابع في الشام والعراق والحجاز وفارس ، والفقيهة فاطمة الصمر قندية زوجة علاء الدين القاشاني ألفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث وانتشرت مصنفاتها بين العلماء ، ويلفت شهدة الديلمورية بين علماء القرن الثاني عشر منزلة في اسناد الحديث لم يبلغها أحد حتى نُقِيت بـ « مسندة العراق » ولها رسائل عديدة في الحديث والفقه والتوحيد ، وليلى الاندلسية العالمية بالنحو والشعر والحساب وسائر العلوم ، وقد تولت عالمة زمانها فاطمة بنت قمر يزاد المتوفاة عام ٩٦٦ مشيخة مدرسة الزجاجية ومدرسة المعادية وانتهت إليها الرئاسة بحلب .

لما الشواعر والادبيات والكاتبات اللواتي نبغن في الاسلام لهن كثرات جدا منهن حسب حروف الهجاء : أسماء العامرية التي مدحت عبد المؤمن بن علي في قصيدة طلبت منه فيها رفع الضريبة عن دارها والحجر على أموالها ، ولم العلاء الحجازية التي لها قصائد موشحات ذكرها صاحب المغرب ، ولم الكرام ابنة الممتصم صاحب المرية صاحبة الموشحات ، ولما العزيز الاندلسية التي ذكر جملة من شعرها ابن دحية في « المطرّب من اشعار المغرب » ، وبثينة ابنة الممتد ، وتكية ابنة أبي الفرج ذكرها الحافظ السلفي في تمليله وأخذت عنه العلم بالاسكتورية ونظمت القصائد الخمرية والحربية مبرهنة عن طول باع المرأة في كل ذلك ، وحلصة بنت حمدون الاندلسية ، وحمنة بنت زياد المنتبة بخنساء المغرب ، والشاعرة الشبلية التي كانت تجالس الملوك وتناظر الشعراء والتي وجهت الى يعقوب المنصور بقصيدة تنظلم فيها من ولاية شلب ، وعائشة القرطبية التي كانت تدح الملوك وترتجل الشعر ارتجالاً ، وروى ابن حيان أنها أعفل بنات عصرها ،

وعائشة الباعونية صاحبة القصيدة البديعية التي نظمها على منوال تقي الدين بن حجة والتي درست في الشام ومصر وأجاز لها العلماء بالافتاء والتدريس ولها مؤلفات في الادب والفقه وديوان شعر وكانت تكتب الادباء وتستفتي في المشاكل اللغوية والفقهية والادارية وتجتمع بالملوك فتجد منهم اذناً مصغية ، وعائشة التيمورية ، وعليه بنت المهدي أخت الرشيد لها ديوان شعر ، وعمرة ابنة الخنساء ، والشاعرة الفسائية من شواعر الاندلس الموصوفات في المائة الرابعة ، وفضل الشاعرة من مولدات البصرة ولبابة زوجة الامين بن هارون الرشيد ، ولبلى الاخيلية ، ومهجة القرطبية صاحبة ولادة بنت المستكفي الشاعرة التي كانت تناضل الشعراء وتجادل الادباء وتلوق البرعاء ، وكانت زوجة الفرزدق أدبية نقادة يحتكم إليها شعراء العصر ، كما كانت مريم بنت أبي يعقوب الانصاري تعلم النساء الادب ولا يخلو كتاب من كتب التراجم او الادب من أمثلة حية لنشاط المرأة العربية في مختلف الميادين .

وقد ساق غوستاف لوبون في « حضارة العرب » جملة من هؤلاء من ببلهن فاطمة التي كانت تنسخ للحكم الثاني والتي أعجب العلماء برسالته في الفنون والعلوم ، وخديجة الشاعرة ، ومريم التي كانت تعلم بنات الاسر الراقية في اشبيلية العلم والشعر فتخرجت في مدرستها نساء بارعات ، وراضية نابغة عصرها في القريض والقصص الرائعة والتي جالت في الشرق حيث كانت محط هتاف العلماء في كل مصر . وورد في « خلاصة الآثار »<sup>(١١)</sup> أن بنت ابن الصالح صارت شبيخة للطلب بدار الشفاء المنصورية بمصر بعد وفاة والدها .

ويذكرون من بين صالونات الادب التي كانت مجعاً لكبار المفكرين مجلس سكرية في الحجاز ، ومجلس عليه بنت المهدي ، ومجلس الفضل في بغداد ، ونزهون في غرناطة ، ولولادة بنت المستكفي ، وتحدث ابن جببر عن مجالس العلم والادب التي شاركت فيها المرأة بحضوره في القرن السادس . وهكذا انفتح مجال العلم أمام المرأة المسلمة في مختلف الاعصار والامصار ، وقد أثار الفيلسوفندي صاحب « صبح الاعشى » مشكلة الثقافة النسوية فقال : « لم يرو أن أحداً من المتقدمين أنكر على النساء هذا الحق » .

أما في الميدان العسكري فقد ذكر الطبري<sup>(١٢)</sup> أن النساء كن يجهزن الجيش في حروب القادسية ، وضربت صفية المثل الرابع في البطولة الاولى للمرأة المسلمة<sup>(١٣)</sup> وشهدت أم سليم والدة انس بن مالك المفازي كلها<sup>(١٤)</sup> ، وشاركت أم عمارة مع زوجها في غزوة أحد وحرب اليمامة ، وأصبحت اثنتي عشرة أصابة في غمرة المعارك ، وصاحت خولة في جموع النساء بدمشق فاستطعن ثلاثين جندياً للعدو ، ونقل ادوارد جيبين في تاريخه هذه الواقعة فقال : « كان هذا الجيش من الجنس الناعم

جديراً بالإجلال والتقدير إذ كانت المسلمات ماهرات في ضرب السيف واستعمال الرماح ورمي السهام واستطعن بتلك الخلال أن يحالفن على غلافهن في ظرف دقيق وموقف حرج . وفي موقعة اليرموك ثارت الفهرة والحمية في النساء فبرزن من خيامهن واقتلن أعدتهن وحملن ما استطعن حمله من السلاح وأنزلن بالعدو هزيمة تكراء . وذكر ابن الاثير أن أسماء بنت يزيد قتلت وحدها تسعة من جنود الروم . وتقدمت جورية أخت معاوية بفرقة من النساء وألحقت تناضل في اليرموك حتى جرحته . وفي يوم التمويم ( اليرموك ) كانت أسماء بنت أبي بكر تقاتل الى جانب زوجها الزبير بن العوام . وبارزت غزالة الحجاج فلاذ بالفرار . وكانت والدة أسامة وأخته تحاريان في الحروب الصليبية . وفي الهند قتلت رضية سلطنة الاسد بضربة من سيفها البتار ، وكانت تتخذ زينتها من الاسلحة والدروع . وفي إحدى الغزوات نشر النساء خُفُزَهُنَّ وجملنها رايات وزجلن نحو العدو حتى ظن المشركون أنها نجدة وأنهزمنوا<sup>(١٥)</sup> . وكان لخزانة ابنة خالد حظ والبر من الادب والفروسية وقد حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت معه المعامع وحضرت معركة الخرة ، وكانت خولة الكندية تلوق الرجال فروسية وبسالة ، وحضرت مزروعة الحميرية وفتوح الشام ومصر مع خالد بن الوليد . وفي القرون الاخيرة أخذت نساء مصر المساكين الفرنسية الى دورهن وقتلنهم ورمينهم في الابيار<sup>(١٦)</sup> .

أما في الموسيقى والغناء فهناك العشرات ممن كان لهن الباع الطويل والبراعة الخارقة وقد ذكر معبد عن جميلة الخزرجية أنه لولاها لما كان هو وزملاؤه مغنين وكان يتحاكم اليها أهل الفن في مكة والمدينة والبصرة . وتعتبر عزة الميلاء أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز وألفت الحاناً غربية وطلنت أهل المدينة رجالاً ونساء .

ولم يخل عصر من العصور ولا بيئة من البيئات في الامصار الاسلامية الى يومنا هذا من نساء نافسن الرجل في جميع حقول المعرفة مع وقار وصيانة . وقد يخيل للناس أن المرأة المسلمة انحطت في المجموع بالنسبة للمرأة الاوروبية . ولكن مؤلف « حضارة العرب » الذي صنف كتابه عام ١٨٨٠ أكد « أن حالة النساء المسلمات في عصره كانت أفضل من حالة اخواتهن في أوروبا » . وأنه اذا كان هناك انحطاض في مستواهن فقد حدث « خلافاً للقرآن لا يسبب القرآن » . وزادت النهضة الحديثة المرأة المسلمة شعوراً بمركزها الممتاز الذي حوله الاسلام إياها الذي ضرب المثل السامي فيه نساء كن رمز النبوغ والطهر والعفاف أزيد من ثلاثة عشر قرناً وقد ذكر صاحب « تخرير الدلالات السمعية »<sup>(١٧)</sup> من ولاء عمر من النساء لمر السوق . وذكر صاحب « العقد الثمين »<sup>(١٨)</sup> الشفاء وتوليها أمر

الصوق وتعليمهما النساء الكتابة . وتولت فخرمانة لام المقتدر المظالم فكانت تجلس يوماً في كل أسبوع<sup>(١٤)</sup> .

هذا وقد لعبت المرأة المصرية دوراً بارزاً في المجتمع في مختلف مراحل التاريخ ، وإذا لم يكن هذا الدور ناصعاً في كثير من الأحيان فإنه لم يكن كذلك باهتاً إذا لاحظنا أن الوسط النسوي المصري الذي تبغت فيه عالمات شهيرات كان قبل كل شيء مدرسة للتربية ومعملًا اقتصادياً ، فكانت المرأة ربة البيت وزايعته والمشرفة على الحقل والسواكن في البادية ، والصانعة الماهرة في الحضر والوبر ، وللمرأة حقوق اقتصادية أكثر مما للرجل لأن الإسلام يحولها حق الانفاق في البر من مال زوجها بينما يحظر على هذا التصرف في مال زوجته بدون انھما . وكانت المرأة في هذا وذاك محط احترام الرجل ومثار حبه إلا في النادر ، بل أن بعض النساء أظهرن براعة إدارية ولباقة وحكمة جعلت منهن مستشارات لأزواجهن الأمراء والرؤساء ، وساهمت المرأة كذلك بحفظ وافر في الأسلاف ورصد الأوقاف للمعوزين وإقامة الصماهد ، ويكفي أن تعلم أن جامع القرويين إنما أسسته فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبد الله الطهرى عام ٢٤٥ هـ ، بينما قامت أختها مريم جامع الأندلس الذي كان ينافس جامعة القرويين حوالي القرن الرابع الهجري وصار بعد ذلك أكبر فروعها .

وقد نبئت في العهد الأديسي الأميرة الحسنى بنت سليمان النجاشي زوجة المولى اديس الأزهر الذي كان لا يفعل شيئاً إلا بموافقتها ، وكانت إليها المشورة في دولته<sup>(١٥)</sup> وقد أنار محمد الكائنوني في مخطوطه حول « شهيرات المغرب » إلى بعض من نبغ من النساء ، فذكر عاتكة بنت الأمير علي بن عمر بن اديس زوجة الأمير يحيى بن يحيى بن محمد التي كان لها أثر في مصير السياسة المغربية وخروج الدولة من بني محمد بن اديس إلى بني عمر بن اديس ، وكان الناس قد قاموا على زوجها الذي مات بفاس غماً ، فاستنجدت هي بوالدها علي بن عمر صاحب صنهاجة وغماره وغيرهما من الزيف المغربي ، فجهش الجيوش وأحمد الثورة واسترجع فاساً عام ٢٨١ هـ . وقد ذكر صاحب المنجب<sup>(١٦)</sup> أن في دولة الحموديين الأديسية لم يثبت محمد بن اديس إلا بفضل رباطه جاش والدته التي كانت تقوى منه وتشرى على الحرب بنفسها .

وفي عهد المرابطين اشتهرت زينب النفاوية الهوارية زوجة يوسف بن تاشفين إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة ، ولها بنى ابن تاشفين مدينة مراكش كما في « الاستبصار » ، وكذلك تميمه بنت ابن تاشفين التي كانت راجحة العقل جيدة النادرة ، جمعت ثروة اشرفت على ادارتها بنفسها وكان لها كاتب تحاسبه . وقد لعبت قمر زوجة علي بن يوسف دوراً في سياسة الدولة وكان الأمير يدبر كل الشؤون

العمومية بإشارتها . وكانت حواء بنت ابراهيم المسولي تقرأ وتحاضر بالأدب . كما كانت أختها زينب تحفظ جملة وافر من الشعر . وكانت حواء بنت تاشفين من شهيرات نساء عصرها . وقد قامت فاطمة بنت عمر بن بنتان بدور خطير في الدفاع عن الدولة اللتونية ، فهي من البطلات التي يحق للمغرب أن يخلد ذكراهن ، فقد استماتت في الدفاع بحد السيف عن قصر الخلافة بمراكش ، وناضلت نصف يوم قبل أن يستسلم أسحق بن علي ويدخل الموحدون إلى العاصمة عام ٥٤٥ هـ ، وقد أثار استبسال هذه المذراء اللتونية إعجاب الموحدين في ذلك العصر .

وفي أيام الموحدين درست أم بنت القاضي عبد الحق بن عطية على ولدها وأخذ الناس عنها العلوم ، وهي والدة أبي جعفر أحمد الأديب طبيب المنصور ولها تاليف في الوعظ والارشاد<sup>(١٧)</sup> . وقد درست زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن علم الأصول على أبي عبد الله بن ابراهيم أمام التمايم والفتون فكانت عالمة . وحلصة الركونية كانت أستاذة نساء دار المنصور بمراكش وكانت أدبية زمانها<sup>(١٨)</sup> بل أستاذة عصرها<sup>(١٩)</sup> وهناك أيضاً أم عمرو بنت أبي مروان ابن زهر طبيبة دار المنصور كانت تدأوي نساء القصر وأطفاله وكانت تستلتي في الطب ، ولها بنت هي ابنة أبي العلاء كانت عالمة بصناعة الطب والولادة ، وورقاء بنت يثان الفاسية الأديبة الشاعرة ، ولم العلاء العبدرية نزيلة فاس كانت تعلم القرآن بفروناطة ، ولما العزيز السبتي لها أشعار رائقة ، ولم المز العبدرية كانت معجوبة بالسبع وروت عن أبيها صحيح البخاري ، وزينب القرقلية سمعت على أبيها وكانت ضابطة مثقفة وكانت زوجة عتيق الفسائي لزيل مراكش والغصات أستاذة في القراءات السبع<sup>(٢٠)</sup> ، وأم المجد مريم بنت أبي الحسن الفافلي الذي فتح مدرسة للفراء في سبتة وحبس عليهم أول مكتبة بالمغرب قد درست الحديث ووصلها بالمعجوز المسندة محمد بن القاسم السبتي في « اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار »<sup>(٢١)</sup> ، وخيرة الفاسية التي كانت تضرر مجلس عثمان السلانجي أمام أهل فاس في الأصول ولها اليد العليدة البرهانية على طريقة الأشعري .

ونبئت في عهد المرينيين فاطمة وأم هاني بنتا محمد بن موسى العبدوسي وهما طبيهتان ، وأم البنين اللقية جدة الشيخ زروق وسارة الحليبة الفاسية وهي أستاذة شاعرة من طبقة عالية في الادب توفيت بفاس حيث اجازت عبد الله بن سلوم ولها قصيدة اجابت بها ابن رشد السبتي ومدحت في أخرى مالك بن المرحل . ومن النساء البارعات صفية المزربية السبتي وهي من فضليات نساء عصرها في العلم والصيانة ، وصبح جارية الحكيم الجزناني فيلسوف المغرب وطبيب وكاتب



ديوان الانشاء في دولة أبي الحسن المويني لقنها العربية فتلقت الشعر، وست العرب بنت عبد المهيمن الحضرمي السبتي أجاز لها ابن رشيد عام وفاته ٧٢١ هـ<sup>(٣٦)</sup>، وأمة الرحيم السبتي أجاز لها جماعة، ولم قاسم زهرة جدة الامام حسن المرادي الاسفي المعروفة بالشوخة.

ولم تكن المرأة المغربية في هذه العصور تختلف عن اختها العربية في شجاعتها ورباطة جأشها لا سيما في الصحراء أو الجبال التي ابدلت منها المرابطون والموحدون والمريشون، وكانت قبائل بني مرين تخرج بجميع المعاليات في الحرب كما وقع في الفزة التي تقابل فيها أبو يوسف بن عبد الحق مع يفراس بن زيان في تلمسان حيث برزت الجمال المحلاة والمراكب الملبسة بالدباج والقباب المزينة والجواري المولودات تقودها الرجال في احسن رزي واتم جمال<sup>(٣٧)</sup>.

وفي عهد الوطاسيين كان للسيدة الحرة صيت واسع في المهدان السياسي، فقد وردت ترجمتها مطولة في مجلة هسبريس (النصف الثاني لعام ١٩٥٦ ص ٢٢٢) وولدت هذه السيدة عام ٩٠٠ هـ ودرست العلوم على عدة شيوخ ويظهر أنها درست اللغة الاسبانية لان والدتها لالة زهرة أندلسية تزوجت على ابن رائد قائد شفشاون عندما كان بجاهد وهو شاب في العدة، وبذلك كان للسيدة الحرة نوع من الاستعداد للذوق السياسي الذي لمعته فقد تزوجت علي المنظري وانتقلت معه الى تطوان، حيث وجدت وسطاً أندلسياً متلقاً رقيق الحاشية كالذي ربيت فيه وكان زوجها في تضال مستمر مع البرتغاليين في طنجة واصيلاً، وكذلك في سبتة مما ساعد السيدة الحرة على لمس الدساس السياسية التي كانت تحاك في ذلك العصر ضد المغرب، وعندما مات المنظري تزوجت مولاي علي بن عمر الحسن الذي ولدته منه<sup>(٣٨)</sup> بنتاً زوجها لاحد حفدة المنظري الذي كان والده قائداً في تطوان والذي عرفت كيف تنحيه لتجعل صهرها الشاب في منصبه وتستفيد هي نفسها بالقيادة المطلقة في تطوان وبالجهد ضد المسيحيين، وكان لها بواخر تقرص في الشواطئ الاسبانية كما كانت لها علائق طيبة مع الاتراك وسلطان فاس، وفي عام ١٥٤١ تزوجت السيدة الحرة مولاي احمد الوطاسي الذي تركها في تطوان وكلها بالاتصال بالبرتغاليين، وكان لها تفاهن مع والي سبتة التي كانت تطمح هي الى احتلالها بينما كان والي البرتغالي يطمع في تطوان لترويج منتجات بلاده داخل المغرب.

لما تمدين السعديين فقد تم على يد العريفة بنت بنحو التي لفتتهم مظاهر الحضارة الملوكية لا سيما داخل القصور والبيوتات<sup>(٣٩)</sup>، وكان لمصودة الوزكيتية والدة المنصور الذهبي عناية باصلاح السبل وعمارته وتشيد الخانات

بالامكنة الخالية وبناء القناطر ( اصلحت جسر وادي أم الربيع عام ١٠٠٠ هـ ) وتجهيز البيتمس وتزويج الارامل وهي التي أسست مسجد باب دكالة بمراكش عام ٩٦٥ وأولقت عليه نحو سبعين حائوتاً وغيرها وأقامت بارائه مدرسة للطلبة الغريباء ومكتبة وذخائر كتب على بعضها بخط يدها، والاميرة سحابة الرحمانية أم عبد الملك الغازي التي لمعت دوراً كبيراً في حمل الخليفة التركي على اصدار أمره لوالي الجزائر بمساندة ولدها على استرجاع ملكه بالمغرب عام ٩٨٣، وأم كلثوم بنت الشيخ بناصر قرات الوغلبسية في الفقه والبودة في السيرة. والنساء الناصريات في درعة متملمات على وجه الموم ولا تظليل بصرد أسماهن.

وفي العهد العلوي طار صيت الاميرة خنانة بنت بكار المغاربة زوج المولي اسماعيل، فقد ذكر صاحب الجبش<sup>(٤٠)</sup> أنها حصلت العلوم، وقد كتبت على هامش «الاصابة» لابن حجر، وكانت تصدر عنها ظواهر ومراسيم في بعض الشؤون القبائلية في عهدي مولاي اسماعيل وولده عبد الله. وكان زوجها يستشيرها في بعض الشؤون، وقد قال عنها الرحالة الاسحاقي أنها كانت لزوجها وزير صدق وبطانة خير.

ومن النساء العالمات عائشة بنت بونافع الفاسية والدة عبد المجيد الزيايدي كانت تحضر مجالسه العلمية، والزهره بنت محمد الشرقي زوجة اليوسي كانت شبيخة فقيهة أخذت عن زوجها بالاجازة جميع مروياته وأخذ عنها ابن أخيها العلوي محمد بن الطبيب الشرقي، وخديجة بنت عبد الله الحوات كانت تعلم النساء المنقطعات، وسكينة بنت السلطان مولاي عبد الرحمن كانت طلمة للكتب والدواوين، والفقيهة فاطمة زويتين، وأم قاسم الحسنات، وزينة بنت الحاج ابن العايش الهقوية الادبية الفقيهة العارفة بالعربية واللغة والتفسير والشعر والسيرة وأسرار الحروف والاسماء والتوحيد والبيان والصرف كان يدرس عليها الرجال والنساء مختلف الفنون - كما يقول الكانوني - وكانت في مجالس التفسير تتوغل أسباب النزول وعلوم القرآن وأنساب العرب والتاريخ توفيت أوائل القرن الرابع عشر، وصفية بنت المختار العالمية في التجويد والتفسير والسيرة والدحو وكانت منتصية للتدريس وهي شكوخية، ومثلها مهمونة بنت الشيخ محمد الحضرمي التي كانت راوية للأشعار ومشاركة في العلوم، وأختها ربيعة التي كانت لها عارضة في الادب والشعر نقادة للشعراء، وهند زوجة ماء العينين المشاركة في مختلف الفنون، وخديجة بنت الامام محمد العتيق وكانت تبذ في العلم عالمات عصرها بل وكثيراً من علمائه، وقد نبذت في الشعر نقادة من شكوخ اسمها مريم كما في «الوسيط في أدباء شكوخ»<sup>(٤١)</sup>.

وفي أوائل هذا القرن كانت العالمية ابنة الطبيب بن كيران

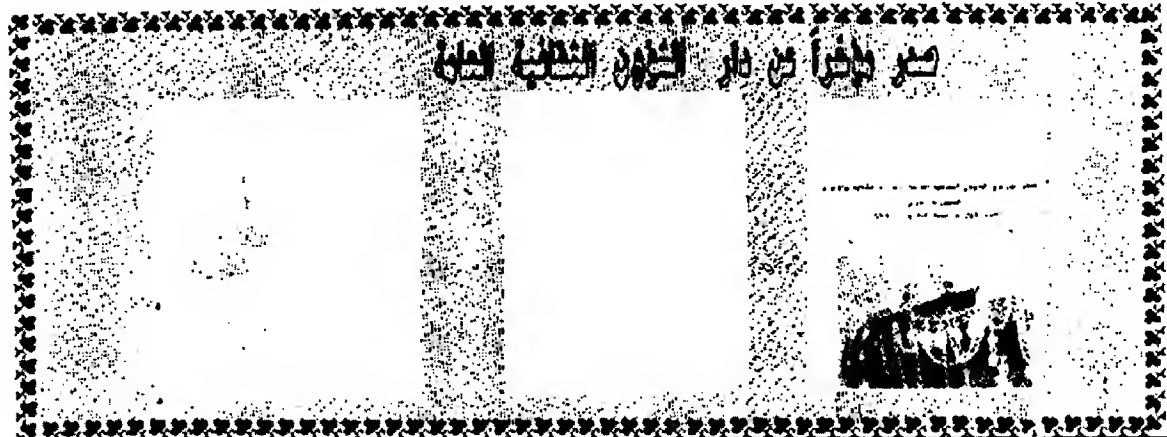
العصر والرجال وقت الظهور ، وقد أورد السخاوي (٣١) عشرات من النساء الفاسيات .  
ولا تكاد نحصى الاستاذات أو النسوة المثقفات اللواتي كن يعشن في حواضر المغرب ويؤايدنه .

تدرس المنطق في جامع الاندلس من وراء حجاب ، وكان لها ضلع في مختلف الفنون ، وانفصدتنا رواية أحد طلبية القرويين الذين روى عنهم مولييراس حوالي سنة ١٨٩٥ م نلاحظ أن غائب نساء فاس كن قارئات لهن المام بالادب خصوصاً قصائد الامام الفروناطي ، وكان النساء يحضرن دروس العالية بعد

#### الهوامش :

- ( ١٧ ) ج ٤ ص ٤٦١  
( ١٨ ) صلة تاريخ الطبري لمريب بن سعد ص ٧١  
( ١٩ ) الدرر السنية ص ٨  
( ٢٠ ) ص ٤١  
( ٢١ ) ابن عبد الملك : التكملة .  
( ٢٢ ) الدر المنثور في طبقات ربات الخدود ص ١٦٥  
( ٢٣ ) ابن الخطيب : الاحاطة  
( ٢٤ ) ابن عبد الملك : التكملة  
( ٢٥ ) ص ٥  
( ٢٦ ) زاهر الرياض  
( ٢٧ ) الاخيرة السنية ص ١٤٦  
( ٢٨ ) وهم كاتب المقال فاعتقد ان الست الحرة وعالمة لم ابن عسكر شخصية واحدة وهو خلاف ما يلهم من ابن عسكر في « دوحة الماخر » ( الطبعة الحجرية ص ١٩ وقد نبه على هذا اللط صديقنا الاستاذ محمد داود في « مختصر تاريخ تطوان » ص ٣١ )  
( ٢٩ ) تاريخ الدولة السعدية ص ٢٥  
( ٣٠ ) ص ١٠٥  
( ٣١ ) ص ٣٣٧  
( ٣٢ ) الضوء اللامع ج ١٢

- ( ١ ) حضارة العرب : ص ٤٨٨  
( ٢ ) البلاذري ص ٤٥٨  
( ٣ ) الجزء الرابع : ص ٤٢٤ - ٩٨٤  
( ٤ ) ميزان الاعتدال : ج ٢ ص ٣٩٥  
( ٥ ) صدر الكتاب محققاً من قبل د . صلاح الدين المنجد - بيروت - دار الكتاب الجديد  
( ٥ ) ياقوت : معجم الادباء ج ٥ ص ١٤٠ والنعماني ج ١ ص ١٠١  
( ٦ ) الوفيات ج ٢ ص ٢٥١  
( ٧ ) المجلة الاسبوعية سنة ١٩٣٠ ص ٥٠  
( ٨ ) ياقوت ج ١ ص ٢٤٧ ، صلة ابن بشكوال ج ١ ص ١٣٣  
( ٩ ) كامل ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٦  
( ١٠ ) ج ١ ص ٢٠٤  
( ١١ ) ج ٦ ص ١٧ ، ٢٣  
( ١٢ ) ابن الاثير  
( ١٣ ) لشد الفاية  
( ١٤ ) كامل ابن الاثير ج ٢ ص ٢٠٧  
( ١٥ ) رسالة لقولا الترك ص ١١١  
( ١٦ ) ص ٢٧٥



# الإسهامات الجهادية للمرأة العربية

## في ملاحم الإسلام التاريخية

العميد : عبد الجبار محمود السامرائي

عضو اتحاد المؤرخين العرب

وبعد الهجرة النبوية الشريفة ، كانت الدولة العربية الإسلامية التي أقامها المسلمون بالمدينة ، هي سلاح العرب الأول الذي استطاعوا به مواجهة الخطر والتحدي ، بل ومطاردة مصادر هذا الخطر ، وذلك التحدي ، حتى إذا استتب الأمر للمسلمين بعد إيقاع الهزائم تتلو الهزائم بالمشركون والمرتبدين ، انفلتحت صفحة جديدة في تاريخ الشرق ، أصبحت القيادة فيها للعرب ، وكان أمر منازلة العرب للفرس والروم حتمياً ، لتحرير الأرض العربية الواقعة تحت سيطرتهم منذ قرون ، وهي : أرض العراق والشام .

لقد نهضت الدولة العربية الإسلامية بهذه المهمة التحريرية على عهد الخلفيتين الراشدين ، أبي بكر الصديق (رض) وعمر بن الخطاب (رض) ، وحلقت الانتصارات الحاسمة ، وجددت شباب المنطقة ، سياسياً وحضارياً ، بفكر الإسلام .

وأزاء هذه الأحداث وهذه التحديات ، تعاملت المرأة العربية ، بوعي كامل ، وتمسكت بمسؤولية كاملة ، وكان لها إسهامات مباشرة وواضحة ، سواء في حمل السلاح أو شحذ همم المقاتلين ، أو القيام بمعالجة الجرحى والمرضى في الميدان ، وبذلك حفظت المأجدة العربية اسمها في ثأيا تاريخ امتنا الجهادي ، كمقاتلة عنيدة ، جالبت الرجال بالسيف ، وطعمتهم بالومح ، وقررت بطونهم بالخناجر ، وفاتكتهم

قبل ظهور الإسلام كان الخطر والتحدي ، يحيطان بالعرب من كل الجهات ويتقدمان شيئاً فشيئاً ليهدهما وجودهم بالزوال . ففي الشرق ، كانت الامبراطورية الفارسية الساسانية تسيطر على عرب العراق والخليج ، وفي بعض الفترات امتدت سيطرتها الى اليمن في الجنوب ، وفي الغرب والشمال ، كان الروم ( البيزنطيون ) يطرئون سيطرتهم على عرب الشام ، وفي الجنوب ، احتلت الحبشة ، لفترات طويلة ، جنوب شبه الجزيرة العربية ( اليمن ) ، ولم يبق حراً ومستقلاً في بلاد العرب سوى وسط شبه الجزيرة ، الذي يتصل بالوعورة والتصحر والفقر المدقع ، تسكنه قبائل شديدة المراس في الحرب ، عاشقة للحرية ، رافضة لأية قيود تطرضها أية حكومة من الحكومات ، وخاصة إذا كانت هذه الحكومة غير عربية . لكن هذا الخطر ، وذلك التحدي ، قد نبّه في الأمة العربية ، عوامل اليقظة وروح المقاومة ، رجاء ونساء ، ونفا بين أبنائها صلات التضامن وروابط الاتحاد ، والتلاحم الكفاحي .

وفي واقعة ذي قار التي جرت أحداثها على أرض العراق ، ذاق العرب حلاوة النصر ، ويومها استبشر الرسول محمد ( ﷺ ) خيراً ، وتنبأ بأن هذا النصر سيكون له ما بعده ، سيكون فاتحة انتصارات أكبر ، تحرر العرب من الفرس ، وتنتقم لتاريخ طويل ، سيطر فيه الفرس على عرب الشرق والجنوب .

## واقعة ذي قار

في معركة ذي قار التي دارت رحاها بين العرب والفرس على أرض العراق سنة ٦٢٣م<sup>(١)</sup> على الأرجح، كان للمرأة العربية دورها المتميز في إحراز النصر على الغزاة الفرس. ففي اليوم الثاني من المعركة، جزعت جيوش الفرس من المعطش، فتراجعت إلى (الجبايات) فتبعتهم بكر وعجل، وأبليت عجل يومئذ بلاء حسناً، وتدافعت عليهم حشود الفرس، وتكاتوت حتى أيقن القوم هلاكهم، ثم حملت بكر لمؤازرة عجل، فأروا بني عجل يقاوتون في استبسال، مما حدا بإحدى نساءهم إلى أن تقول:

إن يظفروا، يحزروا فينا الفرس<sup>(٢)</sup>  
إيهما! فداء لكم بني عجل

وفي اليوم الثالث من المعركة، أولت ( بكر ) قيادتها إلى حنظلة المجلي بدلاً من هانيء بن قبيصة، فيأدر إلى هودج ( مارية ) إبنته، فقطع وضئيه فدفعت على الأرض، وأخذ يقطع وضئ<sup>(٣)</sup> النساء، فصرخت ابنة القرين الشيبانية تحت رجال قومها على الاستبسال:

ويها بني شيبان صلاً بمد صف  
إن تهزموا، يصفوا فينا القلف<sup>(٤)</sup>

فقطع سيمانة من بني شيبان أيدي أئبيتهم من قبل مناكبهم حتى يسهل عليهم الطعن والضرب، وتخلف أيديهم بضرب السيوف.

وكانت صفية بنت ثعلبة الشيبانية تدور على القبائل تحرضهم قبيلة قبيلة، حتى إذا رأت الدائرة ستدور على العرب، فطعنت الحبال، فسقطت النساء على الجمال، ورأى الرجال نساءهم على هذه الحال فاستبسلا، وصاحت صفية:

ياعمرو! ياعمرو الفتى بن ثعلبة  
حام على جارتك المستقرية

كما أسفرت هند بنت النعمان عن وجهها وقالت لعمرو بن ثعلبة الشيباني أخي صفية:

حافظ على الحسب النفيس الارفع  
بمدججين، مع الرماح الشزع  
ياعمرو، ياعمرو الكفاح لدى الوغى  
ياليث غاب في اجتماع المجنح  
إظهر وفاء يافثي وعزيمة  
اتضيغ مجداً كان غير مضيغ؟

بالحجارة والغد والأتاد والهرابي، وكانت من بين الماجداث العربيات من هي مشاة، ومن هي فارسة تمتطي صهوة الجواد لتقاتل الأعداء.

لقد نشأت المرأة العربية، في قوم غلب عليهم دقة الحس، وجذوة النفس، وخوض أنهار الدم، خوف انتلام الشرف، واستباحة الحي، فكانت هي أدق أوتار الحس في قلوب الرجال، وأوضح مواطن الشرف في نفوسهم، وحينما كانت تهتف بالرجل تحت ظلال السيوف، وقد ملك الروح القلوب، كان يستمد منها عزماً قد نيا، ويسترد قوة قد عزيت، لأنها كانت مزار عاطفة الرجل، ومدار وجدانه، وسر حياته وموته. لذا، تنوعت سبل المرأة العربية في إثارة حمية الرجال واستنهاضهم للقتال أو دفعهم لمواصلة الجهاد باتجاه تحقيق النصر الناجز، وربما شملت تلك السبل.. الكلمة الرثانة، والصرخة المدوية، والقصيدة الحماسية، أو ما تطلق من أهاريح وزغايد، وأناشيد ومعازف، وقرع على الطبول في حومة الوغى. وقد كانت المرأة العربية تلجأ في بعض الأحيان إلى تزيين المتقاعسين والمتخاذلين وتوبيخهم، كما سنرى في تضاعيف هذه الدراسة، المعززة بالشواهد المستقاة من الوقائع الحربية الخالدة.

ومتلما كانت الماجدة العربية في صدر الاسلام، قدوة في البذل والعطاء، أصبحت الماجدة المراقية في عصرنا الراهن، عصر التحدي والاستجابة، مثلاً حياً للفداء والتضحية. ومتلما كان الكثير من عظماء العرب وأبطالهم منذ فجر الرسالة السمحاء، ينتخون بالأم أو الأخ أو العقيقة<sup>(٥)</sup> ويقسم يهن على انجاز وعده وأدراك بغيته أو الموت دون ذلك، متخذاً من ذكره لاسمائهن وشاح فروسية يلبسه ويتدرع به، فإن أبطال عراق اليوم ينتخون بالماجدات، ويهتفون لمقارعة الأعداء ولسان حالهم يقول:

ولقد ذكررتك، والرماح نواهل  
مني، ويبض الهند تلطرز من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها  
لمعت، كبسارق تنفرك المتبسم

وتجدد الإشارة هنا إلى أن الباحث قد استفاد إلى حد ما من بحث الاستاذ الدكتور محمد سعيد رضا الموسوم (الاسهامات الحربية للمرأة العربية في الخليج العربي والجزيرة العربية في صدر الاسلام) المنشور في كتاب (دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية)، الذي نشره مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة عام ١٩٨٥ الصفحات من ٦٩ - ١٠٠

ويتبقى الحاجة ماسة إلى دراسة الاسهامات الجهادية للمرأة العربية في نطاق أوسع، وما دراستنا المتواضعة هذه إلا مجرد خطوة على الطريق، والله المعصم من الزلل.

ولما كانت الحرب بين قبيلة أباد وكسرى أنوشروان  
في ذي قار ، خُمست ( هند بنت طارق بن بياضة ) قومها  
بالإنشاد :

نحنُ بنــــــــــــــــات طــــــــــــــــارِق  
نعمشي على النــــــــــــــــمــــــــــــــــارِق  
والمــــــــــــــــســــــــــــــــك في المــــــــــــــــفســــــــــــــــارِق  
مشي القــــــــــــــــطــــــــــــــــيسا النــــــــــــــــوائِق  
إن تقبــــــــــــــــلــــــــــــــــوا ، نــــــــــــــــمــــــــــــــــنا بــــــــــــــــاق  
ونفــــــــــــــــرش النــــــــــــــــمــــــــــــــــارِق  
لو ثــــــــــــــــذبــــــــــــــــروا ، نــــــــــــــــفــــــــــــــــارِق  
فــــــــــــــــســــــــــــــــارِق غــــــــــــــــمــــــــــــــــر وابتــــــــــــــــق

ويبدو أن هذا المسار الشعري ، قد وقع على كاهل  
النساء الشواعر ، لما تحمله المرأة من معاني المعقة عند  
الرجل ، وما يمكن أن تحويه من جوانب الضعف عند  
القبيلة ، لذلك نجد أن بعض الشواعر ، كانت تقبل على  
كل قبيلة صارخة منادية ، من ذلك ما فعلته ( صفية )  
حيث قالت لبني حنيفة :

إيهأ ! لحيــــــــــــــــدوا الضرب يا حنيفة  
فانتــــــــــــــــم الجمجمة الشــــــــــــــــريفة  
أهل اللقا ، والعدة المعروفة  
والعدة المنسوجة الموصوفة  
إن الجــــــــــــــــيــــــــــــــــوش حــــــــــــــــو لكم كثيفة

ثم التفتت ( صفية ) صوب بني لحييم وقالت :

لحيــــــــــــــــم قــــــــــــــــســــــــــــــــومي ، وبني أبــــــــــــــــينا  
ليسوا لدى الهيجا مغــــــــــــــــيبينا  
بل ظــــــــــــــــالــــــــــــــــسون ، وحماة فينا  
المــــــــــــــــز فيهم ، حين يلجمــــــــــــــــونا  
ويســــــــــــــــرحــــــــــــــــون ثم يحملــــــــــــــــونا  
إيهأ بني الاعمام فانصرونا

وخاطبت بني عجل ، وفيهم أبوها وأخوها :

الفخر فحري ، بسراة عجل  
عم معشري ، في نجدهم والشهـل  
فم السراة ، وحماة الأهل  
والفائقون بشريـب الفـل

إيهأ !! أبــــــــــــــــيدوا جــــــــــــــــنــــــــــــــــمهم بالقتل  
ولا تــــــــــــــــكونوا غــــــــــــــــرضاً للنبل  
واختلطوا فــــــــــــــــيهم بغير مهـل

ومن ثم نظرت ( صفية ) الى بني ذهل منادية :  
اليوم يوم العــــــــــــــــز ، لا يوم النــــــــــــــــدم  
يوم رمــــــــــــــــاح وجــــــــــــــــيا بــــــــــــــــ وخــــــــــــــــدم  
يوم يــــــــــــــــم الأرواح جهــــــــــــــــرا تــــــــــــــــصطلم  
ســــــــــــــــوف تــــــــــــــــسرى البيض غداة المبتسم  
للســــــــــــــــوائــــــــــــــــيات التي تحمي البــــــــــــــــنهم  
يــــــــــــــــسأل بــــــــــــــــكر ، لا تهلكم العجم  
إن صــــــــــــــــبرت ذهــــــــــــــــل فمــــــــــــــــزي الــــــــــــــــيوم تم

ثم اتجهت بعدها ( صفية ) صوب بني شيبان ، وهم  
خلفها وقالت مرتجلة :

إيهأ بني شيبان ، ضفأ بفض صف  
من يُرد العلياء لم يخش التلف  
من حادز الموت تنخى ووقف  
إن الشجاع باسـل فيه الضلف  
إن تقبلــــــــــــــــوا ، نظفر ، ونحذر ، ونحف  
وفي الفرار ، يولجوا فينا القلف  
اليوم يوم العــــــــــــــــز موصوف الشرن  
إن حافقت قومي ، فسايب من أسف  
أنا ابنة العــــــــــــــــز ، وعرضي اليوم عف  
بكل تصل كالشهاب المختطف  
تخطف قــــــــــــــــوما ، قد عفونا بــــــــــــــــزف

والذي يتفحص المعاني التي أشارت إليها الشاعرة  
( صفية ) ، يدرك لأول وهلة ، ويوضح ، المقرئ الذي دفع  
العرب الى الثورة على الفرس ، فكان موقفهم به « ذي قار »  
أشبه بانفجار هائل ، كانوا ينتظرون حدوثه حتى تلتهب  
المشاعر ، وتتار الحمية دفاعاً عن الشرف والعرض والكرامة .  
وكان للمرأة العربية الشاعرة دورها في هذا الانفجار الذي أدى  
الى طرد الفرس من أرض العرب ، وحطم غرورهم وغطرستهم  
وعنجهيتهم المروعة .

وفي وسط ساحة المعركة في ( ذي قار ) ضرب ( حنظلة  
بن ثعلبة ) قبة ، وجمع حولها النساء ، فاشتد قتال العرب ضد  
الفرس ، وقد وقف أمام الجيش الفارسي حاسرات عن رؤوسهن  
الحجب ، صارخات بالفرسان ، باذلات لجمالهن الناعم  
الرخص ، فقد ألهاهن الرعب والذعر عن الخجل والتستر ، وقد

وصلهن الاعشى وهن في أول هذه المعركة بقوله :

لما اتونا ، كان الليل يقدمهم  
مطبق الأرض ، يغشاها بهم سد  
وظمنا خلفنا كحلأ مدامها  
أكبادها ، وجف لنا ما ترى تجف  
حواسر عن حدود عايضت عبراً  
ولا حها ، وعلاها ، عبرة كسف  
من كل مرجانة في البحر لخرجها  
لغواصها ووقاها طينها الصدف

وكانت هذه الواقعة فاتحة خير لعمليات التحرير العربية  
الاسلامية ، ولذلك قال النبي محمد ( ﷺ ) مبتهجاً بهذا النصر  
الجليل : ( هذا أول يوم فنى الله فيه جنود الفرس بفوارس من  
ذهل وشيبان ، وبني نصر )<sup>(١١١)</sup>

وخطبت ( حرق ) أبنه النعمان ، محروسة بني شيبان  
على . مقاتلة المعجم ، تقول لعمر بن تلبية :

حافظ على الحسب<sup>(١١٢)</sup> الشريف الارب  
بمدججين مع الرياح الشراع  
وصوارم هندية مصقولة  
بسواعيد مفتولة لم تمنع

وقالت تنذر بكر بن وائل في وقعة ذي قار :

ألا ابلغ بني بكر رسولا  
فقد جند الفير بمنقير  
لميت الجيش كلهم فداكم  
ونفسي والسريير ، وذا السريير  
كانني حين جند بهم إليكم  
معلقة الدواب بالعبيور  
فلو أنني أطقت لذاك دفعا  
إذا ، لدفعته بدمي وزيري

ويبدو أن ( الحققة ) بعد أن قتل كسرى أباه ، طلبها  
( كسرى ) وألح في طلبها ، فابت الاقتران به ، واستجارت  
بهي بكر وتغلب ، فاجتمعت القبائل ، وجرت وقائع ، وقالت لما  
استجارت ببني شيبان :  
شيبان قومي ، هل قبيل مثلهم  
عند الكلاح وكزة الفرسان<sup>(١١٣)</sup>

## هجرة الرسول الى يثرب ١٢ ربيع الاول / سنة ٦٢٢ م

كان بيت أبي بكر الصديق ، يشهد طلعة الرسول ( ﷺ )  
حين قام قائم الظهيرة ، وكان لا يحطئه يوم إلا يأتي هذا البيت  
أول النهار وآخره ، وهو يدخل البيت ، وقد علت وجهه الكريم  
مسحة نور إلهي ، وارتسمت علامات رضى هاديه ، فانفجرت  
إساريه عن طلعة بهية ، توحى بكل ما يحمله القلب الكبير من  
إيمان ، وتدل عليه المزيمة الصادقة التي ملأت كل جارحة من  
جوارحه .

كان وهج الشمس يتوزع على بيوت مكة ، وقد امتد إلى  
طرقاتها سكون الظهيرة ، واستقر الناس في بيوتهم يتابعون  
أحداث ( دار الندوة ) ، وقد اجتمع فيها شيوخ قريش ليبيتوا  
أمراً ويديروا مكددة ليل ، وبينها فكرة أفضت مضاجعهم ،  
وأقلقتهم وتركت قلوبهم نهياً لما بدا يساورهم من شكوك فيما  
يذهبون إليه من معتقد .

ولم تكد خطوات الرسول ( ﷺ ) تقترب من البيت في هذا  
الوقت القانص ، حتى كانت خطوات أبي بكر ( رضي الله عنه )  
تسرع الى الباب ، وقد عقدت الدهشة لسانه ، وعلت وجهه  
حيرة غريبة ، وهو يرى الرسول الكريم ( ص ) قد دخل عليه  
ظهراً .

وبصوت أقرب الى المناجاة ، وبحديث أدنى الى  
الضراعة ، قال أبو بكر ( رضي الله عنه ) :

- ما جاء بك يا نبي الله في هذا الوقت ؟ ألا لامر حدث ؟  
وانقطعت أصوات الكلمات ، ووقفت دائرة الزمن ، ولم  
تتحدث في هذا الموقف إلا لغة الميمون التي أمنت بكل توجيه  
ينطق به ، وأيقنت بكل عمل يقدم عليه . وبصوت هاديه ، قال  
الرسول الكريم ( ﷺ ) لأبي بكر ( رضي الله عنه ) : ( أخرج من  
عندك ) ! ويسكت الصديق ، وتتحول نظرته الى جوانب البيت  
ويثقة كبيرة يقول :

- ليس علينا عين .. إنما هما ابتقاي ، عائشة وأسماء .. انهما  
تمرفان أسرار الرسالة ، وتعلمان التوجهات التي يتحرك  
بموجبها الرسول ( ﷺ ) ( وتشاركان في كل ما يدعو الى الحفاظ  
على أصحابها .

إذن ، هناك رحلة سيقوم بها الرسول ( ﷺ ) ، ولكن ، إلى  
أين ؟

لم يعلم برحلة الرسول ( ﷺ ) إلا علي بن أبي طالب  
( رضي الله عنه ) وأبو بكر الصديق وعائشة ( رضي الله عنها )  
وأسماء بنت أبي بكر . وهو موقف يتجلى فيه الإيمان ، وتشبذ  
في رحابه أهمية المرأة في أول مراحل الدعوة ، وكانت السيدة  
خديجة ( رض ) قدمت النموذج الفريد ، فقد امتلكت وعاصرت  
وعرفت وقت الهجرة ، وحفظت السز الذي حدد موعدها  
وحركتها والخطة التي زبمت لرحلة المعقيدة .

( ﷺ ) قال لها : ( أبدك الله بنطاقك هذا بنطاقين في الجنة ) .

وبعد أن جلست أسماء مع الأيوين الكريمين وهما يطعمان ، وهي تبتسم للبشرى السعيدة حملت الأواني وعادت لأراجيحها ، وما إن ابتعدت عن الفار حتى اعترضها نفر من فرسان المشركين .

وعيناً حاولوا استجواب أسماء واستجلاء ما وراءها ، ولم تلدهم المراوغة ، ولم يجدهم اللين ، ولا العنف ، حيث لطمها لأحدهم على وجهها حتى أدماه ، فسقطت على الأرض وتناثر قرونها من أذننها ، ومع ذلك ، لم تنبش بشيء .

إنها أسماء بنت أبي بكر ، راضعة لبيان الوفاء والصدق منذ الصغر ، وأنها البطلنة الشجاعة والمجاهدة الباسلة في سبيل العقيدة المحمدية . وعلى ذلك نشأت ، تتابع الكلاخ البطولي الذي يخوضه المسلمون دفاعاً عن الحق . وجاء وقت الهجرة ، فسلكت أسماء طريقها لأحقة بابيها الصديق ، مهاجرة بدينها ، كما أمر الله ، وكانت بعد صبية يافعة ترمقها الميئون ، بكل احترام ، ويتسنى أن ينال يدها شيان الأوس والخزرج ، والمهاجرون ، النشبان ، بدينهم الى يتررب<sup>(١)</sup> .

### معركة بدر الكبرى

الجمعة ١٧ رمضان ٢ هـ / ١٥ كانون الثاني ٦٢٤ م

في معركة بدر الكبرى ، كانت نسبة بنت كعب الانصارية .. أو المازنية ، التي تعرف بـ ( أم عمار ) ، تحمل جرة الماء لتسقي المطاشي من المحاربين ، ولم يكن مكانها في المعركة الا في المؤخرة مع النساء . وقد شهدت الانتصار العظيم لرسول الله وصحبه الصيامين ، بعد أن تحدى كفار قريش رسول الله ( ﷺ ) وخرجوا الى ماء « بدر » بخيلهم وخيلانهم ليرهبوا المسلمين كما تصوروا .

لقد كانت نسبة توافق الفئة المؤمنة من فرسان الله الى الجهاد في سبيل الدين الحنيف ، ودارت رحى القتال عند ماء « بدر » ، وقد أنزل الله يقين قريش اليافعة ، وحطم أحلامها ولأل كبرياء سفهاؤها وطواغيتها ، ومقن المسلمين من رقايبهم . وشهدت نسبة آية النصر الكبرى ، النصر الذي آتاه به الله عباده الصابرين المؤمنين وخذل الكفار المتلذذين .

لما ( كميبة الاسلمية ) ، فقد عادت هي الاخرى مع المنتصرين ، وكان دورها اسفاف الجرحى ، لأنها كانت تتلقى مهنة التطبيب ورأت كميبة الا تقتصر نشاطها على اسفاف الجرحى في ميدان القتال ، وأترت أن يكون نشاطها في كل مجال ومقام ، وأن يكون عملها الانساني الرحيم على نطاق واسع ، وأن يستمر في وقت السلم ، وينفس الهمة والاخلاص اللذين عرفها عنها في زمن القتال .

وبعد أن توحدت جهود المشركين للإجهاد على الرسول ( ﷺ ) ، وانتهت الأراء الى أن نمة سيتوزع على كل المسهين في القتل ، أدركت أسماء بنت أبي بكر بأن الخطر يحدق بالرسول الكريم .

إنها لحظات المواجهة التي يمتحن فيها الانسان ، ولحظات المجابهة التي لم تترك له خياراً .

وتبدأ رحلة الملتدة من زاوية لابي بكر الصديق في ظهر بيته ، ثم الاتجاه الى غار بجيل نور باسطل مكة ، وكانت مسالك الطريق وعرة ، وشباب الجبل مؤلمة . وقد انقطع زمام نمل رسول الله ( ﷺ ) ، فلقق إبهانة حجر ، فكثر دمها ، وقلت تستنّ دماً حتى انتهى الى الفار مع الصبح .

قريش .. فوجئت برحلة الرسول الكريم ( ﷺ ) وصاحبه الصديق ، فانطلقت وهي تبث عيونها في كل صوب ، تترصد لحركاته وصاحبه ، وتقتلني أثرهما ، بغية الوصول إليهما ، حتى جعلت قريش حين فقدته ، مائة ناقة لمن يرده عليها . هنا كانت أسماء بنت أبي بكر تاتيهما من الطعام إذا لمست ، بما يصلحهما ، وهي تقطع الطريق المقفر ، وتتجاوز الميئون التي توزعت في كل مكان ، وتعلم النتائج المترتبة على عملها هذا . ولكن إيمان ( أسماء ) بسلامة ما تعتقد ، كان أكبر من أسباب الخوف ، وأعظم من عيون الرصد الطائشة .

هنا كانت أسماء تشارك بكل ما منحها الله تعالى من أسباب المنعة والقوة والاعتدال ، للحفاظ على سر الدعوة ، وكتمان أمرها وأساليب تنظيمها ، وما كان يحيط بها من مخاطر ، ويعد لها من خطط لاغتتيال اصحابها وإيقاف انتشارها .

كانت أسماء تعلم بهذا التخطيط ، وتعرف الوقت المحدد ، وتعلم المكان الذي اختبأ به الرسول الكريم ورفيقه أبو بكر الصديق .

وكانت أسماء المرأة الثانية بعد خديجة التي تحفظ سر الهجرة ، وقد قطعت الرسالة مرحلة أولى ، فكتب عليها أن تحظى بشرف الدفاع عن الرسول الكريم ، وهو معرض لخطر مؤامرة ، وتصاحبه في أصعب اللحظات ، وترعاه في أشد المواقف حرجية .

إنها المشاركة الأساسية في بناء الانسان المؤمن ، والاحساس بالمسؤولية في الانتقال من مرحلة الشرك الى مرحلة الايمان ، وامتلاك القدرة على التواصل والسير وفق الخط المحدد الذي أوصى به الله تعالى ، واهتدى به الرسول الكريم والتزم به الصحابة الكرام .

كانت أسماء تاتيهما بسفرتهما ، وفي إحدى المرات ، نسبت أن تجعل لها عصاماً ( ما تعلق به السفرة ) ، فلما ارتحلا ، ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا كيس فيها عصام ، فحلفت نطالها ، فجعلته لها عصاماً ، ثم علقته به ، وكان يقال لها ( ذات النطاقين ) ، وقيل انها لما أرادت أن تعلق السفرة ، شقت نطاقها ، اثنتين ، فعلقت السفرة بواحد وانتظت الآخر ، لسمها رسول الله ( ﷺ ) ذات النطاقين . وقيل ان الرسول

من حاملي راية قريش يلاقون حتفهم أو يصابون بجراح ،  
خُملت رايته من قبل عبد استمر في القتال حتى قتل ،  
وسقطت الراية ، مرة أخرى ، وهُزِمَ القرشيون وفزوا بدون  
نظام ، ولحقت نساء المشركين بالمويل عندما شاهدن ما حل  
برجالهن ، وأسرعن بالفرار باستثناء ( غمرة بنت علقمة  
الحارثية ) التي بقيت حيث هي ، واقفة خلف خط المعركة  
الرئيس للمشركين .

وحينما بدأ المسلمون بمنازلة فرسان المشركين ، اندفعت  
( عمرة ) والتقطت راية قريش من الأرض ، ولحقت تلوح بها من  
فوق رأسها لكي ترواها القوة الرئيسية لقريش . وإلى ذلك قال  
حسان بن ثابت الذي وجد اللواء صريعاً قبل أن تنتهض عمرة :

فلولا لواء الحارثية أصبحوا

يباعون في الاسواق بيع الجلاب<sup>(١٢)</sup>.

أما في جبهة المسلمين ، فقد وقفت أربع عشرة امرأة وراء  
المجاهدين ، بمهمة تقديم الماء للمعطي ، وخلف الجرحى  
خارج ميدان المعركة وتضميد جراحهم . وكانت في مقدمة  
أولئك النساء الماجدات ( غاطمة بنت محمد ) رسول الله  
( ﷺ ) ، زوج علي بن أبي طالب ( رض ) ، وعائشة بنت أبي بكر  
الصديق ( رض ) زوج رسول الله ( ﷺ ) ، وأم سلمة وأم سليم  
سهلة بنت ملحان وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية ، وحمنة  
بنت جحش وأم أيمن ، وأم سليط<sup>(١٣)</sup> التي قدمها الفاروق عمر بن  
الخطاب ( رض ) على زوجة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب  
( رض ) ، حينما أشار عليه بمضى الصحابة بمنحها قرطاً  
جيداً ، فقال : ( أم سليط .. أحق به منها ، فإنها كانت تزفر لنا  
البُزْب يوم أحد )<sup>(١٤)</sup> ، كما روى البخاري في صحيحه .

وعن أنس بن مالك ( رض ) أنه سمع أبا طلحة يقول :  
( لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لمشورتان ،  
أرى خدم سوقهما تنقلان البُرْب على متونهما ، تُفرغانه في  
أنواء القوم ، ثم ترجعان لقتلانهما ، ثم تجيئان فتفرغانه في  
أنواءهم )<sup>(١٥)</sup>

وهذه نسيبة بنت كعب المازنية ( أم عمارة ) قاتلت في  
أحد قتال الأبطال ، وهي نذبت عن رسول الله ( ﷺ ) بسيفها  
رغم الجراح التي أنفختها ، ولقد بلغت اثني عشر<sup>(١٦)</sup> .

وقد عرف عنه ( ﷺ ) أنه كان يقول يوماً لأصحابه : ( ما  
التفتُ يميناً أو شمالاً إلا ورأيتهما تقاثل دوني )<sup>(١٧)</sup> . وعندما  
التقى الجمعان عند أحد ، وكانت قريش بقيادة أبي سفيان بن  
حرب ، خرجت ( أم عمارة ) لتقوم بدورها في الجهاد ، وحملت  
سقاءها ، وسارت في مؤخرة الجيش الذي حقق نصراً على  
المشركين في بداية اليوم ، وضربهم ضربة مذهلة ، جعلتهم  
يفرون تاركين أمتعتهم ، وما كانوا يحملون من عروض ومناج ،  
أغرقت كثرتها رماة المسلمين على ترك مواقعهم التي أمرهم  
الرسول ( ﷺ ) بالثبات فيها مهما كانت الظروف ، ففتحوا بذلك

ومن أجل هذا ، أنشأت كعبة أول ( عبادة ) للتعبيد ،  
جعلت مقرها مسجد سيدنا الرسول الكريم ( ﷺ ) ، فأقامت فيه  
خيمة كان يتردد عليها المرضى في أي وقت يشاؤون ، وفيها  
كانت كعبة تمارس عملها في علاجهم .

وهكذا ، كانت كعبة ، أول ملاك رحيم يحوم بالحنان  
والحذب في سماء ( يثرب ) وبين نساء العرب جميعاً . فذاع  
صيتها بين الناس ، واستطاعت بذكائها وخبرتها وإخلاصها أن  
تحرز نجاحاً باهراً جعلها موضع الثقة والاعتزاز<sup>(١٨)</sup> .

أُخذ - السبت ١٥ شوال ٣ هـ  
١ شباط ٦٢٥ م

ما إن وصلت فلول قريش من معركة بدر الكبرى إلى مكة ،  
حتى فكر من بقي من زعمائها على قيد الحياة ، بوجوب إعداد  
أكبر حملة عسكرية يستطيحون إخراجها لفرو محمد ( ﷺ ) في  
عقر داره ، والقضاء عليه ، قبل أن يستغل أمره .

وبعد سنة من معركة بدر ، جهزت مكة ثلاثة آلاف مقاتل ،  
منهم سبعمائة راكب دارع ، وبينهم مائة رجل من ثقيف ،  
وساهم من مكة ساداتها ومواليها وأحبابيها ، وجهزوا لهذه  
الحملة ذخائر حربية كثيرة ، منها مائتا فرس وثلاثة آلاف  
بعير . وقد سارت مع الجيش خمس عشرة امرأة قريشية في  
هوادج ، وكانت مهمتهن : تذكير القرشيين بأبائهم الذين قتلوا  
في غزوة بدر وتلوية معنوياتهم . وكانت ( هند بنت عتبة )  
زوج أبي سفيان قائدة النساء ، كما كانت بينهن زوج عكرمة ،  
وزوج عمرو بن العاص ، وشقيقة خالد بن الوليد ، وغفرة بنت  
الكعبة ، إضافة إلى عدد من النساء الناشطات اللواتي يحملن  
النق والطبول .

لقد أصرت نساء قريش على الخروج مع الحملة ليؤخرن  
الصدور ، ولكي يحول وجودهن دون فرار المقاتلين . وقد ردت  
( هند ) من يعترض على خروجهن بقولها :

( إنك والله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك ، نعم ، نخرج  
فنشهد القتال ، ولا يردنا أحد كما ردت الفتيات في سفرهم إلى  
بدر ... فقللت الأحية يومئذ )<sup>(١٩)</sup> .

ووقفت نسوة المشركين مباشرة خلف القوة الرئيسية  
لقريش ، وقبل أن تبدأ المعركة ، انطلقت بإمرة ( هند ) بين  
رجال قريش تذكريهم بمن قتلوا في وقعة بدر ، وقبل أن تعود  
النساء إلى مواقعهن في مؤخرة الجيش ، ارتل صوت هند  
عالياً قوياً .

ويها بني عبدة الدار

ويها حماة الأديار

ضرباً بكل بئار<sup>(٢٠)</sup> .

وبعد استشهاد ( حمزة بن عبد المطلب ) ، بدأ جيش  
قريش يتقهقر تحت ضغط هجوم المسلمين . وبينما كان العديد



تغرة خطيرة لفرسان فريش الذي كان في مقدمتهم خالد بن الوليد - قبل اسلامه - وكانت لهم فرصة ، فهاجموا جميعاً هجمة أشاعت الفوضى بين صفوف المسلمين ، وغارت مجرى الحرب ، وجعلت ربح النصر يميل في صف المشركين . وعادت قريش الهاربة ، لتعزز هجوم فرسانها ، وتجمع قلوبها ، لتلتقي مع فلول المسلمين الذين تفككت وحدة صفوفهم ، وشاعت الفوضى فيهم ، وتبلبلت خواطرهم ، وجعلتهم يفرّون طلباً للنجدة ، وحتى صناديد الرجال فرّوا ، فمن في هذا الموقف الرهيب ، وهذه المحنة ثبت ليدافع عن الدعوة وصاحبها ؟

لم يذكر لنا التاريخ الا نحو عشرة ، هم الذين ثبتوا حول رسول الله ( ﷺ ) ، كان في مقدمتهم البطل الغدائي ( أبو دجانة ) الذي كان يتنرّس بجسده عن رسول الله ( ﷺ ) ووقف دون سهام فريش حتى لا تصيب جسد الرسول ( ﷺ ) . وكذلك وقتلت الماجدة العربية الشجاعة ( أم عماره ) التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، فلقد وقتلت الموقف نفسه ( موقف أبي دجانة ) ، حيث أخذت تنرّس عن رسول الله ( ﷺ ) بكل ما تستطيع ، فراحت تدافع عنه بحدّ السيف<sup>(١١١)</sup> .

ولما أشاع الكفار وقتها أنّ محمداً ( ﷺ ) قد قُتل ، وزاغت الابصار ، وهانت الحياة في عيون القلة التي ثبتت حول رسول الله ( ﷺ ) ، صاحت ( أم عماره ) : ( ما طعم الحياة بعد رسول الله ؟ ! وما قيمة الحرص عليها ؟ ) . ووقفت وزوجها والداها بين يديه ( ﷺ ) يدورون عنه ، والناس يعمرون منهزمين . لكن ( شُبيبة ) أم عماره ، بايعة الرسول ( ﷺ ) على السمع والطاعة والوفاء بالمهدد ، وقد تصدّت للدفاع عنه في حين فرّ الرجال ! وقد سجل التاريخ لها موقفاً مشرفاً ، حين ثبتت في معركة كان الثبات فيها صعب المنال .

لقد رأى الرسول ( ﷺ ) أم عماره تنرّس عنه ، ولا ترّس معها يجمعها من وقوع السيوف وتكاثر النبال . وفي ذات المكان ، رأى ( ﷺ ) رجلاً مولياً ، وفي يده ترّس فناداه : أن إلق ترسك لمن يقاتل ؟

رمى الرجل المتخاذل ترسه ، فأسرعت إليه ( أم عماره ) فالتقطته بسرعة ، وعادت الى موقعها لتدافع وتذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى آخر النهار حتى هدا المنتقم<sup>(١١٢)</sup> الفائز ، وحيّست الظلمة على الميدان ، وبدأ المسلمون يستردون روحهم ، ويندمون على ما فات من أمر عصيان رمايتهم لتوجيهات الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الذي أدى الى هزيمة المسلمين يوم أحد<sup>(١١٣)</sup> .

ويحكى لنا ( ابن هشام ) عن ( شُبيبة ) نفسها هذه الحكاية : ( أن أم سعد بنت سعد بن الربيع ، دخلت على أم عماره فقالت لها : ياخاله ... إخباريني خبرك ؟

فقالت : خرجت أول النهار ، ومعني بقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو في أصحابه ، والدولة والريخ لهم . فلما انهزم المسلمون ، انحرّض

إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكنت أبأشر القتال حتى خلصت الجراح إلي .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً [ جوف له غور فذكت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمنّة أقماه ] = [ ألذه ! الله ! لما ولّى الناس عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدو الله كانت عليه ( درعان )<sup>(١١٤)</sup> وبعد أحد ، أوفت شُبيبة بالمهدد كاملاً لله ورسوله ، وعادت مع العائدين الى يثرب ، وهي تحمل ثلاثة عشر جرحاً ، ووسام المعركة كان جرحاً على عاتقها ، لجوف له غور ، لكنه لم يبقها عن استئناف الجهاد يوم نادی مناديه ، بل كان حافظاً لها ، ومشجعاً لتنامر في جولة جديدة وجهاد مستمر ، في سبيل اعلاء كلمة الله .

ومما روت ( أم عماره ) عن دور المرأة العربية في يوم أحد قولها : ( ان النساء كان معهن المراود والمكاحل ، فكلمنا ولّى رجل أو تكتمك<sup>(١١٥)</sup> ) ناولته إحداهن مروداً ومكحلة ويقنن له : خذ .. تكحل ! فانما أنت امرأة ! )

وذكر الواقدي في المغازي : ما فعلته ( أم أيمن ) واسمها ( بركة ) مولاة رسول الله ( ﷺ ) وحاضنته ، حين تصدّت مع بعض النساء للناكسين في واقعة أحد ، فحنت التراب في وجوههم وقالت للبعض منهم : ( هناك المغزل ، اغزل به وهات سيلك ... )<sup>(١١٦)</sup>

## غزوة الخندق ( الاحزاب )

٨ ذو القعدة ٥ هـ - شباط ٦٢٧ م

وفي غزوة الخندق ، تبرز ( ضليحة بنت عبد المطلب ) عنة النبي ( ﷺ ) في ميدان المعركة . فقد لاحظت أن جاسوساً يهودياً توغل ليتعرف على قوة المسلمين واستعدادهم ومنموياتهم ، فلم تمهله ليحصل على مبتغاه ، حيث أمسكت بقائم الخيمة ، وهوت به على رأسه فصرعته فمات في الحال<sup>(١١٧)</sup> .

وتعدّ السيدة ربيعة بنت سعد الاسلمية الطيبية الاولى في بلاد العرب المسلمين ، ولخبرتها بالتطبيب خصص لها رسول الله ( ﷺ ) خيمة كبيرة ، تشبه المستشفى الميداني في الجيوش الماصرة . وكان مع « ربيعة » عدد من نساء الصحابة يساعدها . وكانت تنصب مستشفاهها في خيمة قرب مسجد المدينة يوم الخندق لكي ينقل اليها الجرحى .

وبعد أن رحل الاحزاب مخلاولين ، نقل الرسول ( ﷺ ) الى خيمة ربيعة بعض الصحابة الجرحى مثل سعد بن معاذ ، حين أصابه سهم في الخندق ، وقال ( ﷺ ) : ( اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب ) . وكان ( ﷺ ) يعود في كل يوم

ورفيدة موكلة بمعنايته ، وقد تورم جرحه وانتلخت يده ونزلت  
الدم ، ثم كتب الله له الشهادة بعد شهر<sup>(٣١)</sup>

### غزوة خيبر

محرم ٧ هـ - آب ٦٢٨ م

وفي غزوة خيبر ، حين جاءت ( أميمة بنت قيس بن أبي  
الصلت الغفارية ) في نسوة من غفار الي رسول الله ( ﷺ )  
وهي تقول : ( إنا نريد أن نخرج معك ، فدأوي الجرحى ونعين  
المسلمين بما استطعنا ) فقال ( ﷺ ) : ( على بركة الله ) . وقد  
كبر الرسول ( ﷺ ) حسن برئها في غزوة خيبر فلقدها بعد  
انتهاء هذه الغزوة فلادة تشبه الأوسمة الحربية في عصرنا  
الحديث . وظلت هذه القلادة تزئى صدرها طول حياتها ، ولما  
توفيت دفنت معها عملاً بوصيتها<sup>(٣٢)</sup>  
أما المجاهدة ( أم سنان الأسلمية ) فقد جاءت النبي لما  
أراد الخروج الي خيبر فقالت له : ( يارسول الله ، أخرج معك في  
وجهك هذا ، أحرز السقاء ، وأداوي المرضى والجرحى ، إن  
كانت جراح ، وإلا تكون وإنصر الزحل ) فقال رسول الله ( ﷺ ) :  
( أخرجني على بركة الله تعالى ) ، وخرجت مع أم سلمة زوج  
رسول الله ( ﷺ ) وشهدت خيبراً . حيث كان الرسول ( ﷺ )  
يقرع بين تسائه في كل غزوة ويخرج معه في غزوه من خرجت  
قرعتها<sup>(٣٣)</sup>

وكانت ( أم زيات الانشجعية ) غازية ، غزت مع النبي  
( ﷺ ) يوم خيبر ، وهي سادسة ست نسوة ، فقال لهن ( ﷺ ) :  
( بإذن من خرجتن ) ؟ فقلن له : خرجنا ومعنا دواء ندأوي  
الجرحى ونناول السهام ونسقي السوق<sup>(٣٤)</sup> ونغزل الشمر  
ونعين في سبيل الله<sup>(٣٥)</sup>

### غزوة حنين

١١ شوال ٨ هـ / ١ شباط ٦٣٠ م

بعد أن اندلعت الحرب - بعد فتح مكة - بين المسلمين  
والمشركين ، تجتمعت « هوازن » و « ثقيف » وغيرهم من  
القبائل الضاربة حول مكة لمحاربة النبي ( ﷺ ) ومن معه من  
المسلمين لبيدأوه قتل أن يبدهم ، فخرج إليهم ( ﷺ ) في  
اثني عشر ألفاً من المجاهدين ، وخرجت أم سلمة بنت  
ملحان - الصحابية الجليلة - الملقبة بـ ( الرميضاء ) ، خرجت  
مع زوجها للجهاد ، ولم يعقها الخنل والأمة عن تادية رسالة  
المرأة المسلمة .

وفي حنين ، الموضع الذي يقع بين مكة والطائف اشتبكت  
الرماح ، واشتجرت الاسنة ، ونطقت السيوف ، واشتد الامر على

المسلمين ، وضائق عليهم انفسهم ، ذلك لانهم قد أعجبته  
كثرتهم ، فلم تكن عنهم من الله شيئاً ، فكانت تغلت منهم فرصة  
النصر حين ولوا مدبرين ، إذ حمل عليهم الاعداء حملة  
شديدة ، ثم انزل الله سكينته على رسوله الكريم ، وعلى  
المؤمنين ، وانزل جنوداً لم يروها [ = الملائكة ] ، وأدركت  
( الرميضاء ) حينذاك أن عليها أن تستمد للممونة الصادقة ،  
وأن رسالتها أكثر من تشجيع الجند ، ونقل الجرحى ، وعلاج  
المرضى ، فحزمت وسطها ببنود لها ، ووضعت في حزامها  
خنجراً ، وأخذت هيئة المقاتل من الرجال ، استعداداً للقتال .  
وحينما سالها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن سبب حملها  
الخنجر قالت : ( يارسول الله ، اتخذته إن دنا مني أحد من  
المشركين ، بقرت بطنه )<sup>(٣٦)</sup>

وبعد أن أبى الله تبارك وتعالى للمؤمنين بالقتال ، حمل  
الرسول ( ﷺ ) والمسلمون على الكافرين حملة شديدة ،  
لهزموا هزيمة نكراء .

وبعد أن عاد الرسول ( ﷺ ) الي معسكره ودخل خبائه ،  
وتقاطر الذين فرؤا من المعركة على الرسول ( ﷺ ) مستظليين  
مما حدث ، قالت الرميضاء للرسول الكريم :

« يا بني أنت وأنتي يارسول الله .. القتل هؤلاء الذين انهزموا  
عنك ، فإنهم يستحقون ذلك العقاب » .

واشربت الاعناق لبروا وقع هذا الرأي الجريء من نفس  
الرسول الكريم ، وما كان أسدهم حينما لجاب الرميضاء بقوله  
( ﷺ ) :

« إن قد كفى واحسن » .

وتفكر الناس ، وعلموا انها المغفرة لذنب لن يعودوا الي  
مثله بعد ذلك . وانتهت غزوة حنين بنصر المسلمين ، وعادت  
الرميضاء مع زوجها الي المدينة واستقرت بها الحياة فيها .  
عن جابر ( رض ) : قال رسول الله ( ﷺ ) : ( رأيتني  
أدخل الجنة ، فإذا أنا بالرميضاء )<sup>(٣٧)</sup>

### غزوة تبوك

١٥ رجب ٩ هـ / أيلول ٦٣٠ م

تبوك ، مكان يقع في منتصف طريق المدينة الي الشام ،  
بين وادي القرى والشام . وغزوة تبوك آخر الغزوات التي غزاها  
الرسول ( ﷺ ) بنفسه ، وكانت تصرف أيضاً بـ ( غزوة  
المسرة ) ، من قوله تعالى ( الذين اتبعوه في ساعة الفسرة ) ،  
وكان الوقت حين خروجه ( ﷺ ) حراً شديداً وقحطاً شديداً .

وفي هذه الغزوة التي كانت قاصدة الروم بذلت المجادة  
العربية جهداً كبيراً ، في دعم واسناد المقاتلين ، حيث كانت  
تقدم الخدمات الجليلة لهم ، وتدعمهم بمستلزمات القوة المادية  
والمعنوية . فكانت تجود بمالها ، كما فعلت خديجة بنت

خويلد ، وأم شريك التي عرقت بدلفقاتها المظلمة في سبيل الله .

كما ساهمت النساء في تجهيز جيش تبوك ، بما يمكن من حلي وأموال . وقد روت أم سنان الأسلمية : ( لقد رأيت نبياً مبسوطة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة (رض) ، فيه مسك ومعاضد وخالخل وأقربة وخواتم وخدمات ليمن بها المسلمين في جهازهم ) (١٣١) للقتال ، بالإضافة الى تجهيزهم بما يحتاجون من البيت قبل المعركة .

### معركة اليمامة

١ شوال ١١ هـ / ١٩ كانون الاول ٦٣٢ م

بعد انتقال النبي محمد ( ﷺ ) الى الرفيق الأعلى في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة الحادية عشرة من الهجرة ( ٨ حزيران ٦٣٢ م ) اتخذ بعض القبائل لزيمة للارتداد عن الدين الجديد . ولما اختار المسلمون أبو بكر الصديق (رض) خليفة لهم ، عزم الخليفة المنتخب على استئصال حركة الردة . ومن بين الجيوش التي سيّرها أبو بكر (رض) جيش خالد بن الوليد الذي أمره بالتوجه الى متنبئ اليمامة - مسيلمة بن تمامه (الكذاب) - .

وكان من بين الشهداء الذين لقوا مصرعهم على يد مسيلمة الكذاب (حبيب) ، الذي قطعه مسيلمة إرباً إرباً ، ومثل به أشنع تمثيل ، فقد كان يقطع عضواً أو قطعة من لحمه كلما شهد بمحمد وصلى عليه وأشكر نبوة مسيلمة . ولم يفت كل هذا في عضد له (نسبية بنت كعب) ، ولم تهن ، ولم تضعف ، ولم تؤثر فيها الصدمة ، بل زادت الصدمة تصميماً على القتال ، وجعلتها تعاهد الله أنها لن تترك مسيلمة الكذاب حتى يهلك أو تنال الشهادة .

وفي موقعة اليمامة ، قاتلت «نسبية» تحت لواء خالد حتى أقر الله عينها بهلاك مسيلمة الكذاب ، وانتصار دعوة الحق ، فقد قاتلت نسبية في صفوف المقاتلين الى جانب ابنها الثاني (عبد الله) حتى تم النصر وقتل الكذاب . وخرجت نسبية من المعركة الثانية تحمل وساماً آخر أرفع من وسامها الاول الفائر على عاتقها ، فقد فقدت إحدى ذراعيها ، وكسبت للمسلمين نصراً وللإسلام عزة وكرامة . ولم يكن فقد الذراع هو الوسام الوحيد الذي خالته نسبية (يوم اليمامة) ، لأن جراحها التي أصيبت بها فعلاً في الموقعة ، كانت اثني عشر جرحاً . تقول نسبية ، في ما ورد في بعض المراجع : ( تقطعت يدي يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة ، وما كان لي مفتولة ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بشيابه ، فقلت له : «أقتله» ؟ قال : (نعم) فسجدت لله شكراً (١٣٢)

ولما عادت جيوش المسلمين المظفرة الى ديارها ، عادت

نسبية «أم عمارة» الى بيتها ، وجاءها خالد بن الوليد رائداً ، وأبى جراحها المديدة ، فأمر الرجال بمداواتها بالزيت المغلي ، فكان ذلك أشد عليها من البتر (١٣٣) !!

### موقعة أجنادين

السبت ٢٧ جمادي الاولى ١٣ هـ / ٣٠ تموز ٦٣٤ م

بعد أن تحرك الروم الى (أجنادين) ، في فلسطين ، واتخاذها قاعدة عسكرية لهم ، تحرك خالد بن الوليد إليها ، فاستغلت حامية دمشق هذه الفرصة ، فانقضت (بولص) القائد الرومي وصعه الخيل على الفئام التي غنمها العرب .

وفي الوقت الذي أحاط بطرس (أخو بولص) بالنساء المهربات ، وأسرهن جميعاً ، انتهى بهن الى مكان أمين ، حيث غرّضت عليه الماسورات ، فلم تعجبه سوى (خولة بنت الأزود) فقال بطرس : هذه لي .. وأنا لها .. لا يعارضني فيها أحد .

وجلس بطرس وصحبه بانتظار عودة أخيه بولص ، دون أن يعلم بأن بولص أسر وقتل الزواد حاميته . وهنا ، وقفت خولة بين جموع الأسيرات ، تحضهن على التمرد والقتال :

(يا بنات حمير ، أترضين لاتفسكن علوج الروم ؟ ! ويكون أولادكن عبيداً ..... فابن شجاعتك التي تتحدث بها عنكن لأحياء العرب ومحاضره الحضر ؟ ولا أراكن الا بممزل عن ذلك .. وإني أرى عليكن القتل أهون من هذه المصائب ، وما نزل يكن من خدمة الروم للثام .

وهنا أجابتها عفراء بنت غفار الحميرية : صدقت والله يا بنت الأزود ، نحن في الشجاعة كما ذكرت .

وهنا ، قالت خولة : يا بنات التتابة والمعالمقة ، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ، واحملن بها على هؤلاء اللثام ، فلفعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معزة العرب .

ثم ، حملت خولة عامود الخيمة ، وتبعتهن باقي النسوة ، وأوصتهن خولة في تشكيل حلقة حول بعضهن ، وعدم التفريق وتحطيم رماح القوم ، وكسر سيوفهم . وانطلقت خولة أمامهن ، فوجدت جندياً روسياً ، بضربة من عامودها على رأسه . واستمر العراك حتى قتل ثلاثون فارساً رومياً . وحينما رأى بطرس منها هذا ، وسمع ما سمع قال لها :

يا عريية .. افصري عن فمالك . فإني مكرمك . أما ترضين أن تكوني سيّدة دمشق ؟ ! فلا تقتلي نفسك !!

فأجابته خولة : والله لنن ظفرت بك لأفطنم رأسك .. والله ما أرضى بك أن ترعى لي الإبل . فكيف لرؤاك أن تكون لي كنزاً ؟ (١٣٤) فاستشاط بطرس غيظاً ، وحزض جنوده على القتال ، وصبرت النساء للروم صبر الكرام . وكانت قد وصلت

نجدة خالد يتقدمها ضرار بن الأزود ورافع ومسروق . فلما رأيت خولة ضراراً قالت :

إني أين يا ابن لبي ؟

فصاح بها بطرس : انطلقني إلى أخيك ، فقد وهبتك له ، ثم ولى هارباً ! فالتفت له خولة ، وهي تهزأ به : ليس هذا من شيم الكرام !! تظهري لنا المحبة والقرب ، ثم تظهري لنا الساعة الجلاء والتباعد ؟! وخطت نحوه ، فقال لها : قد زال عني ما كنت أجد من محبتك . فقالت : لا بد لي منك على كل حال ! ثم أسرعته إليه ، وقد قصده ضرار ، فجندله سريعاً ، وكان قتله الخامس عشر ، بينما قتلت خولة خمسة ، وعطراء بنت غفار أربعة . وعاد الجميع لخوض معركة ( أجنادين ) التي حققت فيها خولة بطولتها مع باقي النساء ، حيث وقتت النساء خلف جيش خالد ، يستلشن بالله ، وكلما مز بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن وقلن له : ( قاتلوا بون أولادكم ونسائكم ) ، كما أمرهن خالد أن يحزنن على الرجال ما كان مباحاً لهن معهن ، فهن الآن في معركة وعدوهم قد صد لهن صفوفه ، واصبحت المعركة ذراعاً عن المرض والشرف !!

### موقعة مرج الصفر

الخميس ١٧ جمادي الآخرة ١٣ هـ / ١٨ آب ٦٣٤ م

بعد أن فرغ خالد بن الوليد من عمليات مطاردة فلول الروم ( أجنادين ) التقى بجيش الروم في « مرج الصفر » ، وهو سهل واسع جنوبي دمشق يبعد عنها زهاء ٣٨ كيلو متراً . ولما دار القتال الشديد على شاطئ نهر كانت عليه طاحونة ، جرت الدماء في ماء النهر ، وطحنت بها الطاحونة - كما يقول البلاذري -

وكان خالد بن سميد قد استشهد في هذا اليوم ، وفي عنقه سيفه « الصمصامة » ، وكان قد أعرس ليلتها بأمر حكم بنت الحارث بن هشام المخزومي ، ( وكانت زوجاً لمكرمة بن أبي جهل الذي قتل يوم أجنادين ) .

ولما بلغ أم حكيم مصاب زوجها الجديد خالد بن سميد في مرج الصفر ، انتزعت عمود اللسباط !! وخرجت به تقاتل حتى قتلت أربعة من الروم ، وقتل سبعة ، وكان بها أثر الطبيب الذي تطيبت به ليلة عرسها !!

### حصار الروم في دمشق

٢٠ جمادي الآخرة ١٣ هـ / ٢٠ آب ٦٣٤ م

حينما ضرب الحصار على دمشق ، وأوكلت مهمة رصد تحركات الروم لضرار بن الأزود ، وقع أسيراً بيد العدو ، عقب

معركة طاحنة ، وسبق إلى حمص أسيراً . انطلق خالد بن الوليد ليلاً مع أربعة آلاف فارس لينقذ ضرار من الأسر ، وينتقم مع الروم . وفجأة ، وبينما كان يتمشى سير المعركة ، متفحصاً مدقاً ، ليختار الموقع الذي يجب أن يوجه منه الضربة ، وإذا بفارس على فرس أصيل ويده رمح طويل ، وهو لا يبين منه إلا الخندق ، والفروسية تلوح من شمائله ، وعليه ثياب سود ، وقد حزم وسطه بمصامة خضراء سحبها على صدره ، ومن ورائه ، وقد سبق الناس وصار أمامهم ، كأنه نار !!

فلما نظر خالد إلى هذا الفارس قال :

- ليت شمري من هذا الفارس ؟! وإني الحق ، والله أنه لفارس شجاع

ثم أتبعه خالد والناس ، وكان هذا الفارس أسبق الناس إلى الروم فدش خالد لضربات هذا الفارس وطعماته ، كيف لم يعرفه من قبل ؟

وزاح هذا الفارس الغريب يتحرك بحصانه الأمين في قلب المعركة ، وعلى المجنبتين معاً ، كأنما يريد لوحده أن يحدق بجند الروم .

وكان ضرار الحماسة في القلوب المؤمنة يتدفع باندفاع هذا الفارس الذي مازال مجهول الهوية . وهتك ( رافع بن عميرة ) مذهوة : كأنني بخالد ! لا .. أنه ليس خالداً ، فهذا الخيال نحيف ! وأحس الروم بوطأة الفارس الموشح بالسواد ، يرمي بصدر جواده في صفوفهم .. فراعوا ونزعوا . ما اقترب منه واحد منه فنجأ ! وما غامرت جماعة بالتصدي له إلا ذهبت بدداً .

وشد خالد راضاً بثقله القتالي في قلب الهيجاء ، بيد أنه كقائد عظيم ، ورجل حرب ، ما زال مشدوداً للمعركة ذلك الفارس الصنديد الموشح بالسواد . فناداه : من أنت أيها الفارس ؟! لكن فارسنا انطلق لا يلوي على شيء ، يجندل أبطال الروم ، وقد تخضب بالدماء . وناداه القوم : أميرك يخاطبك ، وأنت عنه ؟! أكثيف عن اسمك وحسبك . لكن الفارس في شغل شاغل عن كل نداء ، إلا نداء الجهاد في سبيل الله ، والوصول إلى ( ضرار بن الأزود ) الأسير لدى الروم .

وهنا يتقدم خالد ليقول للفارس المجهول : ويحك ! لقد شغلت قلوب الناس .. وقلبي بفعلك ! من أنت ؟ ولما لم يكتشف الفارس عن هويته ، استوقفه خالد بعد المعركة وقال له :

احسر اللثام عن وجهك أيها الفاتك المكين !!

فاطع البطل قائده خالد بن الوليد . وأعمد سيفه ، ثم حسر عن وجهه ، فإذا وجه امرأة يشع بهاءه ، ويسبي جماله ، فانسى الأبطال حمحمات الخيول وجلجلات السلاح . فقال خالد : من تكونين أيتها المرأة ؟! فقالت : أنا ( خولة بنت الأزود الكندي ) أخت ضرار بن الأزود ، من بقايا الملوك . أتيت مع نسوة من قومي نشد عضدك في حرب الروم ، ثم انشدت بين يديه :

نحن بنسبنا تبيع وجنيز  
وضربنا في القوم ليس ينكر  
لأننا في الحرب ناز شفر  
اليوم يسكنون العذاب الأكبر

وتتليلاً لأم خالد تنطلق رافع ومعه مائة فارس لنداء  
والخذ خولة معه ، ولحقوا بالروم حتى وجدوهم قرب سلمية ،  
فانهوهم وانتزعوا ضاراً منهم<sup>(١١١)</sup>

### واقعة اليرموك رجب ١٥ هـ / آب ٦٣٦ م

في واقعة اليرموك الفاصلة التي خاضها العرب ضد  
الروم ، كانت النساء في المؤخرة ، وراء صفوف المقاتلين ،  
على تل محصن لحمايتهن وقد روى الواقدي أن بعض نساء  
المسلمين قد اشترك في القتال يومذاك ، مثل أسماء بنت أبي  
بكر ، وخولة بنت الأزور ، وبنات عاصم الخولاني وسواهن وكان  
المسلمون يأخذون معهم في فتوحهم ، نساءهم وأولادهم  
وذرائعهم ، أظن أن يستميم المقاتلون في قتالهم كي لا تشبي  
نساءهم ويقتل أولادهم وتلنى ذرائعهم<sup>(١١٢)</sup> وكانت مهمة النساء  
المناية بالجرى والمرضى ، وسقاية المقاتلين في أثناء  
القتال ، وتشجيع المقاتلين وإثارة حماسهم ، وروى الرجال  
الغازين إلى المعركة ، والاشتراك بالقتال أحياناً .

وفي ( تل السمن ) المحصن ، حيث كانت النساء تقيم  
لهن ، أمر أبو عبيدة النساء المحصنات في التل أن [ خدن  
بأيديهن أعمدة البيوت والخيام ، واجعلن الحجارة بين أيديكن ،  
وحزضن المؤمنين على القتال ، فإن كان الأمر لنا والظفر ، لكن  
على ما أنتن عليه ، فإن رأيتم أحداً من المسلمين منهزماً  
فاضربن وجهه بأعديكن ، واحصينه بحجارتنكن ، وارفعن إليه  
أولادكن وقتلن له : ( قاتل عن أهلك وولدك وعن دين الاسلام )<sup>(١١٣)</sup>  
وخرج أبو سفيان بن حرب من بين الصفوف ، ولقي على  
تل السمن حيث نساء المسلمين ومعهن أولادهن ، وقال لهن :  
( حزضن أزواجكن على القتال ، ومن رجع منهم فاحصين وجهه  
بالحجارة واضربن جواده بالعمد ، واظهرن أولادكن لأزواجكن  
حتى يرجعوا )<sup>(١١٤)</sup>

وفي خلال اليوم الثاني من واقعة اليرموك ، وهو اليوم  
الماشر الذي يلي اليوم الأول ، والذي حدث بتاريخ ( ١ رجب  
١٥ هـ - ٨ آب ٦٣٦ م ) اصطفت المسلمون للقتال ، فكانت  
النساء يقفن على التل خلف الصفوف ، وقد تهيأن لأداء مهمة  
ردع الغازين والمنهزمين .

وبعد تراجع ميمنة المسلمين ، تدخلت النساء ، وقد راين  
الرجال يهزمون ، فآخذن يرجعنهم بالحجارة ويضربن خيلهم

بالأعمدة ، ويمعن عليهم فرارهم ، ويهين بهم أن يثبتوا في وجه  
المدو للدفاع عن شرفهم وعرضهم وعن كرامة الاسلام ، ويقنن  
لهم : ( فتح الله وجه رجل يلز عن حيلته ) . و ( لستم لنا  
بمعمولة إن لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج )<sup>(١١٥)</sup> ولما رأت  
( هند بنت عتبة ) زوجها ( أبو سفيان ) منهزماً ، ضربت وجه  
حصانه بعمود وقالت له : ( إلى أين ابن صخر ! إرجع إلى  
القتال ، أبطل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على  
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ) عندها ارتد أبو سفيان ،  
وارتد معه المسلمون جميعاً للقتال<sup>(١١٦)</sup>

وفي اليوم الثالث من معركة اليرموك ، وهو ( يوم ٢ رجب  
١٥ هـ - ٩ آب ٦٣٦ م ) تراجعت مسيرة المسلمين بعد هجوم  
مهمنة الروم عليها ، فقامت نساء المسلمين بالدور نفسه الذي  
سبق وقمن به في اليوم الثاني للمعركة ، فوشعن المنهزمين  
وخيلهم بالحجارة والمصي صارخات : ( أين أين عز الاسلام  
والامهات والأزواج ؟ وأين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات  
والاخوات والبنين والبنات ؟ أتريدون أن تسلمونا للاعلاج ؟ )  
فخجل المنهزمون ، وأرتدوا نحو العدو يقاتلون بضراوة ويأس  
شديدين محاولين استمادة ما فقدوا من مواقع<sup>(١١٧)</sup>

لقد كان اليوم الثالث من اليرموك يوماً شديداً انهزمت فيه  
فرسان المسلمين ثلاث مرات ، وفي كل مرة تروهم النساء  
بالحجارة والعمد ويلوحن بالاطفال إليهم فيرجعون إلى  
القتال .

وفي اليوم الرابع من معركة اليرموك وهو ( يوم ٣ رجب  
١٥ هـ - ١٠ آب ٦٣٦ م ) هجم الروم على ميمنة المسلمين ،  
ودخلوا معسكر المسلمين وكشفوهم « حتى اصفوهم بالنل »  
الذي عليه النساء وأحاطوا بالنل . فاندفعت نساء العرب  
عند رؤيتهن رجالهن منهزمين حتى التل الذي هن عليه ،  
فهبطن من مراكزهن ولحنن يذعن بالرجال المنهزمين إلى  
المعركة دفعاً ، صارخات في وجوههم ، وهن يضربنهم وخيلهم  
بالحجارة والمصي : ( أين أنصار الدين ؟ أين حماة  
المسلمين ؟ ) وكان الزبير بن العوام ، في خيمة زوجته يداوي  
عينيه من رمد ، تسع بما جرى للمسلمين ، وهب عندها  
مشرعاً سيده ، ومدفماً للقتال .

وفي يوم التموير ، وهو اليوم الرابع ذاته من أيام اليرموك  
التي فُتت فيه للمسلمين ، نحو سبعمائة عين ، لسبعمائة  
رجل ، هلع المسلمون لما أصابهم واضطربوا ، وجعلت خيلهم  
وأرادت على أعقابها ، فتراجعوا مبتعدين عن رمي سهام  
الروم ، حتى وصلوا إلى مضارب النساء .

وما إن رأى النساء المسلمات رجالهن منهزمين حتى نزلن  
عن التل ، وقد حمل بعضهن السيوف ثم اشتركن بالقتال ،  
وبرزت خولة بنت الأزور وألم حكيم ابنة حكيم بن الحرث ،  
وسلمي بنت أوى ، فتصدين لنساء عرب الروم ( لخم وجذام  
وخولان ) وجعلن يضربن في وجوههن ورؤوسهن بالعمد ويقنن  
أخرجن من بيننا فانتن توهن جمعنا ، فرجعت نساء لخم وجذام  
يقاتلن ببسالة فائقة ، وقاتلت أم حكيم بنت الحارث أمام الخيل  
بالسيوف .

وهبت المسلمون للقتال عندما رأوا نساءهم يقاتلن قتلاً  
لنشد من قتال الرجال ، حتى قال فيهن عبد الله بن قريط : ( لم أر  
امرأة من نساء تريمش قاتلت بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه  
وسلم ، ولا في اليمامة مع خالد بن الوليد مثل ماقاتلت نساء  
تريمش يوم اليرموك حين دهمهن القتال ، وخالط الروم  
المسلمين ، فضرين السيوف ضرباً وجيحاً )<sup>(١٧)</sup>

وما إن رأى عكرمة بن أبي جهل والقمقاع بن عمرو ، وكانا  
مع أبي عبيدة في القلب ، نساء المسلمين ، وقد اشرعن  
سيوفهن يقاتلن ، حتى دبت الحماسة فيهما ، فوقف عكرمة  
على رأس كردوسه أمام فسطاط خالد وصاح : ( قاتلت مع  
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في كل موطن ثم أفر اليوم ؟ ) ثم  
نادى : ( من يبايعني على الموت ؟ ) فبايعه الحارث بن هشام  
وضرار بن الأزور في أريمانية من وجوه المسلمين وفرسانهم ،  
فقاتلوا قذام فسطاط خالد حتى جرحوا جميعاً ، ومنهم من  
قتل<sup>(١٨)</sup> وقد استمر القتال في ( يوم التمويد ) من أول النهار  
حتى حلول الظلام ، فتمكن المسلمون من دحر الروم ،  
واستعادوا مراكزهم ، وذلك بعد أنه ( جرت الدماء بينهم  
وفرشت الأرض بالقتلى ) وكان الفضل للنساء العربيات في  
إحراز النصر على الروم في هذا اليوم .

### واقعة القادسية

١٣-١٦ شعبان ١٥ هـ / ١٩-٢٢ أيلول  
٦٣٦ م

في واقعة القادسية ، توقف القتال بعد المشاء في يوم  
( أرماث ) ١٣ شعبان ١٥ هـ ، وباتت الجبهة في هدوء ،  
تعاجز هؤلاء عن هؤلاء ، ولذلك سُميت ( ليلة الهدأة ) . وقد  
اتاحت هذه الهدأة لبعضهم أن ينلقت أثناء الليل إلى  
( المذيب ) للقاء أهله ، ونقل الأخبار إليهم .

وفي مضارب نساء المسلمين بالمذيب ، جلست الخنساء  
( تصاهر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ) ، شاعرة بني سليم  
المخضمة ، ومعها بنوها الأربعة ، تمظهن وتحرضهن على  
القتال قالت : ( يا بني ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتكم  
مختارين . وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل  
في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار  
الفانية . يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا  
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾<sup>(١٩)</sup> فإذا أصبحتم غداً إن  
شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله  
على أعدائه مستنصرين . فإذا رأيتم الحرب قد شغرت عن  
ساقها ، واضطربت لثني على ساقها وحللت [ تلجرت ] ناراً  
على أوزانها [ جوانبها ] ، فقيموا وطيسها [ وسطها ]  
وجادلوا رئيسها عند احتدام خميسها [ جيشها ] ، تظفروا  
بالثمن والكرامة في دار الخلد المقامة ) .

ففي يوم الثوات ( ١٦ شعبان ١٥ هـ ) كان بنو سليم من  
قبس عيلان في اليمامة ، فخرج منها أبناء الخنساء الأربعة  
للقتال . قال أولهم ، متذكراً وصية أمه :

يا أخوتي ، إن المجوز الناصحة  
قد نصحتنا ، إذ دعتنا البارحة  
مقالة ذات بيان واضحة

فياكروا الحرب الضروس الكالحة  
وإنما تلقون عند الصائحة

من آل ساسان الكلاب النايحة  
أو ميتة تورث غنماً رابحة

فتقدم ، وقاتل حتى استشهد ، فحمل الثاني وهو يقول :

إن المجوز ذات حرم وبخل  
والنظر الأوفى والرأي الشدد

قد أمرتنا بالسداد والزدد  
نصيحة منها ، ويزاً بالوئد

فياكروا الحرب حماة في العدد  
إنما لغوى بارد على الكهد

أو ميتة تورثكم عز الأبد  
في جنة الفردوس والعيش الزدد

فتقدم ، وقاتل حتى استشهد . وحمل الثالث وهو يقول :

والله لا تمضي المجوز حرواً  
قد أمرتنا حدياً وعطفاً

نصحا ويزاً صادقاً ولطفاً  
فياكروا الحرب الضروس زحفاً

حتى تكلوا آل كسرى لثاً  
أو يكشفوكم عن جمامك كشفاً

إنما نرى التفتير عنكم ضمناً  
والقتل فيكم نجدة وزلفى

فقاتل حتى استشهد ، وحمل الرابع وهو يقول :

لست لخنساء ولا للأحزب  
ولا لعمرو ذي السناء الأقدم

إن لم أرز في الجيش ، جيش الأعجم  
ماض على الهول خضف خضرم

إنما لغوى عاجل ومفتم  
أو لوفاة في السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد . وبلغ الخنساء خبر استشهاد بنيتها  
الأربعة ، وهي التي عاشت حياتها تبكي إياها صخراً الذي  
قتل في الجاهلية ، فقاتل : ( الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ،

وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته . )<sup>(٢٠)</sup>

والشيء بالشيء يذكر ، فقد كانت امرأة من النخع لها  
بنون أربعة ، شهدوا القتال في يوم الثوات فلما بدأ الصباح

ينبجج قالت لهم : ( إنكم أسلمتم فلم تبدلوا وهاجرتم تترى  
أي لم تكن هجرتكم ال يترب - ولم تنب بكم البلاد - أي لم  
تلفظكم - تنجمكم السنة - أي القحط والجوع - ثم جئتم بأكم  
عجوز كبيرة فوضعتوها بين أيدي أهل فارس ، والله إنكم لبنو

الفرس ، فلقبهم بـ « المَرغَاب » قبل دجلة ، وساهمت ( أزدة ) في الأحداث وقالت : ( لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم ) ، ثم تزعمت النساء وعقدن لواء من خماتها ( شالها ) ، واتخذت النساء من خُمُزهن رايات ، وخرجن في أثر الرجال ، فالتهنين إليهم ، وهم ملتحمون بالأعداء .  
ولما رأى الفرس على بُعد جمعا متقبلا يرفع رايات كثيرة ، حسبوه مدداً جاء إلى المسلمين ، فعمدوا إلى الفرار ، وتبعهم المسلمون يوقعون بهم الخسائر .<sup>(١٨)</sup>

### خاتمة

وهكذا يتضح لنا مما تقدم أن تاريخنا العربي الاسلامي حافل بالبطولات النسائية ، فقد لعبت المرأة العربية دوراً بارزاً في تحرير الأرض وطرد الغزاة ، جنباً إلى جنب مع الرجل . لقد كانت المرأة العربية ، سواء كانت أمّاً أو زوجة أو ابنة أو بنتاً أو شاعرة ، شعلة وهاجة يلهب لهاها الممتدين ، وكان لسانها براكين تتلجر لظى في وجوه من تسول لهم أنفسهم النيل من الأرض والعرض ، حيث كان الرجل يهب للنجدة بمجرد أن يسمع نداء المرأة أو استصراخها له في الحوادث والعلقات . إن المجادة العراقية في عصرنا الراهن ، تستلهم تراث حفيداتها اللاتي ضرين بسهم والحر في ميدان الصبر والجهاد ، وستبقى مصدر ثورة الرجل على الطاغوت ، وينبؤ إحساسه بالانتماء للأرض والامة ، تنشأ من أزده ، وتلف إلى جانبيه ، وتزخر له عندما يخال شرف البطولة والجهاد ضد الممتدين الطامعين وتربي الاجيال على الحب والكرامة .

رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة . ماخنت اباكم . ولا لخصت خالكم . انطلقوا فاشهدوا أول القتال ولخره ) .

فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون . فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول : ( اللهم ارفع عن بني ) . فزجروا اليها بعد ذلك ، وقد أحسنوا القتال ، ما جرح منهم رجل جرحاً .

وفي واقعة القادسية الشهيرة ، اشتركت أمّ وسبعمائة امرأة من بجيلة ونخع ، كان لجميهرن دور بارز في المعركة ، حيث قدمن كل ما يحق للمعركة من أسباب النصر . وقد ذكر الطبري في تاريخه نموذجاً لادوار أولئك الماجدات ، متمثلة بما نلته عن جهود ( أم كثير ) امرأة همام بن الحارث النخعي التي كانت تقاوم الفرس مع اخوتها بالهراوي<sup>(١٩)</sup> .

### واقعة جلولاة الوقعة

بينما كانت معركة جلولاة تدور رحاها بين العرب والفرس ( أول ذي القعدة ١٦ هـ / ٢٤ تشرين الثاني ٦٣٧ م ) تقدم عتبة بن غزوان نحو ( ميسان ) ، والتحم ببعض الفرس في نواحي ( المذار ) و ( أبر قباز ) ، وكانت ( أزدة بنت الحارث بن كندة ) امرأة ( شبل بن معبد البجلي ) ممن شهدها ، فكانت تحرض المسلمين على القتال أشد تحريض وتقول : ( إن يهزمكم يولجوا فينا الكلف ) ، فتمكن عتبة من إيقاع الهزيمة بالفرس وعاد إلى البصرة<sup>(٢٠)</sup> .

### معركة الاحواز

وخلال معركة تحرير الاحواز ( عام ١٦ هـ ) سار ( المغيرة بن شعبة ) وقد ظلت النساء والائفال وراءه لتاديب

## المصادر والمراجع والشروح

وجهية ، كما يقول الطبري في تاريخه جـ ٢ ص ٤٤٥ و ٤٦٠ وجـ ٣ ص ٥٤٨

( ٢ ) ذكر بعض المؤرخين أن واقعة ( ذي قار ) كانت قد حدثت في سنة ٦١٠ م ، لكن الأصوب هو سنة ٦٢٢ م وفق العملية الحسابية الآتية :

في سنة ٥٧٠ م كان مولد الرسول ( ﷺ ) ، وبعد أربعين سنة بُعث الرسول ( ﷺ ) ، وبعد ١٢ سنة ، كانت بيعة الميعة ، وبذلك تكون المعركة قد حدثت في سنة ٦٢٢ م ، حيث أن اسلام الاوس والخزرج قد حدث في تلك البيعة الثانية في السنة الثالثة عشرة للبيعة النبوية .  
( ٣ ) الفُزْل : جمع فُزْلَة ، وهي القُلَّة ( يراجع لسان العرب - غزل ) .

( ٤ ) الوضن أو الوضين : بطن عريض متسوج من سيور أو شعر .

( ١ ) من الامثلة على الانتحاء بالمرأة : انخى ( قرة بن الاشقر الصقاري ) ثم ( الضنبي ) إلى أمه ( لبني ) عند نزاهة النسمان بن جمال حين رماه بسهم فاصابه في ركبته وهو يقول : ( خلاها وأنا ابن لبني ) ، كما ورد في تاريخ الطبري جـ ٣ ص ١٤١ - دار المعارف / ١٩٧٩ وقد عرف عن معاوية بن أبي سفيان ( أنه كان يباهل خصمه بالانتصاب إلى أمه ، فيصيح بذلك اسماعهم ... ففي سجل الخطر انبرى يقول : ( أنا ابن هند : أطلقت عقال الحرب فاكلت السنام وشربت عطفوان المكر ولمس لكل الالفلة ، ولا للشارب الا الرنق ) كما ذكر الجاحظ في ( البهائم والطيور ) جـ ٣ ص ٤٥ مطبعة اللطوح . كما أن القبائل والمشار والملاحات كانت تنتسب إلى امهاتهم ، كان يقول : آل عفره ، وآل خصة ، وبجيلة ، وباهلة ، ومزينة ،

ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨ / ٢١٣ ، ٢٩٢ دار صادر - بيروت  
 ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م  
 ( ١٩ ) بنو الذين محمود بن أحمد المصنعي ،  
 من حصة القاريه لشرح صحيح البخاري  
 ( طبعة القاهرة / د . د - الطبعة الاولى ٨ / ٢٢١ ) ،  
 ابو عبيدة ، كتاب الاموال ص ٢٤٧ ،  
 ( ٢٠ ) صحيح مسلم ، طبعة السعادة بمصر - الطبعة الاول ١٩٢٨  
 ارشاد الباري في شرح صحيح البخاري ج ٥ ص ٥٨  
 ( ٢١ ) الواقي ،  
 الصفازي ٦ / ٢٠٩ القاهرة / ١٩٤٨ ،  
 ابن سعد ، الطبقات ٨ / ١١٢  
 ( ٢٢ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨ / ٤١٢ بيروت - دار صادر  
 ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م  
 ( ٢٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٨٦ - ٨٧  
 ( ٢٤ ) الذلق ، صبيح الماء  
 ( ٢٥ ) سننية قراءة ،  
 نسبية بنت كعب .  
 مجلة ( العربي ) العدد ٥٩  
 ( ٢٦ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢ / ٨٧  
 ( ٢٧ ) تكصيح ، هاب القوم وتركهم بعد ما لادهم وجبن عنهم .  
 وتكصيح الرجل وتكصا إذا ارتج .  
 ( لسان العرب - كعب ) .  
 ( ٢٨ ) الواقي ، الصفازي ص ٢٧٢ طبع لندن ١٩٦٦  
 ( ٢٩ ) المصدر نفسه ص ٢٨٢ ، تاريخ الطبري ٣٠ / ٥٠  
 ( ٣٠ ) تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٦  
 ( ٣١ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨ / ٢٩٢ ،  
 ابن الاثير ، أسد الغابة ٥ / ٤٠٥  
 ( ٣٢ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ٥ / ٣٦٤  
 ( ٣٣ ) السويق ، ما يتخذ من الحنطة والشمير .  
 ( ٣٤ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ج ٥ / ٣٦٤  
 ( ٣٥ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٨ / ٤٢٥  
 ( ٣٦ ) فتحية محمد عبد الهادي ،  
 الرميضاء المجاهدة الصابرة  
 مجلة ( الدفاع ) العدد ٦٤ الرياض ص ١٤٦ - ١٤٧  
 ( ٣٧ ) الواقي ، الصفازي ص ٩٩٢  
 ( ٣٨ ) ابن حجر ، الإصابة ٨ / ١٩٨  
 ( ٣٩ ) د . نوري حمودي القيسي ،  
 نساء من التاريخ  
 مجلة ( المرأة العربية ) العدد الثالث - بغداد / ١٩٨٦ ص ١٢٨ - ١٣٠  
 ( ٤٠ ) فطوي الشبلي ،  
 كصية الأسلمية .. أول مرضة في الاسلام .  
 مجلة ( الجندي ) - بغداد - تشرين الثاني ١٩٦٨  
 ( ٤١ ) سننية قراءة ،  
 أم المنوك .. هند بنت عتبة .  
 مجلة ( العربي ) العدد ٥٣ / ١٩٦٧  
 ( ٤٢ ) ابن هشام ،  
 السيرة النبوية ج ٣ ص ٧٢  
 دار احياء التراث العربي - بيروت .  
 ( ٤٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٨٤  
 الطبري ، تاريخ الرسل والملوك - تحقيق أبو الفضل ابراهيم - دار  
 المعارف - القاهرة الطبعة الرابعة ج ٣ ص ١٧ ابن الاثير : الكامل  
 في التاريخ ج ٣ ص ٦٣ دار صادر - بيروت ١٩٦٥  
 ( ٤٤ ) الواقي ،  
 الصفازي ، ص ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، مطبعة جامعة لندن / ١٩٦٦

والوضن للهودج بمنزلة البطان للقلب والتصدير للرجل والفرام  
 للرج . والوضن ، حزام الرحال ( يراجع لسان العرب - وضن ) .  
 ( ٥ ) الملقب ، جمع لقفه ، وهي القزلة - المتقدم ذكرها في الهامش  
 الثالث - ورجل الكف لم يلحق . ( يراجع لسان العرب - كف ) .  
 ( ٦ ) الصاري ، الوساد .  
 ( ٧ ) الصاري ، جمع لرق ، موضع المطرق من الرأس . ولرق الرأس ،  
 ما بين الجبين الى الدائرة ( يراجع لسان العرب - لرق ) .  
 ( ٨ ) النواقي ، الكثرة الجوارح .  
 ( ٩ ) الواقي ، المصح  
 ( ١٠ ) د . رمزية محمد الاطروحي ،  
 قبيلة بكر بن وائل وحروبها في الاسلام مجلة ( المؤرخ العربي )  
 العدد ٢٤ / ١٩٨٤ ص ٢١٤ - ١٥٠ وراجع : د . السيد عبد المزيلا  
 سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام مؤسسة الثقافة الجامعية -  
 الاسكندرية - مصر ١٩٧٣ ص ١٧٩ - ١٨٥  
 ( ١١ ) الخضب ، الشرف الثابت في الاياه . ( يراجع لسان العرب -  
 حسب ) .  
 ( ١٢ ) ابن حنبل ، الطل ج ١ ص ٣ لقرة ١٩٦٣ .  
 ويرى أن بني شيان اتخذوا شعارهم باسم رسول الله ، صلى الله عليه  
 وسلم ، ( يا محمد يا منصور ) ، وذلك قبل إسلامهم ، كما يقول  
 الاصمعي في ( نهاية الارب في اخبار العرب ) الورقة  
 ٢٥٠ ب . ١٢٥١ . مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم  
 ٦١٣ المرفوعة حالياً بـ دار صدام للمخطوطات  
 ويرى باحث معاصر أن بني شيان ربما اتخذوا اسم ( رسول  
 الله ) شعاراً لهم ، إذ سبق وأن التقاهم أثناء عرضه الاسلام على قبائل  
 العرب في موسم الحج .  
 يراجع كتاب : بنو شيان للاستاد محمود عبد الله المبيدي  
 ص ١٥٠ بغداد .  
 ( ١٣ ) د . نوري حمودي القيسي ،  
 نساء من التاريخ .  
 مجلة ( المرأة العربية ) العدد الثالث - بغداد ١٩٨٦ ص ١٢٨ - ١٣٠  
 ( ١٤ ) فطوي الشبلي ،  
 كصية الأسلمية .. أول مرضة في الاسلام .  
 مجلة ( الجندي ) - بغداد - تشرين الثاني ١٩٦٨  
 ( ١٥ ) سننية قراءة ،  
 أم المنوك .. هند بنت عتبة .  
 مجلة ( العربي ) العدد ٥٣ / ١٩٦٧  
 ( ١٦ ) ابن هشام ،  
 السيرة النبوية ج ٣ ص ٧٢  
 دار احياء التراث العربي - بيروت .  
 ( ١٧ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٨٤  
 الطبري ، تاريخ الرسل والملوك - تحقيق أبو الفضل ابراهيم - دار  
 المعارف - القاهرة الطبعة الرابعة ج ٣ ص ١٧ ابن الاثير : الكامل  
 في التاريخ ج ٣ ص ٦٣ دار صادر - بيروت ١٩٦٥  
 ( ١٨ ) الواقي ،  
 الصفازي ، ص ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، مطبعة جامعة لندن / ١٩٦٦



( ٥٢ ) الوالدي ، فتوح الشام ١ / ١٣٦  
 ( ٥٣ ) تاريخ الطبري ٣ / ٤٠١ دار المعارف بمصر ١٩٦٠ - ١٩٦٩  
 ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، ودار مكتبة الحياة ، بيروت  
 ١٩٦٣ ، ٢ / ٤١٣  
 ( ٥٤ ) القرآن الكريم : ( سورة آل عمران - الآية / ٢٠٠ )  
 ( ٥٥ ) البغدادي :  
 خزائن الادب ص ٣٣ وراجع تاريخ الطبري وغيره .  
 ( ٥٦ ) الطبري :  
 تاريخ الرسل والملوك ٣ / ٥٨١ و ٥٦٤ دار المعارف بمصر - القاهرة -  
 الطبعة الرابعة ١٩٧٩ ص ٤٩٤  
 ( ٥٧ ) تاريخ الطبري ٢ / ٥٩٧ ، أحمد عادل كمال : سقوط المداين  
 ونهاية الدولة الساسانية .  
 دار النفايس - الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ١٢٢ .  
 ( ٥٨ ) تاريخ الطبري ٣ / ٥٩٤ ، والمرجع السابق ذكره .

بيروت - دار المعرفة - دون تاريخ - ص ١٨٤ - ١٨٧ )  
 ( ٤٢ ) الفسطاط ، بيت من الشعر .  
 ( ٤٣ ) البيلادري :  
 فتوح البلدان ص ١٤٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ .  
 ( ٤٤ ) الوالدي : فتوح الشام ١ / ٤٥  
 ( ٤٥ ) ا . أكرم :  
 سيف الله خالد بن الوليد ص ٢٩٥ - ٢٩٧  
 ( ٤٦ ) الوالدي : فتوح الشام ١ / ٩٩  
 ( ٤٧ ) المصدر نفسه ١ / ١٢٥  
 ( ٤٨ ) المصدر نفسه ١ / ١٢٦  
 ( ٤٩ ) د . ياسين سويد :  
 الفن العسكري الاسلامي .  
 الطبعة الاولى - بيروت / ١٩٨٨ ص ٢١٢  
 ( ٥٠ ) الوالدي : فتوح الشام ١ / ١٢٧ - ١٢٨  
 ( ٥١ ) د . ياسين سويد : المرجع نفسه ص ٢١٤



## المرأة الأندلسية ودورها في الحياة الثقافية

### « في عصري الإمارة والخلافة »

١٣٨ هـ / ٤٢٢ م - ٧٥٥ هـ / ١٠٢٢ م

د. أحلام حسن مصطفى النقيب

كلية التربية - جامعة الموصل

في القرن الرابع الهجري / الماشر الميلادي ، اذ حظيت العلوم والمعارف باهتمام متزايد من لدن الامويين في الاندلس ، فالامير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل مؤسس دولتهم ( ١٣٨ - ١٧٢ هـ / ٧٥٥ - ٧٨٨ م ) ، يشار الى انه من اهل العلم ، وعرف بفصاحته وكتابته للشعر<sup>(١)</sup> ، وعرف عن الامير محمد بن عبد الرحمن ( ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦ م ) علمه بالحساب<sup>(٢)</sup> ، وانه اغلغ على العلماء والفقهاء عناية واضحة واموالاً طائلة<sup>(٣)</sup> ، وكان الامير المنذر بن محمد ( ٢٧٣ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨ م ) معروفاً بمعطائه الجزيل للشعراء الذين ينشدون قصائدهم في مجلسه<sup>(٤)</sup> ، واهتم الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله ( ٣١٦ - ٣٥٠ هـ / ٩٢٨ - ٩٦١ م ) بتشجيع العلماء واستقدام ومن أبرز من ولدوا على يده ابو علي القالي البغدادي ( ٢٨٨ - ٣٥٦ هـ / ٩٠١ - ٩٦٧ م ) الذي اكرمه الناصر واحسن وفادته<sup>(٥)</sup> . وقد سار على نهجه ولده الحكم المستنصر بالله ( ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٧ - ٩٧٦ م ) الذي كان من أبرز سمات حكمه عنايته الفائقة بالعلم والعلماء وليس غريباً ان يصفه أحد الباحثين بقوله « الخليفة العالم الجماع للكتب »<sup>(٦)</sup> . لقد شملت النهضة العلمية والثقافية في الاندلس معظم الناس بما فيهم النساء . فكانت المرأة الأندلسية أكثر قدرة على الحركة . تتلمذ وتتفقه في الدين وتدرس الادب وتنظم الشعر وتشارك في الحياة العامة فتبوت مكانة في مجالات الحياة المختلفة وتتمتع بحرية واسعة فاصبح لها شخصيتها

يتفق الباحثون على ان عصر الإمارة في الاندلس يبدأ منذ عام ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م ، وهو العام الذي أعلن فيه الامير عبد الرحمن بن معاوية ( الملقب بالداخل ) الحكم الأموي في العاصمة قرطبة والذي استمر في احفاده من بعده حتى سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م وهو العام نفسه الذي أعلن فيه الخليفة عبد الرحمن الناصر من الأمويين ايضاً عصر الخلافة في الاندلس بعد ان فرض شخصيته وسلطته على البلاد ، ذلك العصر الذي يعد من الناحية الواقعية والسياسية تنويعاً لعصر الإمارة وامتداداً طبيعياً له ، والذي استمر حتى سنة ٤٢٢ هـ / وهي السنة التي أعلن فيه انتهاء عصر الخلافة بخلق الخليفة هشام الممتد بالله الذي يعد آخر أموي حكم بلاد الاندلس . لقد تميزت المرأة العربية في الاندلس بحكم طبيعة المجتمع بنشاطها المتنوع وذلك للظروف الاجتماعية التي منحها لها ، الامر الذي ساعد فيه اظهار قابلياتها في العديد من النواحي العامة من الحياة . ولو تأملنا واقع الناحية الثقافية في الاندلس للمسنا المنية الواضحة التي كان يوليها المجتمع للمرأة من حيث توفير فرصة التعليم لها ، فضلاً عن الرعاية التي خصصها الامراء والخلفاء لهن ، وتشجيعهن ، من خلال اغناق الاموال عليهن ، وتحفيز العلماء لتعليمهن حسب الظروف المناسبة لذلك لما يمثل ذلك في نظير الدولة الأموية من رقي علمي وتمدن حضاري<sup>(٧)</sup> .

على أية حال ، فقد اسهمت الكثير من العوامل في تطوير الحياة الثقافية والعلمية في الاندلس التي وصلت أوج ازدهارها

المستقلة<sup>(١٠)</sup>.

ولعل استخدام المرأة ككاتبة على عهد الناصر وولده الحكم<sup>(١١)</sup> يعدّ بحد ذاته تشجيعاً لها ولمقدرتها الأدبية والثقافية وفي الوقت نفسه يعدّ مساهمة منها في رفد الحياة الثقافية.

أن مراجعة سريعة للمصادر الاندلسية ، تكشف عن انتشار التعليم بينهن واحترافهن لمهنة الخط والكتابة ، ولعل الرواية التي قيلت بشأن النساء اللواتي احترفن الخط الكوفي في الريض الشرقي في قرطبة خير مثال على ذلك فقد ذكر المراكشي<sup>(١٢)</sup> ، ما نصه : « كان بالريض الشرقي من قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي » . ومن بينهن عائشة بنت أحمد بن محمد القادم القرطبية التي اشتهرت بكتابة المصاحف وكانت تتميز بخطها الجميل<sup>(١٣)</sup> ولم يكن في زمانها من يعد لها فهماً وعلماً وادباً وشعراً وفصاحة وعلمة وجزالة وكانت تجمع الكتب وتعتني بالعلم ولها منه خزنة كبيرة ومن شعرها الى بعض الرؤساء قولها :-  
نؤلا السدموع لما خشيت عدوة  
فهي التي جعلت اليك سبيلاً<sup>(١٤)</sup>

فضلاً عن الكثير من النساء اللواتي احترفن كتابة ونسخ المصاحف واصبحت بالنسبة لهن مهنة<sup>(١٥)</sup> ، لكسب الرزق اذ لقيت تلك الحرقة رواجاً من حواضر الاندلس بوجه عام وذلك لاقبال طلبة العلم الى المساجد والتخلق حول العلماء لتعلم القرآن والكتابة<sup>(١٦)</sup>.

وبرزت المرأة الاندلسية بدراسة علم الحديث باعتباره الاساس الثاني في الشريعة الاسلامية بعد القرآن الكريم<sup>(١٧)</sup> . فظهرت نساء حدثن عن ازواجهن وابائهن امثال خديجة بنت جعفر بن نصير بن التحار التميمي زوجة الفقيه عبد الله بن اسد الذي ذكر بانها حدثت عن زوجها عبد الله بموطأ القعني سنة اربع وتسعين وثلاثمائة<sup>(١٨)</sup> ، كما حدثت علة عن ابيها سليمان بن منقوش وهو من اهل مدينة شذونة<sup>(١٩)</sup> ، واشتهرت أسماء بنت أبي داود بانها روت عن ابيها الذي كان مولى هشام المؤيد بالله وشاركته في بعض شيوخه<sup>(٢٠)</sup>.

ويبدو ان بعض النساء وصلن الى مرتبة ( الشيخة ) وهذا ما أكد عليه ابن بشكوال<sup>(٢١)</sup> فقد اشار الى تلقي احد العلماء وهو عبد الله بن اسماعيل ( ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ) العلم عن امرأتين من الاندلس كانتا ضمن شيوخه ، وتميزت بعضهن بمعرفتهن في الفقه فقد اشتهرت فاطمة بنت يحيى بن يوسف اخت الفقيه يوسف بن يحيى المصافي بتفانيها بدراسة الفقه<sup>(٢٢)</sup>.

أما في مجال الادب ، فقد نالت المرأة الاندلسية مكانة واضحة فيه وقد وصف المتري<sup>(٢٣)</sup> حال المرأة الاندلسية في مضمار فنون العربية ومنها البلاغة بقوله ( لهن اليد الطولى في البلاغة ) ، ويمكن ان نميز جانبين واضحين في مجال ابداع

المرأة الادبي وهما أولاً :

قيام المرأة الاندلسية بدور المؤثر في الادب لما لها من أثر اجتماعي اذ حركت نفسية الاديب الاندلسي فتغزل بها<sup>(٢٤)</sup> ووصفها ، فظهر أثرها البارز في نتاجه الادبي بوجه عام . وثانياً تتفاعل وتأثير المرأة الاندلسية بالحركة الادبية التي واجت في تلك البلاد بفعل الاعلام الذين عاشوا في ظل عصر الامارة والخلافة .

على أية حال فقد لجأت المرأة الاندلسية في نظم الشعر وحفظت لنا كتب التراجم الكثير منهن ، فعلى صعيد عصر الامارة اشتهرت الشاعرة حسانة التميمية ابنة الشاعر ابي المخشى عاصم بن زيد وتميزت بكونها « شاعرة مطبوعة »<sup>(٢٥)</sup> فكان شعرها مزيجاً من الرثاء والشكوى والمدح ، ويعد قمة في ما وصلن اليه من النضج الفني والاصالة الشعرية<sup>(٢٦)</sup> . وكان ابوها قد ادبها وعلمها الشعر فلما مات ابوها كتبت الى الحكم ابن هشام مشتكية من والي البيرة ( جابر بن ليبد ) وكان الحكم قد وقع لها بخط يده بتحرير املاكها برد املاك ابيها اليها ولما مات الحكم امتنع جابر عليها فدخلت الى الامام عبد الرحمن وقصت عليه جميع امرها ودلعت اليه خط يد والده الحكم بتحرير املاكها ، فعزله ووقع لها بمثل توقيع ابيه وامر لها بجانزة فانصرفت وبعلت اليه بقصيدة من البيرة منها هذه الابيات :-

ابن الهشامين خير الناس مائترة  
وخير منتج يومياً لرواد  
ان هز يوم الوغى اثناء صعدته  
روي انا لببيها من صرف فرصاد  
قل لسلامم ايا خير الوري نسباً  
مكابلاً بين ابناء واجداد<sup>(٢٧)</sup>

كما برزت في عصر الخلافة شاعرات كثيرات منهن عائشة بنت احمد القرطبية التي فاقت نساء عصرها من الناحية العلمية والادبية فامتازت بالفصاحة وجزالة الشعر فمدحت امراء الاندلس وقصدهن في حاجتها<sup>(٢٨)</sup> ، فقامت ما تريد قياساً الى ادبيات غيرها وبلغت شأن كبيراً ، فاذا ما تشلمت الى احد لا ترد شلاعتها<sup>(٢٩)</sup> . وكذلك حفصة بنت حمدون الحجازية المنسوبة الى وادي الحجازة<sup>(٣٠)</sup> ، التي تمتعت بمكانة ادبية وعلمية مرموقة مما جعل ابن سميده<sup>(٣١)</sup> يقول عنها ( ان بلدها يلخر بها ) ، ولها شعر كثير منه قولها :

يارب اني من عبيدي على  
جمهر الفضى مالفهم من نجيب  
ما جهول ابله متعبد  
او فطن من كده لا اخيب<sup>(٣٢)</sup>

وكذلك مريم بنت أبي يعقوب الانصاري التي وصفتها المصادر بالادبية والشاعرة فكانت في شعرها ذات جزالة واضحة<sup>(٣٣)</sup> ، وقد قال في حقها شاعر من عصرها بانها « فاقت

## الخنساء في الشعر<sup>(٢٢)</sup>

سكنت اشبيلية واشتهرت بها وكانت تعلم النساء الادب وعمرت عمراً طويلاً ومن شعرها :

وما يُرتجى من بنت سبعين حجة  
وسبع كنسج العنكبوت المهلهل  
تدب دبيب الطفل تسمى الى المصا  
وتمشي بها مشى الاسير المُجْبَل<sup>(٢٣)</sup>

وبرز منهن أيضاً ام العلاء بنت يوسف الحجازية فقد ذكرها ابن سعيد قائلاً<sup>(٢٤)</sup> : « انها ممن تفخر بها بلدها وقبيلها » ومن شعرها

كل ما يصدر عنكم خسر  
ويغنى اكم يحلى الـ  
تمكث العين على منظر  
ويذكر اكم تـ  
من يمش بونكم في عمـ  
فهو في نيسل الاماني يُغنى

فضلاً عن الشاعرة حمدة بنت زياد المؤيد المعروفة بخنساء المغرب على الرغم من ان شعرها ليس في الزناء بل في الغزل ومن جميل ما قالت<sup>(٢٥)</sup>

ولما أبى السواشون الافسراقنا  
ومالهم عسدي وعندك من نار  
وشنوا على اسماعنا كل غارة  
وقتل خمساتي عند ذاك وأنصاري  
غزوتهم من مقلتيك وأبمي  
ومن نفسي بالسيف والشيل والنار

كما برزت الشاعرة الدسائية المشهورة التي كانت تدح الملوك ولها قصيدة طويلة في الامير خيران العامري صاحب المرية تمارض بها ابا عمر احمد بن دراج في قصيدته التي مطلعها .

لك الخير قد اوفى بمهدك خيران  
ويشارك قد اواك جـز وسلطان

فتقول :

اتجسز أن قالوا سنظمن أظمان  
وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا  
وما هو الا الموت عند رحيلهم  
والأ فميش تجتني منه أحـزان  
عهـدتهم والعيش في طـسل وصلهم  
انفق ويوش السدهر أزهر ريان<sup>(٢٦)</sup>

وشهد اواخر عصر الخلافة الشاعرة ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر عبد الرحمن ابن محمد الذي بويج بالخلافة سنة ( ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م )<sup>(٢٧)</sup> . ويبدو ان اباها قد اهتم بتنقيتها فاحضر لها المعلمين والمؤدبين فتفتحت مواهبها ، وقد نعت ولادة بالفصاحة والنباهة واجادة الشعر وجزالة القول<sup>(٢٨)</sup> فكانت تمتد المجالس الادبية في قرطبة<sup>(٢٩)</sup> ، ان يتناظر الشعراء والادباء<sup>(٣٠)</sup> في مجلسها الادبي كما اسهمت بشكل كبير في تطوير الحركة الادبية في الاندلس فكانت تشترك في المساجلات الادبية فضلاً عن انها تباري الشعراء ولعل هذا في حد ذاته يعد قفزة نوعية في تاريخ الادب النسوي الاندلسي .

وفضلاً عن ميلها للادب ونظمها للشعر كانت مولعة بالحب مستسلمة للمبت ولكنها لم تتزوج طول حياتها وقد اطلع بها ابن زيدون<sup>(٣١)</sup> واوقمت به وريط المؤرخون ذكرها بفكره ، ومن جميل ما كتبه له في ايام الشباب .  
تروى إذا جن الظلام زيـاري  
لاني رأيت الليل أكرم للسر

وي ملك ما لسو كان باليد مايد  
وبالشمس لم تطلع وباليد لم يسر

وقد حصلت جولة بينهما فكتبت اليه :  
ألا هل لنا من بعد هذا التفرق  
سبيـل فيشكو كل صب بما لقي  
وقد كنت اوقات التزاور في الشـما  
أبيت على جسر من الشوقي يحرق  
فكيف وقد امسيت في حـال قطـفـه  
لقد عجل المقدر ماكنث أتقي<sup>(٣٢)</sup>

والى جانب ولادة لبفت شاعرات كدن يضاhein الشعراء في الشعر والادب باط بنظمه مثل مهجة القرطبية تلميزة ولادة وجاريتها ، ويثينة بنت المعتمد بن عباد وغيرهن .

وفوق هذا فقد اهتمت المرأة الاندلسية بالناحية العلمية أيضاً . ومما يؤيد ذلك ان بعضهن وصفن بكونهن « عالمات » فقد قيل بحق فاطمة بنت يحيى بن يوسف المفاصي تلك الصفة العلمية<sup>(٣٣)</sup> وكذلك بحق الشاعرة حلصة بنت حمدون<sup>(٣٤)</sup> ، كما اشتهرت بعضهن بالعلم فقد قيل عن لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر بانها مهيمنة بالعلم ولها معرفة بالحساب وعلم العروض<sup>(٣٥)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فقد اسهمت المرأة الاندلسية في اقتناء الكتب العلمية حيث وجدت مكتبات خاصة لهن مما يدل على اهتمامهن بالحركة العلمية ورغبتهن الذاتية في التزود بالعلم

فخطت بأبيات ثلاث نظمتهما  
ليبدو بها خطي وقلت لها أنظري<sup>(١)</sup>

وأخيراً فقد عملت النساء ككاتبات في قصور الخلافة ، فقد شهدت الاندلس في عصر الخلافة وخاصة على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تطورات سياسية اقتضت المزيد من المخطابات والمراسلات والسفارات التي كانت تزداد الى بلاط الناصر .

فاشتهرت مزنة ( ت ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م ) بوصفها كاتبة الخليفة الناصر لدين الله لما تمتعت به من جودة في الخط فاقت غيرها<sup>(٢)</sup> كما برزت الكاتبة لبني ( ت ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م ) على عهد ولده الحكم فقد وصفها ابن بشكوال بقوله : « حائفة ، نحوية ، شاعرة ، بصيرة بالحساب ، عروضية ، خطاطة ، ولم يكن في قصر الحكم أنبل منها »<sup>(٣)</sup> كما اشارت بعض المصادر الى كاتبات مارسن الكتابة خارج نطاق البلاط فقد اشتهرت زمرد ( ت ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م ) بأنها كاتبة حائفة<sup>(٤)</sup> ، وفاطمة بنت زكريا ابن عبد الله الكاتب التي امتازت بانها كاتبة جزلة تكتب الكتب الطوال وتحسن اجادة الخط والالقاء<sup>(٥)</sup> .

وهكذا نرى ان المرأة الاندلسية لا تقل عن الرجل في المضمار الثقافي فكانت اهتماماتها العلمية والثقافية مبكرة بحيث اظهرت نتائجها الكبيرة في الجهود اللاحقة فظهرت نساء كثيرات طرقت مجالات أوسع في العلوم والآداب .

والاطلاع على المؤلفات العلمية ، فقد عرف عن عائشة بنت احمد القرطبية انها كانت لها خزانة علم كبيرة حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب توفيت سنة ٤٠٠ هـ<sup>(٦)</sup> .

ولم تتوقف المرأة الاندلسية عند حدود التعلم بل راحت تشارك في الوظائف العلمية والرسمية فقد مارست المرأة الاندلسية مهنة التدريس ( المؤدية او المعلمة ) ولم يكن بوسعها ان تمارس هذه المهنة في الكتاتيب كما هو الحال بالنسبة للرجل بل مارستها داخل البيت ، فقد ذكر ان اخت محمد بن حزم<sup>(٧)</sup> كانت تمارس التدريس داخل الدار وكانت هي وابوها واخوها يمارسون التعليم في دار واحدة<sup>(٨)</sup> . وأشار كذلك احمد بن محمد الرازي<sup>(٩)</sup> الى المعلمة فخر التي توفيت سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م .

اما على صعيد الادب وتعليمه فقد ذكرت المصادر ان الشاعرة مريم بنت ابي يعقوب الانصاري كانت تمارس تعليم النساء الادب<sup>(١٠)</sup> كما مارست المرأة الاندلسية الكتابة وشغفت بها وتميزت بالخط الجميل سواء كتابة الرسائل او نسخ الكتب مما يدل على تميز بعضهن بثقافة عالية واسلوب رفيع مكنهن من اداء تلك الوظائف بشكل مرضي ، فكانت صفية بنت عبد الله الزبي موصوفة بحسن الخط وقد غابت امرأة خطها فقالت :

وعائبة خطي فقلت لها اقصري  
فسوف أريك الدُر في نظم أسطري  
ونسائيت كفى كي تحيود بخطها  
وقبرت أقلامي ورتي ونحبي

## الهوامش والمصادر

- ( ٥ ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .
- ( ٦ ) ابن حيان ، المقتبس ، نج ، شاليتا ، ج ٥ ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ ؛ الحميدي جذرة المقتبس ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، الضبي ، بليدة الملتبس ، ص ٢١٦ - ٢١٧
- ( ٧ ) بالنها ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، ط ١ القاهرة - ١٩٥٥ ، ص ٦٠
- ( ٨ ) محمد عبد العزيز عثمان ، دور المرأة العربية في الاندلس ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٣ ، السنة ١٩٨٠ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- ( ٩ ) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٢ ، الضبي ، ص ٥٣٠ - ٥٣١
- ( ١٠ ) عبد الواحد بن علي ، المصحب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد سعيد العريان . ( القاهرة - ١٩٦٣ ) ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧
- ( ١١ ) مجهول المؤلف . ذكر بلاد الاندلس ، نج لونييس موليتا ، ط ١ ( مدريد - ١٩٨٣ ) ، ص ٣٢ ، المقرئ ، شهاب الدين احمد بن محمد المقرئ التلمساني تلح الخطيب من ضمن الاندلس الرطيب ، تحقيق :

- ( ١ ) الحميدي ، محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي ، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس الدار المصرية للناليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ( القاهرة - ١٩٦٦ ) ص ٤١٢ - ٤١٤ ، ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك ، كتاب الصلة ، ( القاهرة - ١٩٦٦ ) ج ٢ ، ص ٩٩١ ، وما بعدها ، الضبي ، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة ، بليدة الملتبس في تاريخ رجال الاندلس ، ( مدريد - ١٨٨٤ ) ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .
- ( ٢ ) ابن عذاري ، احمد بن محمد المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ج . س. كولان وأ . ليفي بروفنسال . دار الثقافة ( بيروت . ٤ ت ) ج ٢ ، ص ٦٠ ، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، دار المكتشف ( بيروت - ١٩٥٦ ) ، ص ١٠
- ( ٣ ) ابن حيان . المقتبس ، تحقيق ، محمود علي مكي ، ج ٢ ( بيروت - ١٩٧٣ ) ، ص ٣٦ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .
- ( ٤ ) ابن حيان ، المقتبس ، نج ، مكي ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

- ٥٢٨ ص
- ( ٣٣ ) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ص ٦٩٤ : الحميدي ص ٤١٢
- ( ٣٤ ) المغرب في خلى المغرب ج ٢ ص ٣٨ : بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ص ٧٣
- ( ٣٥ ) جودت الركابي ، في الادب الاندلسي ، ط ٤ دار المعارف بمصر ٩٨ ص
- ( ٣٦ ) الحميدي ، جذوة المقتبس ص ٤١٣
- ( ٣٧ ) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام في من يبيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، ص ١٣٥ - ١٣٦ المقرئ ، نفع الطيب ، ج ١ ص ٤٣٧
- ( ٣٨ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٩ ، الضبي ، ص ٥٣٢
- ( ٣٩ ) ابن بسام ، هو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ( بيروت - ١٩٧٩ ) ، ق ١ مج ١ ص ٤٢٩ : المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ص ٢٠٨
- ( ٤٠ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٩ ، الضبي ص ٥٣٢
- ( ٤١ ) ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة سنة ٤٩٤ هـ / ١٠٠٣ م وهو ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرشي وهو عربي ينتمي الى قبيلة مخزوم القرشية التي ذكرها القرشي بين القبائل التي رحلت الى الاندلس وذكر منها ابن زيدون وكان ابوه قاضياً في قرطبة وجميعاً ثرياً غزير العلم والادب . جودت الركابي ، في الادب الاندلسي ، ص ١٦٣
- ( ٤٢ ) المرجع نفسه ص ١٧٠
- ( ٤٣ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٩ ، الضبي ، ص ٥٣١
- ( ٤٤ ) المقرئ ، نفع الطيب ، ج ٢ ص ٢٩٦
- ( ٤٥ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٢ ، محمد ناهر حمادة ، المكتبات في الاسلام ، ط ٣ ، ( بيروت - ١٩٨١ ) ، ص ١٨
- ( ٤٦ ) ابن الابار ، ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، التكملة لكتاب الصلة ، نشر وتصحيح عزت المطار الحسيني ، مطبعة السعادة ( مصر - ١٩٥٦ ) ج ١ ص ٣٥٨ : المراكشي ، السفر السادس ، تحقيق : احسان عباس ( بيروت - ١٩٧٣ ) ، ص ١٥٧ - ١٥٨
- ( ٤٨ ) ابن الابار ، التكملة ج ١ ص ٢٨١ ، ٣٥٨ : المراكشي . السفر السادس ص ١٥٨
- ( ٤٩ ) ابن الفرسي ، ج ١ ص ٢٥٣
- ( ٥٠ ) الحميدي ص ٤١٢ : ابن بشكوال ج ٢ ص ٦٩٤ - ٦٩٥ : الضبي ، ص ٢٥٨
- ( ٥١ ) ابن بشكوال ، الصلة ج ٢ ص ٦٩٣ : الحميدي ، ص ٤١٢
- ( ٥٢ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٢ : الضبي ص ٥٣١ : المراكشي ، السفر الثامن ق ٢ ص ٤٩٢
- ( ٥٣ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٢ : الضبي ص ٥٣٠ : المراكشي ، السفر الثامن ، ق ٢ ص ٤٩٢
- ( ٥٤ ) المراكشي ، السفر الثامن ، ق ٢ ص ٤٨٥
- ( ٥٥ ) ابن بشكوال ، ج ٢ ص ٦٩٤

- احسان عباس ، دار صادر ( بيروت - ١٩٦٨ ) ج ٢ ، ص ٢٩٠
- ( ١٢ ) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٩٢
- ( ١٣ ) ابراهيم علي المكش ، التربية والتعليم في الاندلس ، ط ١ ، دار الفحاء - دار عمار ، ( عمان - ١٩٨٦ ) ، ص ٦٥
- ( ١٤ ) خوليان ريبيرا ، المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية ، ترجمة : جمال محرز ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ( القاهرة - ١٩٥٩ ) م ٤ ، ج ١ ، ص ٩٤
- ( ١٥ ) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : علي عبد الواحد والي ، ط ١ ، لجنة البيان العربي ( بلا - ١٩٦٠ ) ج ٣ ، ص ١٠١٠
- ( ١٦ ) ابن بشكوال ، الصلة ، ج ٢ ص ٦٩٣
- ( ١٧ ) ابن الفرسي ، عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي ، تاريخ علماء الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب ( القاهرة - ١٩٦٦ ) ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥
- ( ١٨ ) المراكشي ، محمد بن محمد بن عبد الملك ، الدليل والتكملة لكتابي الوصول والصلة ، السفر الثامن ، تحقيق : محمد بن شريفة ، مطبعة المعارف الجديدة ( الرباط - ١٩٨٤ ) ق ٢ ص ٤٧٨
- ( ١٩ ) الصلة ، ج ١ ، ص ٢٨٤
- ( ٢٠ ) المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٩١ ، الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٥٣١
- ( ٢١ ) نفع الطيب ، ج ٢ ص ١٦٦
- ( ٢٢ ) احمد امين ، ظهر الاسلام ، ط ٤ ، ( القاهرة - ١٩٨٣ ) ج ٢ ، ص ٢٢٨ : سلمى سلمان علي ، المرأة في الشعر الاندلسي ( عصر الطوائف ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة المستنصرية كلية الاداب - بغداد ( ١٩٨٦ ) ، ص ٤٢
- ( ٢٣ ) المراكشي ، السفر الثامن ، ق ٢ ص ٤٨٤
- ( ٢٤ ) احمد هيكل ، الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، ط ٢ دار المعارف بمصر ، ( القاهرة - ١٩٧٠ ) ، ص ١٢٤
- ( ٢٥ ) مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، ص ١٣٠ : ١٤٢ : بالنتيا ، تاريخ الفكر الاندلسي : ص ٥٧
- ( ٢٦ ) ابن بشكوال ج ٢ ص ٦٩٢ ، المغرب ج ٢ ص ٦٩٠ : علي المرأة في الشعر الاندلس ، ص ٢٨ ، ٢٣٩
- ( ٢٧ ) ابن بشكوال ج ٢ ص ٦٩٢
- ( ٢٨ ) السيوطي ، جلال الدين ، نزاهة الجلساء في اشعار النساء ، تحقيق : عبد انطوف عاشور ، مكتبة التراث ( القاهرة - بلا تاريخ ، ص ٤٣
- ( ٢٩ ) المغرب في خلى المغرب ، تحقيق : شوقي صيف ، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، ( القاهرة - ١٩٦٤ ) ج ٢ ص ٣٧
- ( ٣٠ ) ابن سعيد ، المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٧
- ( ٣١ ) الحميدي ، ص ٤١٢ : الضبي ، ص ٥٢٨ : ابن بشكوال ج ٢ ، ص ٦٩٤ - ٦٩٥
- ( ٣٢ ) ابن بشكوال ج ٢ ص ٦٩٥ : الحميدي ، ص ٤١٢ ، الضبي ،



## دلالات الرمز الإنشوي في شعر المعري

د. نادية غازي العزاوي

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

### المدخل : اللغات

• ( وحدانية الخالق إزاء ثنائية المخلوق ) بقوله جوهرية التفت عندها  
الاديان وأهل العقائد والحضارات على هذه الأرض تعبدوا عن كمال الخالق  
( الواحد . الأوجد ) ونقص المخلوق المبتلى بمحنة الضمائر ذكراً و أنثى  
وتشتت طائفتيه بينهما والمعنى لذلك بالبحث الوجودي من خلق الآخر  
المتنم والمكمل له ، مما أسطر على من المصور عن حكايات ونقص متجددة  
ومتشابهة أحياناً في مضامينها وإن اختلفت الاسماء والأشكال : ( آدم  
وحواء ) ، ( حمور وعشتار ) ، ( لوزير وإليس ) ، ( روميو وجوليت ) ،  
( انطونيو وكوليترا ) ، ( إيس وليلى ) .... الخ ، حكايات أرغفتها ذاكرة الزمن  
للإحمال أثلة حية لرحلة المخلوق المعشبة في تحذي نفسه ومقاومة  
نظمه للارتباب من الكمال .

وتعددت مكانة الفرد الاجتماعية في المجتمع بهويت  
القبلية التي تشكلها أنساب الآباء والأجداد .

ولكن تلك الهيمنة لم تلغ ( الأنوثة ) ولم تهتم تجلياتها  
في جوانب متنوعة من الحياة آنذاك ومهمة كالأنساب - مثلاً - فمع  
سيادة النسب الأبوي عرف المجتمع الجاهلي والإسلامي ظاهرة  
لها جذورها التاريخية المولدة في القم<sup>(١)</sup> أوجدتها إفرازات  
الواقع الاجتماعي وشكلاته : ( الرق ، الحروب ، السبي ... الخ )  
هي ( النسب إلى الأم ) وكانت كاس لها ظهر في بعض كتب  
التراجم باب ( من نسب إلى أمه من الشعراء )<sup>(٢)</sup> - مثلاً - .

ولم يحل وصف ( الصحراء ) بطوايح ذكرية دون دوران  
الاسماء والنموت المعززة لعملى ( الأنوثة ) فيها في اشعارهم  
وخطبهم : ( الفلاة ، المومة ، التيهاء ، التنوفة ، اليهماء ...  
الخ ) ، وإذا بدت القصيدة عند شاعر ( مذكرة ) فإن القرون  
اللاحقة شهدت ولادة رؤى مقابرة تلوح ضمناً أو تصرح بانوثة  
الشعر ، كقول أبي تمام :

• أذى الصراع من أجل العيش في الصحراء القاحلة الى  
تعظيم معاني القوة الجسدية والجلد والشدة والقدرة على  
الاحتمال ، فكانت ( الذكورة ) عند العرب القوة المهيمنة على  
الفكر والسلوك في سياقات الحياة المختلفة ، وانبثقت  
( الفحولة ) تمبيراً طبيعياً عن هذه الهيمنة وعلى مستويات  
مختلفة : الفحل من الجمال ، والفحل من الشعراء ، واستقرت  
( الفحولة ) يوحى من ذلك مصطلحاً نقدياً بمعطيات فنية  
مخصوصة تبوؤ صاحبها مكاناً سامقاً في سلم الإبداع ، ووسموا  
الاشياء بطوايح ولوازم ( ذكورية ) تفخيماً لها<sup>(٣)</sup> ، فوصف كعب بن  
زهير الصحراء بقوله :

وصرماء مذكّار كأن دوتها

يُعَيِّد جَلان الليل ما يخيّل<sup>(٤)</sup>

وزهو ( مژد ) يقصيده سوّج له تذكيرها في قوله :

مذكّرة تلقى كثيراً روايتها

ضواح لها في كل أرض إذا مل<sup>(٥)</sup>

والشعر فرج ليست خصيصته  
طول الليالي ألا لمفتوحة<sup>(١١)</sup>

ويلغ من حضور ( الانوثة ) أنها تمكنت من النفاذ الى زوايا  
قد تبدو وفقاً على ( الذكورة ) مثل ( الحرب ) لعبة الرجال  
الدموية العاتية ، فقد تسلت ملامحها وطوابعها الى لغة الشعراء  
الفرسان وداخلت استعاراتهم وتشبيهاتهم ؛

ولقد ذكرتك والرماح نواهل  
مني وبيض الهندي تقطر من دمي  
فوددت تقبيل السيوف لأنها  
لمعت كبسارق ثورك المتجشم

واكتست صورهم بوحى منها حللاً شفيفة مزجت رموز الحرب  
بالحب ؛

شجاع كأن الحرب عاشقة له  
إذا زارها فدته بالخيال والزجل<sup>(١٢)</sup>

• وقد تبدو ( اللغة ) من الخارج مستقلة بقوانينها الداخلية  
النحوية والصرفية ولكنها في الحقيقة لا تتحرك بمفاتيح عن  
إسقاطات معتقدات البشر واساليب تفكيرهم عليها ، وهكذا  
انصبت المساجلات ( الذكورية / الانثوية ) على قوانين اللغة ،  
فاكت بعض صيغ ( التقليل ) السماعية - مثلاً - قوة الذكورة ،  
حيث يقضي اجتماع اسمين : مذكر ( القمر مثلاً ) ومؤنث  
( الشمس ) بتقليل الاول على الثاني في التثنية أي  
( قمران )<sup>(١٣)</sup> ، ومثلها الشمس والقمر ( بخسفاً ) بتقليل  
( الخسوف ) على ( الكسوف )<sup>(١٤)</sup> ، ولأن الذكورة من الوجهة  
اللغوية هي الاصل والتأنيث فرع عليها احتيج الى تمييز المؤنث  
بعلامات فارقة تميزه : ( التاء والالف المقصورة والممدودة ) بينما  
تحرر المذكر من ذلك<sup>(١٥)</sup> ، ولكن الادوار بينهما تبقى مع ذلك  
سجلاً في اللغة كما في الطبيعة والحياة ، فتمت اساليب في اللغة  
رجحت ميزان الانوثة وبرزت تأثيرها او انتصفت لها في الاقل ،  
منها - مثلاً - : ما جاء في باب ( المملوح من الصرف ) ،  
فالعلمية والتأنيث في الاسم تكفيان لمنعه من الصرف - الا ما كان  
ثلاثياً - ، ومجيء الاسم مخفوماً بالفاء تأنيث ممدودة او مقصورة  
كأنياً لتحقيقه ايضاً ، بينما تقتصر العلمية والذكورة وحدها عن  
ذلك<sup>(١٦)</sup> ، وبالمقابل تساوي ( صيغ المبالغة ) بين الطرفين على  
وجه من وجوه العدالة<sup>(١٧)</sup> .

• من عزلته النائية حاول المعري حسم هذه القضية الشائكة  
برؤية متاملة ومتغيرة قادته الى قناعة بالمساواة بين ذكورية الكون  
وانثويته ؛

للمليك المذكرات عبيد  
وكذلك المسؤنات إماء

فالهلال المنيث والبدر والفرقد  
( م ) والصبيح والثرى والمساء  
والشسريا والشمس والناز والنشرة  
( م ) والارض والصحي والسمسماء<sup>(١٨)</sup>  
( ل : ١ / ٥٧ ) .

في الشطار مذل توازناً وتضاداً حيث تتطابق المناصر مع  
اضدادها : ( العبد / الأمة ) ، ( البدر / الشمس ) ،  
( الفرقد / الثريا ) ، ( الماء / النار ) ، ( الصبح / الضحى ) ،  
وتنقاد جميعاً لتبعية مطلقة اقترافاً وتوظيفاً البارز لـ ( لام  
التملك ) في مفتتح البيت الاول :  
( للمليك ..... ) ، منتهياً عوداً على بدء الى الحقيقة  
الازلية : ( وحدانية الخالق وثانية المخلوق ) .

اليبحث عن البديل :

- ١ -

لعل أبرز ما يشد القارئ الى شعر المعري الروح العبية  
الحرية والمتمردة فيه : في تعامله مع اللغة واسلوب تشكيله  
للالفاظ والتراكيب ، وفي وعيه المخترق للاعماق وفي تحطيمه  
لسكونية الرؤى التقليدية المتخثرة وفي تشكيكه بالتوابع والحدود  
الفاصلة بين القيم : ( الخير والشر ) ، ( السواد والبياض ) ،  
( الحزن والفرح ) ، ( الخطأ والصواب ) ... الخ على نحو تتداخل  
الاوراق وتختلط فيه ؛

- ويصير الأقسام متلي أعصى  
فهللوا في جنس نصابم ( ل : ٢ / ٤٨٨ )  
- خمسون قد عشها فلا تمش  
والتمش لفظ من قولك انتمش ( ل : ٢ / ٧٨ )  
- وجزم في الحقيقة مثل جم  
ولكن الحروف به عكشة ( ل : ٢ / ٥٢٥ )

من تجليات رؤيته المولمة بقلب الصور وعكس الموازين  
واستبدالها<sup>(١٩)</sup> موقله من ( الانوثة ) مفهوماً وواقعاً ، نظرية  
وتطبيقاً .

تكوين القراءة الاولى في رصدها الخارجي لهذه الظاهرة في  
شعره الى تصور قاصر قد لا يغطي اجزاء الصورة كاملة ، وهو  
ما سبق ان انساق اليه الخلب دارسيه حيث شخّصوا رفضه للمرأة  
وبفضه وعداه لها على المستويين : الحياتي والإبداعى ، وكادوا  
ان يتلقوا في تحديدهم لاسباب هذا الرفض على ثلاثة جوانب  
رئيسية :

١ - جانب فكري يتعلق برفضه العام لمطلق الوجود والتحقق  
الى راحة العلم ، الاخر الذي قاده الى الإعراض عن المرأة



بوصفها رمزاً نديمومة الحياة واستمرارها .

٢- جانب اجتماعي يمثل رد فعل على شيوع النمط النسوي المبطل بتأثير التردّي والانحطاط في القيم الاخلاقية في مجتمع القرنين : الرابع والخامس الهجريين .

٣- جانب نفسي يتعلق باخفاقة في تجربة حب شخصية افقدته الثقة بالمرأة ودفعته الى الكبر بها<sup>(١١)</sup> .

على اننا يمكن ان نمثّل في عدائه لها ثلاثة مواقف متلازمة ومتبينة عن بعضها بمؤثرات تحويلية وتراجمية - اذا صح التعبير - لانها تبدأ من الرفض الكلي لتنتهي الى القبول والتسليم وعلى النحو التالي :

١- موقف مبذلي رافض لاصل وجودها وكيونيتها جزءاً من فلسفته من رفض الوجود وتوحي العم<sup>(١٢)</sup> - كما سبق :

بدء السعادة أن لم تخلق امرأة  
فهل تودّ جمادى أنها رجب ( ل : ٩١ / ١ )

٢- موقف واقعي يمي استحالة القضاء على وجودها ، ولذلك يتحايل في الالتفاف عليها بتجميد فاعليتها وتثبيتها بالحجب والإقصاء او بمعنى اخر تعجيل موتها ممنوياً :

إذا احتسوى الريم على رماهما  
لزمهما البيت مع اهتمامها  
حتى يجيها الوفد من جمابها

وخلفها المغزل في إتمامها  
اوفى بما تعقد من ذماها . ( ل : ٢ / ٤٧١ )  
وحيد - تحت ذرائع معينة - وأنها دفنها<sup>(١٣)</sup> ، كقوله :

وذفن والحوادث فاجمات  
لإحداهن إحدى المكومات . ( ل : ١ / ٢٢٣ )  
وقوله -

ودفن الفسانيات لهن اوفى  
من الكليل المنيمة والحذور ( ل : ١ / ٥٥٧ )

او بالتفنير من مفاتنها ومسح ادميتها صوراً حيوانية كريمة وقد لوحظ في هذا الاتجاه تكرار اقتران صورة المرأة في شعره برموز حيوانية معينة عمق الوعي الاسطوري دلالاتها على الفتك والخديعة ، كقوله :

وأنسا الخوؤ في مساربها  
كريمة الشم في تساربها  
فسلا تكسوني مثل التي لدغث

تبدأ في شؤها بأقربها . ( ل : ١ / ١٧٦ )  
وقوله :

عروشك اقمى فهب قريها  
وخف من سليك فهو الخنش . ( ل : ٢ / ٨١ )

وقوله :

جذّر العروس وان كانت محببة  
ادمى وأفتك من عزيصة الاسد . ( ل :

١ / ٣٧٥ )

وقد أباح حتى الإخساء سبيلاً الى إيقاف الحياة داخلها وبالضد من قوانين الطبيعة والشرائع :

خصاوك خير من زواجك حسرة  
فكيف إذا أصبحت زوجاً لمومس . ( ل :

٢ / ٤٢ )

وكثف في رسم مسوخة النسوية تلك استخدام التقنيات الإسلامية التي يجيدها ومنها : الجنس والتلاعب بالصيغ الاشتقاقية والتوظيف التناسي لآليات القرآنية على نحو يصرف فيه دلالاتها من وجهة الى أخرى . كقوله :

إن صخ عقلتك فالتفرد نعمة  
ونوى الاوانس غايية الإناس  
أبلشت من وسواس خلي خلث

إبليس وسوس في صدور الناس  
ما شئت من شقاء قبل وهل ناث  
خنساء عن شيطانها الخناس . ( ل : ٢ / ٦١ )

٣- القبول بها عقيماً غير قادرة على فعل ( الإنجاب ) لان « العقم وجه من وجوه العم<sup>(١٤)</sup> » :

إن شئت يوماً وصلّة بقرينة  
فخير نساء العالمين عقيماً . ( ل : ٢ / ٣٩١ )

ويما يشبه الرخصة أباحها على وجه من الاضطراب والاستثناء الذي لا يلغي القاعدة ولكن يؤكد أنها حالات محدودة ومحكومة بظروف قسرية توجهها ، بينما ظلت امانيه المدمية المفضلة تتردد اصداؤها في جنيات شعره :

كسوتي الثريا أو حضار أو الجوزاء  
( م ) او كسوالشمس لا تلسد  
فلتلك اشرف من مؤنثة

تجلت فضاك بنسلها البلد . ( ل : ١ / ٣٤٣ )

- ٢ -

كل ما تقدم يمثل حصيلة القراءة الاولى ، اما القراءة التالية المتعمقة فيمكنها ان تهدينا الى تصور جديد ومنظور اخر مخالف تماماً للرأي المعروف والسائد ، لاننا بدءاً ستميز في شعره عدة مستويات من التعامل مع الانثى وليس موقفاً واحداً موحداً كما يظن وثمة أنماط مختلفة للأنوثة فيه تتوزع على محورين : انوثة حقيقية في الكائنات الحية ، وانوثة متوهمة في الجماد

وما لا يعقل من ظواهر الطبيعة .

وكانه إذ افتقد حواء في البشر راح يتلمس أخرى بديلة في مظاهر الطبيعة والكون كي تبديد عذابات وتؤنس وحشته . ولهذا تجده يستلب من الأولى ثقمةً وغضباً أخض صفاتها من الخصوبة وديمومة الحياة وجمالية المظهر ويهبها عن طيب خاطر الى أثناء الأخرى .

وإذا ما تجسست حواء البشرية امامه امتولة للمفاسد والشرور غالباً فإنه ادخل لانتائه الوهمية ما يهيئها لان تقوم بالضد من ذلك أنموذجاً للخير والوفاء وعلى نحو يشي بمرارة دفينة وراء الكلمات . وتقدم في هذا المضمار نصوصه الثرة في ( ديوان الانغاز ) مادة دسمة ، فقد الغز عن ( العصا ) - مثلاً - بالقول :  
وحاملة ثقّل الخليل وإنها  
لذات اغتراب غيرها من يُناسبه  
وليست له عِزساً ولا هي قينة  
سراها ولكن أوتيت الحظ صاحبه  
تسرافقه في دهره لا تملّه  
إذا ملّه إخوانه وأقاربه . ( غ : ٤٩ )

وقد هداه حس الموازنة المستتر في عقله الواعي والباطن بين ( الانثيين ) الى ان يظفر بتفصيلات مثيرة تجمع او تميز بينهما مرجحاً دائماً كفة انتاء المتخيرة ، كما في لغز ( الفضارة ) - طبق الطعام - :

مدورة خضراء يُسرى بها الفتى  
غذاها الندى من قبل ذلك والنار  
مناسبة حواء في أن جسمها  
تراب وماء والخلائق اطوار  
وحواء كانت في الجنان فأخرجت  
وعهدي بهذي والجحيم لها دار . ( غ : ٦٣ ، ٦٤ )

تبدأ الموازنة الشعرية بين ( الانثيين ) في هذا النص أولاً من مميزات الشكل الخارجي ومن قسّمات الجسد تحديداً ، فتتّبت للفضارة قبل كل شيء سمة الاستدارة ( مدورة ) وليس ذلك غريباً في ظني لان التكرار فقلّم اساسي في تاريخ جسمية المرأة منذ ان جسمه الوعي البدائي للانسان في مذخوات طينية وحجرية انثوية مبالغ في نسب اجزائها لدلالات مميلة ، ثم اكده الوعي الشعري بعد ذلك في قصائد غزلية حاولت الارتقاء بتفصيلات جسد الحبيبة من مستوى الواقع الى المثال ، وبدأ من امرىء القيس الذي اشر الخطوط الاولى في شعرية هذا التكرار والفتاحه على ظواهر الطبيعة ، كقوله :

وكشّح لطيف كس الجسد يسيل مخصر  
وساق كانبوب السقي المنثلي<sup>(١١)</sup>

وقوله :

كجفّب النقا بمشي السوليدان فوته  
بما احتسبنا من لين مس وتسها<sup>(١٢)</sup>

وتوّالت خطوط الشعراء بعده تعمق هذا الجانب في استطرادات تفصيلية اوضح :  
وامتدّ من اعضادها قصب  
فهم تتسلسل مسرافق نؤد  
ويمسدرها حقان جلّتهم  
كافورتين عسلاهما نؤد  
والغف فحذاها وفوقهما  
كفل يجانب خصرها نهؤد  
والساق خزعبة ملمعة  
عبلت فطوق الجبل مُنثلي<sup>(١٣)</sup>

ولكن المعري لم يكتف لغضارته بالتكرار بل ردها بما عزز ( الاوتية ) فيها ، بالخصوبة ( خضراء ) وبالقدرة على الغواية ( يغرى بها الفتى ) . وخص تكوين جسدها بتركيبية وجوذية عجيبة في تضاد عناصرها ( النار والماء ) في قوله : ( غذاها الذي من قبل ذلك والنار ) ، وإذا كان الماء والتراب رمزين لما هو ارضي وألمي وديوي ، فإن النار والنور ظلا مرتبطين في معتقدات الإنسان بالمخلوقات السماوية غير المرئية ، وكان العناصر الارضية والسماوية قد تضافرت معاً على خلق انتاء ( الانموذج والمثال ) .

ثم تتكرج الموازنة من :

الخارجي ( ملامح الجسد ، التكوين ، التركيب ) الى الداخلي ( الروحي والمعنوي الذي تتضمنه عبارته « الخلائق اطوار » ) ثم اخيراً وحدة المصير وفجيرة النهاية الجامعة بينهما : الطود من الجنة بالنسبة الى ( حواء أم ) ، وسكنى الجحيم بالنسبة الى ( حواء المعري ) .

وكما يتضح فان مسار الموازنة مر بثلاثة تحولات :  
من التشابه : ( الشبه في الجسد ) الى الاختلاف : ( التركيب والداخل النفسية والمعنوية ) ثم الى التشابه تالية حيث ( وحدة الموت ) ، وهي تحولات سوغتها رغبة الشاعر في ان يحقق لانتاء واقعيتهما من جهة باقترانهما بالانثى البشرية في الشكل والمصير ، وان يحقق لها من جهة ثانية تمييزها وتفوقها على نظيرتها البشرية المبعضة اليه بان يفردها ( اي انتاء ) بنقاء السرية والطوية .

يرتبط الغياب الكامل للوصف الحسي للمرأة عن شعر المعري بما ذكرناه من إعراضه المبني عن ملذات الحياة وزهده فيها ولكن ما يثير التساؤل مجدداً ويستدعي تفسيراً جديداً أن تستبطن تلك العفائن والمباهج المعنوية مع انتاء الموهومة في نزوع

تعويض أشيع من خلاله جوع الحرمان والقهر الذي عاناه في صراع محموم في اعماقه بين حب غريزي مقبل على ( الحياة / المرأة ) وبين نفور متولد عن قسوة تحكمه للمعايير العقلانية<sup>(١٢)</sup> فيها ، والتي لم يحل تشديدها وإحكام قبضتها دون انفلات بعض الصور الفزقة من الوصف الشهواني والمتحجرة من كل ما بدا محظوراً داخل دائرة الرقابة العقلية ، فقد الفز عن ( الملح ) بقوله :

ويبيضاء من سَرَّ الصلاح ملكتها  
فلما قضت إربي حبوت بها صبي  
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل  
تحتهم بعد الطعام على الشرب . ( غ : ٤١ )

تدبّق استلّة القزامة مع هذه النصوص بعد إقصاء الآراء التي تعمل في تفسير الظواهر على المصادفة سواء في اختيار ( الانوثة ) للملح أم في رص الكنايات داخل النص بتتابع ملحوظ : ( ملكتها ) ، ( قضت إربي ) ، ( فباتوا بها ) ، وأن تضمنت بعض تلك الكنايات قيماً أخلاقية مرفوضة ومدانة كفكرة ( الانثى المشاعة ) في قوله : ( حبوت بها صبي ) ، ثم استكمال مشهد المحظورات بذكر فعل ( الشرب ) في استخدام مزيج وكى به عن شرب الماء وأوماً به من جهة ثانية الى شرب ( الخمرة ) ثالث ثلاث انتوي ( الدنيا ، المرأة ، الخمرة ) صب المعري عليه لعلته وغضبه في أكثر من قصيدة ويتناوب ملحوظ<sup>(١٣)</sup> ، ولكن فعل شربها هنا أي الخمرة وضمن الجو الإباحي الوهمي قد غدا مستطاباً بدلالة معاني الإغراء على المشاركة التي ينطوي عليها الفعل ( حت ) .

والفز عن ( اللار ) بصورة ( المعري ) والمعري الدائم في رؤية مجولية تتقاطع وقمعته في حجب المرأة وعزلها :  
زهراء احسن ما كانت اذا عريت  
فما يخاط عليها الدهر جلباب ( غ : ٤٦ )

وتلج عليه موضوعة ( المعري ) ثانية وفي نص يلغزه هذه المرة عن ( اللحية ) ومن خلال توريث تجسد الطابع الحسي لهذا اللغز :

وما استتورت عما رآها بمنسز  
ولا صدها عن ذلك الفمسل مسلم  
وتلذذوا اذا باتت اهلك واجباً  
عليها اغتسال وهي في الحق أيم ( غ : ١٠٢ )

وبارك لانتاء في إحدى النصوص اللغزية قدرتها على تحدي فعل الزمن وتأثيره فيها ، فجعل شبك غوايتها قاهرة على استدراج الرجال مطلقاً ( الفتى والكهل ) منهم ، كما في قوله عن ( المحبرة ) :

مسؤلة فيها مآرب للفتى  
وللكهل تكسى وهي بالمعري تقنن . ( غ : ٨٠ )  
واعاد الصورة ثانية في نص آخر عن ( رقاقة الخبز ) :  
لها من هوى الشيخ الكبير نصيبها  
ولم يفتها خلقاً صباً وشباب ( غ : ٤٩ )

وتكررت الإشارات الكنائية التي تتروح منها دلالات جنسية معينة في نصوص أخرى بدأ فيها وكأنه قد أطلق العنان لفريرته لأن تدفق في أفعال وصفات وحالات مخصوصة ، فقد الفز عن ( النمل ) مثلاً بالقول :

وقد حملتني في هزيع من الدجى  
على صدرها حتى ظفرت بمطليبي ( غ : ٤٧ )

فـ ( الهزيع ) ، و ( على صدرها ) ، و ( ظفرت بمطليبي ) تصب جميعاً في هذا الاتجاه ، ويلاحظ على هذه النصوص تأكيداً لحالة امتلاكه لانتاء سواء بالتصريح بالفعل او مرادفات : ( سبيتها ) ( شربتها ) ... الخ ، كتوله في ( فجلة ) :

ويبيضاء من حور الجنان سبيتها  
ولمئ على صاحبها صبي ولي العذر ( غ : ٦٠ )  
والفز عن ( حلقة الباب ) بـ :

ويلمسها من كان طالب حاجة  
ويكره في غير الصارب لمشها ( غ : ٧٣ )  
ويلغة احتفائية وحسية مشبوبة الفز عن ( القمع ) بقوله :  
فاهلاً ببيلتي لم ترد يد لاس  
بسوء ولا ابنت نقرأ من اللمس ( غ : ١٢١ )

وتلوح في تركيزه على فعل ( الملامسة ) في هذه النصوص وأخرى غيرها بعض انعكاسات تأثيرها في حياة ( الاعشى ) التي تمده بمتمتين معاً : القدرة على الكشف فهو يستكشف الكون من حوله من خلال اللمس ، والإحساس بالذلة ، فلا عجب ان يتردد ذكرها في شعره ، وصف الدرع في إحدى درعاياته بقوله :

خضان يقي ما تثن يد لاس  
نكت واحسن الفز فيها اللوامس  
كسنان صبي البهي ان شاء مشها  
صبي أناسي عضه الفقر بانس ( س : ٢٣٤ )

( ٢٣٦ )

فالجمع بين ( الإنكاء ) - أقصى الاحتراق - وبين القزورة المتولدة عن اللمس ينتجنا الى الثنائية ذاتها المألوفة في قصائد الفز : لواعج المحبين المشتعلة وبرودة رضاب الحبيبة ولمسها<sup>(١٤)</sup> ، وقد كرس الجمع بين الثورية والجناس في الكلمات : ( الحصان ) ، ( البهي ) ، ( اللامس ) ، ( الصبي : الفتى من

الناس ، وما لون ظبية السيوف ) الملامح الانثوية التي اضافها على الدرع (١١٠) ، واغراء الامر بمحاولات مماثلة فانت السراب في الصحراء ، بقوله :

وجبت سرابياً كأن إكسانه  
جوارٍ ولكن مالهن نهود (ل : ١ / ٢١٤)

وتوهم الانوثة في صورة ( افراس ) في معركة خلخل الحدود القائمة في مخيلته بين الحرب والسلم ، فبنت له المعركة عرساً من نوع خاص :

مثل المرائس ما انتنت من غارة  
الا مخضبة السنايك بالدم (س : ٤٠)

وهي لقطة استعانها ثانية ولكن بتشكيل عكسي لعناصرها ( العرس / المعركة ) وباستمرار فكّي لايحاءات الظواهر الطبيعية وفي نفس وصفي تصاعدي يصل الى الذروة حين تتداخل لحظة الحب بالحرب ، وبايحاءات لا تخفى :

رُفت الى دارك شمش الضحى  
وحولها من شمع أنجم  
لم يزل الليل مقبلاً يسرى  
ما لا رأت عاذاً ولا جبرهم  
في سباعه هشت الى مثلهما  
مكة وارتساحت لها زمزم  
للطبيب في جنسيتها شورة  
من آخر البدرية ثغفم  
حتى بدا الفجر به حمرة  
كصارم غير منه الدم (س : ٩٥ - ٩٧) .

وكثيراً ما غاصرت تأملاته في اختراق عالم الافلاك المعصية بملوها على تكهنات الانسان وطقونه ، فتوهمت فيها شخصاً فكرياً وانثوية ، وسحبت ظواهر الحياة الادمية عليها ، مؤكدة في اكثر من موضع ويشكل ملح على اقتران الذكر بالانثى في علاقات عاطفية سوية تتحرك بعيداً تماماً عن المزلة في تجربته :

لعل شهيداً وهو فحل كواكب  
تزوج بنتاً للشمك على فهد (ل : ١ / ٥١٩)

ويتساوالات تتحرى المزيد من تفصيلات تلك العلاقات وخطواتها : مغازلة ولهاؤاً وحباً ، كقوله :

أم هل لانهاها الحصان بذى التذكير  
(م) من قسرى ومن صهـ  
أم يخطب العوا انشماك ويعطيها  
(م) الذي ترضاه من مهر (ل : ١ / ٥٩٦)

وكقوله :

اترى الهلال وليس فيسه مظنسة  
يصبو الى جوارئه ويفازل  
ايقتت من قبيل النهى أن السهى  
سأه يضاحك جاره ويهازل (ل : ٢ / ٢٧٤)

• من جهة ثانية تكاد لا تجتمع في شعره أطوار تجربة الحب ومراحله المختلفة من لوعة واشتياق واسترضاء ولغور وبذل وجفاء ، على درجة من العنف إلا في تجربته مع الدنيا :

نحن البسرة امسى كئلاً دنياً  
يحب دنياه حباً فوق ما يجب (ل : ١ / ٩٢)

التي تتلبس دائماً حياة الانثى المعشوقة تحاصر خيالاتها وطوفوها الماشق في حالاته المختلفة :

المقبل إن يضعف يكن مسع هذه  
(م) الدنيا كماشق مومس تفويه  
او يقس فهدى له كحرة عاقلي  
حسنا يهواها ولا تهويه (ل : ٢ / ٦٢٢)

ويتدان عشقي خالص يسمو على اية اعتبارات نفعية  
يمكنها ان تشين هذه الحالة المخصوصة من ( العشق لذات  
العشق ) في صوفية من نوع خاص تطرح باصحابها الى نهايات مهلكة : موتاً او جنوناً او قتلاً :

لقد غزت الدنيا بنينا بمنقها  
وإن سمحوا من ودها بصريح  
أليلى وكل أصبح ابن ملوح  
وليلي وماقينا سوى ابن زريح  
وفي كل حين يونس القوم آية  
بشخص قتيلى او بشخص جريح (ل : ٢٩٧ / ١)

ويانجذاب كلي اليها وغياب عما حولها حتى لتبدو هذه الانثى عند عشاقها - فقيرهم وغنيهم ، ناسكهم وماجنهم - الوسيلة والغاية معاً ، وكل يمارس عشقه معها من زاوية وبسلك للوصول اليها واسترضائها طريقته الخاص وهي متمنعة ومتأبية لا تتكشف حجبها الا لاندادها :

هـويث ولم تسعف وراح غنيها  
تعباً وناز براحة فقراؤها  
وتجاملت فقهاؤها من حبهما  
وتقرات لتناهلها تراؤها  
واذا زجرت النفس عن شغف بهما  
فكان زجر غويها إغراؤها (ل : ١ / ٥٥)

وهم إذ يدركون خداعها وغدرها ويعون حقيقة المصير المر الذي تجرهم اليه لا يملكون الا التضحية والبذل لها ( واي عشق باختيار ٩ ) :

ولم تفتأ الدنيا تقزّ خليلها  
وتبدله من غمض اجفائه سهدا  
تريه الدجى في هيئة النور خدعة  
وتطمعه صاباً فيحسبه شهدا  
وقد حملته فوق نعشي وطسالمها  
سرى فوق عني او علا فرساً نهدا  
ولم تنسرك من حينئذ لتفتره  
ولم يبق في اخلاصه حبها جهدا ( ل : ١ )

( ٢٤٨ / ١ )

ولا تخلو تجربته في التمثل الانثوي للدنيا من إشارات حسية ايضا تكوّن حول الوصف الجسدي جزءاً متمماً لطقوس هذا العشق ، كقوله :

وكانما الدنيا كصاب أُنسا  
رجى لها صلة فذاك يسار ( ل : ١ / ٤٥٠ )

فالطابع الحسي يغلب على الجو العام للبيت من جانبيين :  
الاول : ( الدنيا / الممشوقة ) وقد ميزها هنا بسمه معينة تحيل على دلالات جسدية واضحة ( كصاب ) اي التي نهد نديها إشارة الى نوران شبابها وتلقاه ، والثاني : ( العاشق / يسار ) اي يسار العبد او يسار النساء في تسمية ثانية ، وقد « كان عبداً اسود يرعى لاهله إبلاً ... وكان لملوى يساربتت ، فمرت يوماً بإبله وهي ترتع في روض معشب ، فجاء يسار يعلية لبن فسقاها وكان افحج الرجلين فنظرت الى فحجه فتبسمت ثم شررت وجزته خيراً ، فالتفت فرحاً حتى اتى العبد الراعي وقص عليه القصة ، وذكر له فرحها وتبسّمها فقال له صاحبه : ... إياك وبنات الاحرار ، فقال : بجكت إني بجكت لا أخيبها ، يقول : ضحكت ضحكة ثم قام الى علية فملاها واتى بها ابنة مولاة فنبهها فشررت ثم اضطجعت وجلس العبد حذاءها فقالت : ما جاء بك ؟ ... قال : بحك الذي بحكت الي ، فقالت : حياك الله وقامت الى سفلها فخرجت منه بخوراً ودهناً وتمعدت الى موسى ودعت بمجمرة وقالت له : إن ريحك ريح الإبل وهذا لهن طيب فوضعت البخور تحت وطاطات كانها تصلح البخور واخذت طذاكيه وقطعتها بالموسى ثم شمته الدهن فسلت أنفه وأذنيه وتركته » ( ١٦ ) .

كما تقفم فإن ذاكرة الامثال في تراثنا احتفظت ليسار بصورة مركبة من حالات متنافرة او متقاطعة تستدر شفقة القارىء ، حيث تجتمع البلاهة بالخدعية ، والبرادة بالشهوانية المحمومة ، والرغبة في كسر القيود الطبقية المقيّدة من خلال تجربة حب ، وقمع الواقع السلطوي لمثل تلك الاندفاعات قمعاً تمسغياً أجهض

مشروع الحب وانتهى به الى الفشل الذريع والخيبة ، تماماً كخيبة المعري مع عاشقته الدنيا .

- ٢ -

أشار الباحثون الى خصوصية موقع ( الام ) في حياة المعري وشعره ، ووجدوا في موقفه منها خروجاً على موقفه العام بإزاء المرأة ( ١٧ ) ، وكأنه بنى لها « صرحاً هائلاً من الحب يمتدّ عن عقلانيته ... وجمع كل ما عساه ان يصدر عن جنس المرأة من خير ثم ركّزه واسيفه على ذات امه ... [ وضرب ] صفحاً عن كينونتها النسوية » ( ١٨ ) وربط اغليهم بين عزلته وبين موتها بدلالة تلاحق زمن الحادتين ، ولا أدل على عظم موقعها عنده من احاسيس المتلذذة التي تفيض بها مراثيه لها الى حد التصريح بما قد لا يجزؤ رجل اخر على البوح به ، مبيحاً لرواسب الطفولة المبكرة لان تطوف صورها على سطح النص :

- مضت وقعد اكتلهت فخلت أني  
رضيع ما بلفت مدى الفطام  
كفاني رثها من كل رثي  
الى أن كدت أحسب في المنام ( س : ١٦٦ - ١٧٠ ) .  
وكقوله :

مضت . وكأنني مُرضع وقد ارتقت  
بي السن حتى شكّل فودي أشكال ( س : ١٩٢ ) .

وسما في لحظة استنكار معينة بتعلّق ( الرضيع / الكهل ) بالأم الى مستوى ( الغرام ) في قوله ملفزاً عن ( الشديين ) - اختيار الشديين بحذ ذاته يعدّ مؤشراً - :  
عزيزين محمولين ما بقيا معاً  
وكنت بها حيناً من الدهر مُلغماً ( غ : ١٠٠ ) .

وعزا الشاعر تعلّقه بها الى حمايتها التي احتوت ضعفه وعجزه ومخاوفه وهواجسه المتورّفة من ( الآخرين / الجحيم ) فكانت درعه الحصين وجداره ، وقد صرح بذلك في أبياته التي كتبها الى ابن أخيه ممثناً :

أعبد الله ما أسدى جميلاً  
نظير جميل فعليك غيري أني  
سقتني دُرهما ودعّت وبياتث  
تمنّونني وتقسروا أو تسني  
هممّ بأن تجنّبني السرزايها  
فرمت وقايتي من كلّ هم ( ١٩ )

ومن الطبيعي وقد فقمنا ان نطلق في البحث عن دروع اخرى يتوارى خلفها ، فكانت العزلة اول تلك الدروع . ولكن الدارسين لم يخرجوا - فيما أعلم - في رصد هذه الجانِب من

دائرة الشخصيّ أو الخاصّ الى دائرة العام واعني أنّهم لم يلحظوا ان إحساس الشاعر المرهف بالأمومة ولهفته اليها قادته الى ان يكتشف في مظاهر الطبيعة والحياة ضرورياً رمزية من الامومة التي فقدتها في الواقع ، فاستشعر في ( الارض ) - مثلاً - نبض الامومة التي تشده اليها بما تمنحه إياه من طمانينة الرقاد في أحضانها :

أهـال من الثـرى والارض أم  
وأبك ججزها نعم الجهاد ( ل : ١ / ٣٣٦ ) .

وعرف في ( الدنيا ) معنى من الامومة المرضية بالرغم من قهرها وتسلطها وبعبودية لا فكاك منها :  
يا أمّ نَقِر لحاك الـة والدّة  
منك الإضاعة والتفريط والسرف  
لو أنك البرش أوقعت الطلاق بها  
لكنك الأم هل لي عنك مُنْصَرَف ( ل : ٢ / ١٤٨ ) .

وراقه من أمومة ( السبلة ) ثراء عاطفتها لنسلها ( حباتها ) وحلوا عليها ، في قوله :  
اولادها من حولها جثم  
تحت اصول الشجر كالبنمل  
ما إن لها في جسمها شفرة  
إلا وقد كُتبت على طفل ( غ : ٩١ ) .

ولم تسلم هذه الضروب من ( الامومة ) من عبثه وتدخلاته القسرية فيها وازدواجية سببها موقفه المبني الرافض للنسل والداعي الى تعطيل الحياة ، فإن يستطيع من الامومة العاطفة والعلاقة البريئة والراقية بالطفولة فإن نفسه تعال من جهة ثانية الوسائل الموصلة الى هذه العلاقة والمحقة لها ، ولذلك يعمد الى نفي افعال النكاح والحمل والإنجاب واستبعادها عنها ، ألفز عن حبلى ( سلمى ) بقوله :

حملت ومساككحت وكم  
وضعت لها خفلاً متمماً  
بنت لام لم تدغ  
بنتاً ولم تستبق آناً ( غ : ٣٩ ) .

ودفعته انوثة ( الفعل ) في احد الفازة الى القول :  
والتي لها غقب وليست بـوالد  
ولا عُريث يوماً لام ولا أب ( غ : ٤٧ )

وعبر عن حرف النداء ( يا ) على سبيل اللفظ بالقول :  
أعابيسك أم اثنين : حيّ وميّت  
قريدين لقاً يشعروا بتنام

وامهما إنسية ما تحملت  
جدياً ولا كانت عروس جداء ( غ : ٣٧ ) .

وفي لغزه عن ( السبلة ) اهتدى الى افتراض غريب :  
ما خبئت قط ولكنّها  
كثيراً الاولاد والنسلي ( غ : ٩١ ) .

ولم تنقطع ابداً مناجاته الى الكائنات في تحييد المزة وتفضيلها على المعاصرة ، كقوله :  
إن كنت ياروقاء مهدية  
فلا تبني الوكر للافرخ  
وانفردى في بلد عازب  
عنا وعشي ذات بالٍ رخي ( ل : ١ / ٣٠٨ ) .

- ٤ -

#### اعترافات :

ويعد فئمة اعترافات غير منظورة سلّم فيها المعري بفضل الانثى عليه بعد طول إدانة وإعراض عنها ، وتكتسب هذه الاعترافات قيمتها من ارتباطها بقضايا مهمة او لحظات فاصلة في حياته :

١ - عن شعره : وقد أقر بما لا يقبل الشك بانثوية مرتكزة واساسه واعلي به ( القافية ) ، الانثى التي تمنح الشعر مشروعيته :

ويبت اذا لم ابنه بلطافاً  
على ظهر انثى فهو غير سليم ( غ : ١٠٣ ) .

٢ - عن النفس : بإبعادها الفلسفية الشائكة التي اعياء البحث في حقيقتها وكنهها فلم ينته معها من كل ذلك الا الى يقين انوثتها التي تطوي داخلها للحظتين الوجوديتين الفاصلتين : العرس والموت ، وذلك في قوله :

لا تفسق النفس من حنقٍ يحلّ بها  
فالنفس انثى لها بالموت إعراس ( ل : ٢ / ٢٧ ) .

٣ - عن الوجود : وقد اقر - بخلاف ما هو متوقع - بالانوثة المهيمنة عليه بين مبتداه : ( الحياة / الدنيا ) ومنتهاه ( المنايا ) ، متلاعياً في ذلك بمضامين الصبغ اللغوية في تغليب الذكر على الانثى ومتحدياً صحة افتراضاتها ونتائجها :

زعموا أنّ ما ينكر إن قارن  
( م ) انثى لم يمسمم التقليل  
بساطل ذاك إن لئي الى الدنيا  
( م ) قرين وما يسزال سليبا

والمنايا كالأسد تفترس الاحياء  
( م ) جمعاً ولا تصاف الكلياً  
تفرغ الشامخ المنيف من الشَّم  
( م ) وتهوي فستبيح القلييا. ( ل : ١ / ١٣٣ ) .

٤ - عن الموت : في اعتراف أخير منه صاغه عنواناً على  
شاهدة قبره حُثِّل فيه ( الرجا / الاب ) جناية الحياة عليه  
واقصى التهمة عن ( حواء / الام ) :

هــنـا جـنـاء ابي علي  
ومـا جـنـيـتُ على احمـي  
ولم ينقص عليه فرحة تحزره من هذه الجناية إلا أبوتُه  
لائمه في قوله :  
أبو شـك يا إثمـي ومـن لي بـانثـي  
أبيـتـك فاشـكـر لاشـكـرت أبوتـي ( ل : ١ / ٢٢٠ ) .

المهم أن الانثى غابت عن الجنايتين في هذا الاعتراف  
الاخير .

### الهوامش :

( ١٥ ) ينظر : المهرجان الألفي لأبي العلاء المعريّ البحث الموسوم  
بـ ( المعريّ والمرأة ) ، جيهان الموصلي : ٣٣٠ - ٣٣١ ، أبو العلاء  
المعريّ ( الشاعر الحكيم ) ، عمر فروخ : ١٠٣ ، الفكر والفن في شعر  
أبي العلاء المعريّ : ٢١٤ ، أبو العلاء ناقد المجتمع ، د. زكي  
المحاسني : ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٩ .

( ١٦ ) ينظر : الفكر والفن : ٢١٤ .  
( ١٧ ) ينظر : أبو العلاء ( الشاعر الحكيم ) : ١٠٨ .  
( ١٨ ) ينظر : الفكر والفن : ٢٧٢ ، ٢٧٤ .  
( ١٩ ) ( ٢٠ ) ديوان امرؤ القيس : ١٧ ، ٣٠ . الأنبوب : البردي .  
حقل النقا : ما استدار من الرمل .  
( ٢١ ) ديوان أبي الشيص الخزاعي : ٤٥ - ٤٧ من القصيدة  
( الدعوية ) .

( ٢٢ ) ينظر : الفكر والفن : ٤١ .  
( ٢٣ ) ينظر : م . ن : ٢٤ .  
( ٢٤ ) ينظر : مواقف في الادب والنقد : ٤٦ ، ٤٧ .  
د. عبد الجبار المطليبي هذه الثنائية من زاوية طريفة جداً .  
( ٢٥ ) فُكِر الشّواح القداسي في تفسير البيوتين بعض القضايا المتعلقة  
بالبحث : « التبريزي : البقي ضد الحصان وقد اجتمع في هذه الدرع  
هذان الوصفان كما اجتمع فيها الحرّ والقز بقوله : ذُكْتُ وأحسّ القر من  
يلمسها .

الخوارزمي : الحصان في الاصل هي المرأة الصفيقة سميت بذلك  
لانها احصنت فرجها ، وجعل الدرع ها هنا حصاناً لانها تحضن لابسها ،  
وجعلها بغيّاً لانها لا ترد يد لامس . يريد : كل من رآها لمسها لحسلها  
وغرايتها » ( شروع سقط الزند ، السفر الثاني / القسم الخامس :  
١٩٥٤ ) . ( ٢٦ ) مجمع الامثال للميداني : ٤١٢ / ٢ ، ٤١٣ .  
( ٢٧ ) ينظر : أبو العلاء المعريّ ، د. عائشة عبد الرحمن : ١٢٩ -  
١٣٨ ، ( ٢٨ ) ينظر : الفكر والفن : ٣٤ ، ٤١ .  
( ٢٩ ) الإنصاف والتحري لابن المديم ضمن كتاب ( تعريف القدماء  
بأبي العلاء ) : ١ / ٤٩٧ .

( ١ ) ينظر : الشعراء نقاداً : ٢١٩ .

( ٢ ) شرح ديوان كعب بن زهير : ٤٥ .

( ٣ ) ديوان فزّاد بن ضرار : ٤٧ .

( ٤ ) تنظر : قصة الحضارة : حـ ١ / ١ / ٥٥ - ٧٨ ، تحدث  
المؤلف عن هذه المرحلة من فجر التاريخ : « فالانساب في هذه الحالة  
يقتضى اثرها في جانب الإناث . والتوريت يكون عن طريق الأم ، حتى حق  
المرش احياناً كان يهبط الى الوارث عن طريق الام ... إنّ الأم كانت وسيلة  
تعقّب الانساب لانه لولا ذلك لاذى ... الى انبهاام معالم القرى ) :  
ص ٥٩ .

( ٥ ) تنظر : نواثر المخطوطات ، ط ١ ، المجلد الاول : ٨٢ - ٩٦  
كتاب ( من نسب الى أمّه من الشعراء ) صنعة محمد بن حبيب  
وتصنيفه ، من رواية ابن حنّو .

( ٦ ) شرح الصولي لديوان أبي تمام : ٢ / ٢٨ .

( ٧ ) المرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب : ٥٦٣ .

( ٨ ) ينظر : جامع الدروس العربية : ٢ / ٩ .

( ٩ ) ينظر : لسان العرب : ١ / ٨٣٠ مادة ( خسف ) .

( ١٠ ) ينظر : جامع الدروس العربية : ١ / ٩٩ - ١٠٠ .

( ١١ ) ( ١٢ ) ينظر : م . ن : ٢ / ٢١٦ - ٢٢٩ ، ١ / ١٠٠ ،  
١٠١ .

( ١٣ ) للتخفيف من الهوامش والإحالات سأضع الى جانب ابیات  
المعريّ وبين قوسين إشارات مختصرة الى مواضعها في الدواوين الثلاثة  
مع رقم الجزء والصفحة :

س = سقط الزند .

ل = اللزوميات .

غ = الغافز .

( ١٤ ) شخص الشاعر صلاح عبد الصبور ملامح من صورة  
( البنية / المرأة ) في شعر المعريّ واقترح قراءتها بمتهج إبدائي - على  
حد تعبيره - تنظر دراسته : ( المنحنى الشخصي في حياة أبي العلاء  
المعريّ ) ضمن كتابه : ( نبض الفكر : قراءات في الفن والأدب ) .

## المصادر والمراجع :

- أبو العلاء المعري، د. عائشة عبد الرحمن، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر ( د. ت. ) .
- أبو العلاء المعري ( الشاعر الحكيم ) ، عمر فروخ ، منشورات دار الشرق الجديد ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٠ .
- أبو العلاء ناقد المجتمع ، د. زكي المحاسني ، دار المعارف بيروت ١٩٦٣ .
- تعريف القدماء بأبي العلاء ، جمعه وحققه لجنة من وزارة المعارف الممومة ، اشراف د. طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م .
- جامع الدروس العربية . الشيخ مصطفى الفلايحي منشورات المكتبة المصرية ، ط ٥ ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ .
- ديوان أبي الشيص الخزاعي ، جمع وتحقيق عبد الله الجبوري ، مطبعة الاداب ، ساعدت وزارة التربية على نشره بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ديوان الالفاز ، ابو العلاء المعري . رواية الحظيري ، تحقيق د. محمود عبد الرحيم صالح ، معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ١٩٩٠ .
- ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ( د. ت. ) .
- ديوان المزود بن ضرار القطفاني برواية ابن السكيت وغيره وشرح تعلب . تحقيق د. خليل المطيه ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٦٢ .
- شرح ديوان سقط الزند ، ابو العلاء المعري ، شرح وتعليق د. ن. رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة .
- شرح ديوان كعب بن زهير ، صفحة ابي سعيد السكوني ، نسخة مصورة عن دار الكتب ، القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- شرح الصولتي لديوان أبي تمام ، دراسة وتحقيق د. خلف رشيد نعمان ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، العراق ١٩٧٨ .
- شرح سقط الزند . السفر الثاني ، القسم الخامس ، نشر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- الشعراء نقاداً ، د. عبد الجبار المطلبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، بغداد ١٩٨٦ .
- العرف الطيب في شرح ديوان أبي العلي ، شرح الشيخ ناصيف اليازجي ، ط ٢ ، دار القلم ، بيروت ( د. ت. ) .
- الفكر والفن في شعر ابي العلاء المعري ، د. صالح حسن البيهقي ، دار المعارف ، مصر ( د. ت. ) .
- قصة الحضارة ، ول. بيورانت ، ح ١٠ م ١ ، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
- لزوم ما لا يلزم ( اللزوميات ) ، أبو العلاء المعري ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ .
- لسان العرب ، ابن منظور ، اعداد يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت ( د. ت. ) .
- المهرجان الالفني لأبي العلاء المعري ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، مطبعة الترقى ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ .
- مواقف في الادب والنقد ، د. عبد الجبار المطلبي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ١٩٨٠ .







# في الموروث الاسطوري والشعري

قبل الاسلام .

د . أحمد إسماعيل النعمي

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

القدم . عندما كانت الالهة المظلم في وعي الشعوب القديمة هي المتحكم بالمصائر ، بعد ان خصت نفسها بالخلود ، ولقد روت الموت على البشرية ، وما كان من المجتمع الانساني الا ان يلزع اليها في الخطوب والكوارث . ويستفيد بها لدرء الشر واكتساب الخير وتبديد المخاوف والقلق ، من خلال اداء طقوس وهما تلتلي فيها كلمات منطوقة ، هي جوهر مفهوم الاسطورة<sup>(١)</sup> المأخوذة عن الاصل اليوناني ( Mythos ) أو ما يعبر عنه الاوربيون بـ ( الميثولوجيا ) وهي نفسها ( Myth ) والمعنى الشيء المنطوق ، والمعلقة بين هاتين الكلمتين وكلمة ( Mouth ) اي فم واضحة .

ولا ادل على ذلك ، من كون لفظة اسطورة تقابلها في كثير من اللغات الاجنبية كلمتا ( Myth ) أو ( Mythos )<sup>(٢)</sup> . وذلك ايضاً ما يفسر لنا نواعي ( رولان بارت ) للاسطورة بـ الكلمة<sup>(٣)</sup> . والاساطير ( اباطيل ) بدلالاتها اللغوية والفنية في رأي علماء العرب<sup>(٤)</sup> .

ويمكن القول ان الاسطورة في طورها الاول هي الكلام المنطوق الملقن بالشعائر والطقوس ، قبل ان تتحول الى قصة تفكيكية حول كائنات ما فوق الطبيعية او اعمال ما فوق الطبيعية لكائنات حية او غير حية ، او ادوات جامدة معروضة في شكل قصصي ، تكون فيه فعاليات الكون قد صورت كائنات شخصية ، كما جسدت قوى الطبيعة وعناصرها كالهة وعفاريت<sup>(٥)</sup> .

وبخلاصة القول ان القاسم المشترك في كل اساطير العالم القديم ، هو وجود الالهة والكائنات الخارقة ، التي تؤدي دور الوسيط بين القوى العليا والشخص المعتمد لها . واما بواعث تبلور المعتقد الاسطوري في الفكر الانساني فترجع الى ثمرة جهود الانسان البدائي في فهم طبيعة الكون ،

كثيرة هي الدراسات التي رصدت مكانة المرأة ودورها الفاعل في المجتمعات الانسانية ، عبر العصور التاريخية المختلفة . بوصفها - اي المرأة - كائناً بشرياً رديفاً للرجل في مجالات الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والادبية والثقافية ، وحتى العلمية لا سيما في العصور الحديثة .

بكلمة موجزة ان المرأة قد خصت بعناية الباحثين من منظور دورها التاريخي الواقعي ، المتباين السمات والملاح والتأثير من مرحلة الى اخرى ، تبعاً لموامل تارة تسهم في فرض وجودها المؤثر ، وتارة اخرى تنكبد من طاقاتها ونشاطاتها وامكاناتها في خدمة مجتمعتها .

ومن الجدير بالذكر ان بعض الباحثين لم ينطلق في دراسته للمرأة من نظرة موضوعية بعد ان اتخذ الاستثنائات التي تبرز المرأة كائناً خميئاً او مستتباً او ملهوفاً مسوغاً للحكم عليها ، وتجاوز مكانتها ، والتكليل من شأنها .

وحسبنا ان نقول ان هذه النظرة القاصرة لم تلق قبولا لدى جمهور واسع لا بسبب تماطف هذا الجمهور مع المرأة ، بقدر تيقنه من تمصّب هؤلاء الباحثين على المرأة ، ومجانبتهم الصواب في ما انتهوا اليه من احكام ونقائض بحقها .

وان نطعن الى طبيعة تلك الدراسات المهمة بشخصية المرأة من تلك النواحي ، فحري بنا ان نعرض على المرأة من زاوية نظر اخرى تشكل استكمالاً لمعطيات دورها الواقعي في الحياة الانسانية .

ولا نفالي اذا قلنا ان عنايتنا بالمرأة من منظور الفكر الاسطوري ، هو ما يكمل ذلك الدور التاريخي .

من منطلق ان هذا الفكر فرض وجوده طوال حقبة زمنية عدة على المجتمع البشري منذ ابثاله من عهود سحيقة في

إذ كان ما حوله من مدهشات الكون وأعاجيبه ، مما لم يستطع إستيعابها علمياً ، حملها أن يتوهم تفسيراً أو يتخيل أصواتاً ، ووقائع يرتاح إليها ، وتزيل حيرة نفسه<sup>(١٩)</sup> . أما اعتناؤه إلى وجود ( الآلهة ) فقد إنبثق من فكرة لخواها ،

« ان الانسان القديم كان يميل إلى تصور العالم الخارجي على نحو شبيه بتصوره لذاته ، ولما كانت فكرته عن ذاته ان له جسماً مادياً محسوساً يتحرك ، وروحاً غير محسوسة تكمن في الجسم ، وتحركه بإرادتها ، فقد توهم ان ما يحيط به من كائنات وأشياء على نفس صورته »<sup>(٢٠)</sup> ، حتى غدت الدنيا في نظره عارمة بالحياة ، لا جماداً أو فراغاً ، فضلاً عن سيادة عنصرين احدهما ( نظري ) يتصل بالاعتقاد بالقوى الغيبية المتحركة في شؤون حياته ، والاخرى ( عملي ) يتجسد في الشعائر والطقوس التي يؤديها مصحوبة بكلمات استرضاء لتلك القوى لطايات عدة .

وقد يوجه اليها التساؤل الاتي : ( كيف عرف الانسان البدائي وجود نوعين من الآلهة ( الذكرية والانثوية ) ؟  
وجوابنا عن هذا التساؤل نلخصه بقولنا : ان وجود المرأة وتخصصها بمهمة التكاثر والاخصاب والنسل ، أوحى له ان يكون مجتمع الآلهة على غرار وضعه في الطبيعة ، من حيث ان هذا المجتمع هو الآخر يتوالد ويتناسل ويتكاثر على شاكلة . وما شيع ( الثالوث الالهى المقدس ) في معظم حضارات الامم القديمة ، إلا اوضح دليل على هذا الاستنتاج .

من منطلق ان مصدر تكون ذلك الثالوث هو الزواج يتم بين الذكور والاناث من الآلهة ، وثمرته هو ابن أو ابنة على غرار المجتمع الانساني .

ومن اشهر انواع الثالوث الالهى المنبثق عن ذلك الزواج الاسطوري ، الاسطورة المتعلقة بـ ( الشمس والقمر ) بوصفهما الهين قاتمين بذاتهما ، خلق عليهما الانسان صفات الاسرة البشرية وخصائصها من أب وأم وابن ، بعد ان وقر في النفوس - في العصر القديم - « ان زواجاً يتم بين القمر والشمس ، لاجتماعهما مرة في كل شهر . وعند اتجاهاهما نحو الارض »<sup>(٢١)</sup> . ويبدو ان ( الزهرة ) كانت ثمرة ذلك الزواج ، ليتشكل بذلك « الثالوث الالهى الرئيس »<sup>(٢٢)</sup> . لا عند عرب الجاهلية حسب ، انما كان هو نفسه في حضارات وادي الرافدين ، ووادي النيل ، واليونان مما يحمل على الاعتقاد . « بانتقال هذا الشكل في دورة متصلة ، في اساطير تلك الحضارات »<sup>(٢٣)</sup> .

ويبدو أن ظاهرة ( الثالوث الالهى ) وجدت في غير هذه الحضارات مع اختلاف مكوناته ، إذ كان ثالوث الصين المقدس : هو الشمس ، السماء ، الارض ، وثالوث الهند يتجسد في ( آله العاصلة والحرب وآله النار ، والنظام )<sup>(٢٤)</sup> .

إن هذه المعتقدات الاسطورية حول الثالوث الالهى تفضي بنا إلى حقائق كثيرة ، في مقدمتها ، ان آلهة السماء هي اقدم انواع الآلهة قبل ان تنزل منزلة البشر ، وان لآلهة السماء ، صلة

بآلهة الارض من حجارة وجبال واشجار ، بوصفها رموزاً معبدة عليها .

معنى ذلك أن اشكال العبادة كانت تتعدد بين التجريد والتجسيم في آن واحد معززين هذا التصور برأي المسمودي ( ٣٦٦ هـ ) ساقه في معرض اشاراته إلى تحول بعض الامم من عبادة الكواكب إلى الاصنام ، إذ يقول : « إن كل ما في هذا العالم انما هو على قدر ما تجري به الكواكب ، عن امر الله ، لمقاموها ولقربوا لها القربان لتتفهم فسكتوا على ذلك دهرأ ، فلما رأوا الكواكب تغطي بالنهار ، او في بعض اوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر امرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها اصناماً وتماثيل على صورها واشكالها »<sup>(٢٥)</sup> . وبذلك يقدو التمثال أو الصم أو الوثن صورة محاكية لآلهة نفسه ، والتمثال - والحالة هذه - ليس إلا وسيلة قد يكون مصنوعاً من الخشب أو الذهب أو الفضة ، ويكون على صور مختلفة ايضاً ( انسان او حيوان ) ولكن المهم « ان الآلهة يحضر في مكان ظهوره ... عندما يدعوهم فعل العبادة امام التمثال إلى الحلول فيه »<sup>(٢٦)</sup> .

وقد قال المصريون ذلك في احدى قصص الخليقة ، عندما ذاب الآلهة عن الآلهة الاخرى ، كما في هذا النص : « وضع اجسادهم وفق رضاهم ، فدخل الآلهة اجسادهم من كل نوع من الخشب ، الحجر ... واتخذوا لانفسهم شكلاً ، فهذه التماثيل انما هيئت لتكون امكنة ( للآلهة ) يتخذون فيها شكلاً لراه المين »<sup>(٢٧)</sup> .

ونظير ذلك نجده عند عرب الجاهلية ، إذ توزعت آلهتهم بين السماء والارض ، وقد جسدوا الهتهم الارضية في الاصنام والاوئان والجبال وغيرها من مظاهر الطبيعة ( الصامته منها والمتحركة ) . بوصفها رموزاً لتلك الاجرام السماوية المؤلثة ، ان الوثنيين ماديون في تكبيرهم ، والموحدين روجيهون ، وما مزاعمهم من « انهم كانوا يسمون من اجواف الاوئان هممة »<sup>(٢٨)</sup> الا دليل على ان تلك الاصنام لم تعبد لذاتها انما للارواح المظلمة التي تحل فيها .

والاهم من ذلك كله ان ( الشمس ) في ذلك الثالوث الوثني المقدس هي اقدم انواع الآلهة الاناث ، وقد وصلت ( بالأم المظلمة المقدسة )<sup>(٢٩)</sup> وقد سميت ( آلهة ) ، كما يوله كل طفل إلى امه<sup>(٣٠)</sup> .

كما عرفت بـ « ذات حمم » اي ذات الحرارة الشديدة ، والحمى الموضع الذي يحمى ، ويخصص بالآلهة او المعبد<sup>(٣١)</sup> . وذلك يتطابق مع شريعة العرب - الوثنية - في عبادتها باتخاذهم صنماً لها ، وله بيت خاص سموه باسمه<sup>(٣٢)</sup> . وما يؤكد حقيقة ان الشمس ( آلهة مؤنثة ) ، لا آله ذكر - كما « يرى احد الباحثين »<sup>(٣٣)</sup> - قول القدماء « ان الآلهة تأنث آله ، وان الشمس سميت بها لانها كانت تعبد »<sup>(٣٤)</sup> .

كما نمت بـ ( الآلهة او الآلهة ) فضلاً عن القسم بها ، إذ كانت العرب تقول « لا وسجى الآلهة او الآلهة يجعلها معرفة

علماً هي اسم شمس<sup>(١٧١)</sup> .  
وهذه التسمية هي التي وردت ضمن قول مية بنت أم عتبة  
أبن الحارث :

تَزُوخُنَا مِنَ اللَّغْبَاءِ غَضْرًا  
سَاعَجُنَا الْإِلَاحَةَ أَنْ تَلْوِيَا<sup>(١٧٢)</sup>

معزّين ذلك بأن ( القمر ) أحد أركان ذلك الثالوث الإلهي  
الرئيس تمت بـ ( كهل ) بمعنى ( كاهن ) . وكرجل كهل يصوره  
العرب أيضاً كرئيس للقبيلة ، والصفة الأخيرة تنزع إلى العصر  
الذهبي لمباداة الألفاك ، عند ما كان أبو القبيلة هو اله القمر ،  
فضلاً عن وصفه رجلاً ( يعلّ ) والزوج هو ( البعل ) والرب  
والسيد وصاحب الكلمة<sup>(١٧٣)</sup> . وبذلك يتسنى لنا أن نمضي في  
رصد الطقوس والشعائر ومظاهر التآله والتقدّيس والمباداة  
التي أحييت بها الشمس من منظور الفكر الأسطوري المتسق  
في معانيه مع الفكر الوثني .

ولعل أول إشارة تفصح عن الوهية ( الشمس ) ، تلك  
المتعلّقة بالبطل ( جلجامش ) صاحب الملحمة المشهورة ، إذ  
قيل أن معنى اسم جلجامش هو « يعلّ الشمس »<sup>(١٧٤)</sup> ، وذلك  
يتسق مع الاعتقاد الذي كان سائداً في عصر الأساطير من أن  
الابطال آلهة سقطت أو تجسيدات لقوى خارقة في الطبيعة  
كضوء الشمس .

والبطل بهذا التصور يتجاوز الناس الاعتقاديين ، لكونه  
شخصاً مقدساً ، والظن أنه من سلالة الآلهة ، أو معاونة الآلهة  
له<sup>(١٧٥)</sup> . حتى كان مصرعه مقترباً بحركة تلك الآلهة المؤلهة  
المطصّعة عن رد فعل لغضب الآلهة على مصرع كل من يمت  
بصلة اليها ، وحتى تبدو « الفؤول المرتبطة بالشمس » من هذا  
المنطلق - معادية ، فالكسوف شر ، وخروج ما يشبه الدخان  
منها لدى شروقها في الربيع يذير بفرق البلاد ، وإذا صعدت في  
مدارها فمعناه الحرب<sup>(١٧٦)</sup> . ومثل هذه المعتقدات الأسطورية  
في بلاد وادي الرافدين ، نرى ظلالها في المجتمع الجاهلي ،  
الذي عبرت عن تصورات الخنساء في رثائها صخرًا في قولها :  
فَهَرُ الشَّوَامِخِ مِنْ قَتْلِهِ  
وَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا  
وَذَلَّ الْكَسْوُكُ مِنْ فَقْدِهِ  
وَجَلَّتْ الشَّمْسُ لَجْلَالِهَا<sup>(١٧٧)</sup>

ومثل هذا الاعتقاد ساد في حضارات أحر ، من منطلق زعم  
شعواء « أن الظواهر الطبيعية كان يُنظر إليها كأنها تجارب  
الإنسانية ، وأن التجارب الإنسانية فيها كأنها حوادث كونية ،  
والأهمّ ما نلحظ اعتقاد الأغريقين أن حوادث الكون وغيرها من  
ظواهر السماء ، إنما هي نتائج لغضب الآلهة وتقلب ادوارها  
على مصرع كل ذي شأن »<sup>(١٧٨)</sup> .

ويبدو أن ( الشمس ) كانت آلهة ممرودة ، في شبه جزيرة  
العرب ، وقد رمز لها بصم ، أول من تسمى به ( سبا بن

يحيى ) تميد لها العرب الجنوبيون والشماليون ، كما أنها من  
الآلهة المعبودة عند بقية الساميين<sup>(١٧٩)</sup> .  
وذكر ياقوت الحموي ( ٦٢٦ هـ ) أن قوماً من ( عذرة )  
تميدوا لصم يقال له : الشمس ، فضلاً عن وجود هذا الصم  
عند بني تميم ، وكانت تميدته بنو أد كلها ، شبه ، وتمد ،  
وعدي ، وعكّل ، ولور ، وأما جدته فكانوا من بني أوس بن  
مخاشن بن معاوية بن جرة بن أسيد بن عمرو بن تميم وقد قيل  
لها : الآلهة<sup>(١٨٠)</sup> .

وفي رأي بعض الباحثين أن : اللات هي الشمس ، وقد  
كانت عبادتها شائعة بين العرب الجنوبيين والحجازيين ،  
وتبدو هذه الصلة أو العلاقة بينهما في قول العرب : « أن ريكم  
يتصيف باللات لبرد الطائف »<sup>(١٨١)</sup> وما يتروى في اسمائهم وهب  
اللات وعبد شمس ، ولعل صلة التآنيث بين اللات والشمس  
مؤشر آخر لابعاد هذه الصلة ، إذ يرى ير وكلمان « أن اللات  
هي الآلهة الممرودة في الطائف بالرية أو السيدة التي شبهها  
هيردوتس بالهة تلك »<sup>(١٨٢)</sup> .

ومن الأساطير التي نسجها عرب الجاهلية حول الشمس ،  
زعمهم « أنها لا تطلع من نفسها ، حتى تمذهبها الملائكة ،  
وترغمها على الظهور صباح كل يوم ، أي أن الشمس لا تطلع إلا  
وهي كارهة ، وقالت لا اطلع على قوم يبيدونني من دون الله ،  
حتى تُذَفَع وتُجَنَّد فتطلع »<sup>(١٨٣)</sup> . وقد أورد أحد شعراء الجاهلية  
وهو ( أمية بن أبي الصلت ) تفاصيل هذه الأسطورة في قوله :  
وَالْقَمَرُ تَطْلُعُ كَبَلٌ أَحْسَرُ لِهَلَسِ  
حَمَرَاءُ يَصْبُحُ لَوْنُهَا يَتَوَرَّدُ

لَيْسَتْ بِطَالِيسَةٍ لَهَا فِي رَسْلِهَا  
إِلَّا مَعْدِيذَةٌ وَإِلَّا تُجَنَّدُ  
لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُقَصِّرَ سَاعَةً  
وَيَذَاكَ تَدَابُ يُونَهَا وَتَشْرُدُ<sup>(١٨٤)</sup>

وفي معتقدات العرب الأسطورية حول الشمس « أن اللام  
إذا انقر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وابهامه ، وقال  
أبيليني بها أحسن منها لئن على أستانه من الموج والفلج  
والخلل »<sup>(١٨٥)</sup> . وذلك المعتقد الأسطوري تضمنته اشعار العرب  
كذيّذ علي شيوخه بين عموم العرب ، إذ يقول طرفة بن العبد :  
بِمَذْلُفَةِ الشَّمْسِ مِنْ مَثْبُتِهِ  
بِمَرْدَا أَبْيَضٍ مَصْقُولِ الْأَشْمِزِ<sup>(١٨٦)</sup>

وقوله أيضاً ،  
سَقَطَتْ إِبَاهُ الشَّمْسِ إِلَّا لثَابِتُهُ  
أَبْيَضٌ وَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ بِرَأْبِيبِ<sup>(١٨٧)</sup>

وإذا ما أردنا إبراز الوهية الشمس من حيث كونها رمزاً  
مانحاً للخصب والبناء ، فحسبنا أن نرجع على تلك الآراء  
المطصّعة عن رمزية المرأة في المعتقدات الطفلية - الفزلية في

قصائد الشعراء الجاهليين ، فهناك من يرى ان المرأة هي ( الشمس ) نفسها وان رحلتها رحلة الى عبدة ، بل هي ترحل الى منابع الماء ... وان العطل كان يرمز الى ما تخلقه رحلة الشمس على الانسان ، والشمس تمنح الخصب والنماء بحضورها ، فلا بد ان يباس احد من عودتها بعد نزوحها ، بكلمة ابقى ان رحلة المرأة في الشعر الجاهلي هي رحلة الشمس كل يوم ... فالشمس ممبودة الجاهليين مانتحة الخصب<sup>(١١)</sup> .

وهذه العلاقة بين الشمس والمرأة تبدو واضحة في تكرار الصور التي يتماور الشعراء على تشبيه المرأة فيها بالشمس لا من حيث اطارها الواقعي لان مثل هذه العلاقة لا تشكل وشيجة بين الشمس والمرأة ، الا اذا وضعت في اطارها المجازي ذي الامتداد الاسطوري ، فنطالع في هذا المجري قول امرئ القيس :

بزهرة كشمس في يوم ضحوها  
تضيء ظلام البيت في ليلة النجى<sup>(١٢)</sup>

وقول سويد بن ابي كاهل :

تمنح المرأة وجهاً صافياً  
مثل قرن الشمس في الصحن ارتفع  
صافي اللون مطرقتاً ساجياً  
أحبل العينين مافيته فنع<sup>(١٣)</sup>

وقول المرار بن مناذل التميمي :

صورة الشمس على صورتها  
كلما تفرقت شمس أو تكد<sup>(١٤)</sup>

فالنور او الضياء هو القاسم المشترك في هذه النصوص ، وهي تشبيهات على نواح ممتوية لا مادية ، فهي صفات الالهة تجمع وجه الشبه فيها بين الشمس والمرأة ... فالنور هو المانع للخصب والنماء والحياة ، ليكون معادلاً موضوعياً يكشف عن العقيدة الاسطورية فيما يتعلق بالتناسل الذي اختصت به الام المقدسة ، هي الشمس التي رمز لها بالانثى القابلة للحمل ، التي تحمل وعداً دائماً بتجديد الحياة واستمرارها ، وذلك ما تفصح عنه تماثيل المرأة - في العصر القديم - مجسدة الخصوبة او الامومة<sup>(١٥)</sup> .

ولم يكن الرمز عن الشمس ( الالهة ) الممبوبة بالمرأة شيئاً جديداً في الديانات الجاهلية ، فقد فصلت ذلك الديانة السومرية في العراق من قبل ، دون اغفال التحول الحاصل في الصور الدينية المحضة الى قوالب فنية صرفه ، قد تخالف احياناً المادج القديمة ، ولكنها في كثرتها وتكرارها تنزع الى ارتباط المادج العليا في الشعار والاساطير القديمة<sup>(١٦)</sup> .

ولا بد ان نمرج - بعد حديثنا عن رمز الام المقدسة في الالهة الشمس على الالهة الاناث التي استقرت رمزاً للحب والجمال ، وان الحب الذي نتحدث عنه هو العشق الذي سما ان يكون استهلاكاً جسدياً ، بقدر ما كان انصهاراً روحياً ، انه الحب

الظاهر الذي يوثق لكوب المحبين ويمثلها غبطة ، هذا الحب الذي قوامه التامل الفكري والميل الكلي . هذا الحب الذي كانت تلق راحة الالهة ارتضى المحبون ان يتلذذوا عند معابدها ويقدموا قربانهم طمعاً بنيل مرادهم من عطائها عليهم .

فكانت الالهة - بكلمة اخرى - هي البتيرة والمصدر لكل الاشياء الخيرة - في الفكر الاسطوري - ولولا ما عرف الانسان معنى اللطف والمجاملة والظرافة في الحياة الدنيوية .

على نحو ما قلصه لنا الديانة السومرية في ( وصف عشتروت ) الالهة الحب والجمال وتمثل ماساتها في ( تموز ) اول ماساة في الحب الالهي ، الذي انعكست ظلاله في قصص كثير من العشاق المتعبدين لها ، الذين لا قوا الكثير من عطائها ويوصلها حاكم العالم بقوة الحب الكلي ، او كانت عشتار الالهة الاكثر شعبية في بلاد بابل وآشور ، وتحت اسم عشتروت كانت احدي اعظم الالهات فينيقية ، كما اوربت العديد من سماتها لافرونيديت الاغريقية<sup>(١٧)</sup> .

ويقال من اسمائها ( كيثريا ) ثم ( فينوس ) التي كانت لها مكانتها في المجمع الالهي الروماني ، ويقال انها ولدت من صدفة كبيرة طفت على وجه البحر وهناك تلقاها سرب من عرائس البحر فحملتها في عنابة واجلال وتوجهن بها الى كهولهن المرجانية حيث شرعن في ارضاعها وتربيتها ، حتى اذا بلغت سن الرشد ، ولم تضجها حملتها الى رمال الشاطئ ولم تكن فينوس تمسها باصابع قدميها الجميلتين حتى سجد الكون جميعاً ، وسحرت الكائنات كلها ، وفي قصة ابنها ( كيوبيد ) ما يوجز علاقة هذه الالهة بالحب<sup>(١٨)</sup> . وتبدو ( الزهرة ) الالهة الحب والجمال بلا منازع عند العرب ، وهي كما مر بنا ثمرة ذلك الزواج السماوي الاسطوري بين القمر والشمس ، ولذلك حظيت بالاحتفالية الاسطورية .

وقد ورد اسمها في النصوص العربية الجنوبية ( عشتار ) ، مما يسمح بردها الى الالهة ( عشتار ) عند البابليين ، المرادفة لفينوس عند اليونان الذين عمدوا الى تصويرها ونحت تماثيلها في ازياء ومواقف كثيرة تمت كلها الى الجمال والاعزاء والانارة الحسية والجنسية<sup>(١٩)</sup> .

ويبدو ان ( الزهرة ) استقرت ممبودة في بلاد العرب عرف باسم ( المقة ) اي : المحبة ، وذلك ما افادنا به ( الهاماني ) ، على اساس ان اسم الزهرة في لغة حمير يعني يلماقة والمقة ، وحسبنا ان نعرف ان اصل ( لمق ) لمع ، وان لغة حمير ( يلماق والمق بمعنى الزهرة ) وان المقة بمعنى ( سيدة ) لا تبتعد عن طبيعة وظيفية هذه الالهة في موضوعه الحب<sup>(٢٠)</sup> .

حتى ان معنى ( ومق ) في المعجمات اللغوية ، هو : المحبة والمودة ، ان جاء في احدي معجمات : ومقه يمهقه مقة وومقا : احبه ، والتونق : النود ، والمقة : المحبة ، والهاء عوض من الواو ، ويقال : ومق يمتق ، بالكسر فيهما ، مقة ، اي احبه ، فهو وامق ، ويقال ايضاً : الوماق : المشق ، والمحبة

لغير نعمة ، والعشق محبة لريبة<sup>(١١)</sup> ، وقد ورد هذا المصطلح الذي ينزع بذلاته الى آلهة الحب في قول يشامة بن الغدير :  
وَحَمَلَتْ مِنْهَا عَلَى نَسَائِهَا  
خِيَالًا يُسَوِّاهِي وَنَبَلًا قَلْبِي  
وَهَلْ رَوَى ذِي شَجْنٍ وَاقِي  
إِذَا مِمَّا الرِّكَائِبُ جَاوِزْنَ مِيلًا<sup>(١٢)</sup>

وقول الآخر :

إِنَّ النَّبْلَةَ مِنْ تَمَلُّ خَدَيْشَسَ  
فَانْفُخْ فِرَافِكْ مِنْ حَدِيثِ الْوَابِقِ<sup>(١٣)</sup>

وهناك من يرجح ان الدوار بوصفه شعيرة مقدسة ، هو تمييز عن الملاقة الخفية بين دوار المذارى بالموضع المقدس من الصنم والحب ولذوره<sup>(١٤)</sup> ، وذلك ما التمسه الباحثون في قول امرئ القيس :

فَمَنْ نَسَا بِسِرِّهِ كَانَ نَسَاجِسَ  
غَدَارِي ذَوَابٍ فِي الْمَاءِ الْمَذْهِلِ<sup>(١٥)</sup>

وتلتمس هذه الملاقة في قول الحادرة ، ان يترصد الشاعر المحب لقاء حبيبته يوم يوارها بانه الحب ، اذ كان يحلم في إمكان الفوز بملكاتها ، كما يحلم المقامر ان يدور القمر له ، فبنت شمسية مُمِيزَةً حَبْلِي  
وَنَافَ وَخِصَائِفَ شَكْلَهَا شَكْلِي  
وَرَجَّاهُمْ بِسُومِ الدَّوَارِ كَمَا  
يَرْجُو الْمُقَامِرُ دُفْلَ الْخُضْلِ<sup>(١٦)</sup>

مخالطين بذلك من يرى ان الدوار كان حول ( ود )<sup>(١٧)</sup> لعملة بسيطة هي ان ( ود ) كما وصفه لنا ( ابن الكثير ) : « كان تمثال رجل كاعظم ما يكون من الرجال ، قد ذبر عليه ملتان ، مقلز بطة ، مرتد باخرى ، عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً ، ويدين يديه حرية فيها لواء وولفة فيها نبل »<sup>(١٨)</sup> . وبذلك يندور رمزاً لآله الحرب ، لا رمزاً للحب ! اما ( المقة ) فكل القرائن تشير الى انه صنم لرمز سيدة الحب ( الزهرة ) « ودوار المذارى حوله هو من باب استعطاف هذه السيدة لتحقيق رغباتهن في الاقتران بمن يحشون من الرجال ! فضلاً عن مباركتها لملاقة الحب !

اما قصص الحب التي لم تكن تحظى بمباركة هذه ( الالهة ) لا سيما اذا استتبعت اموراً شهوانية فاحشة ، فلمنتها تسجل على الحببيين اللذين ارتضوا ان يندو حبهما فسكاً ، وما قصة ( إساف ونائلة ) الا اوضح دليل على العاشقين اللذين لم يتمكنوا من ترويض النفس بآلهة الشره ، والطمع فيها ، وهما في الكعبة فمسحاً حجرين ليتمتع الناس بهما<sup>(١٩)</sup> .

على ان لا نأخذ المعنى الظاهري للنص الذي اوردته لنا ابن الكثير في قوله : « فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبداً

سهما ... وكانوا يندحرون ويهبجون عندهما »<sup>(٢٠)</sup> . لان هذا المعنى يخفي مسحة من القدسية على هذين الصنمين لذاتهما بيد ان الحقيقة هي ان العرب كانت تؤدي شعائر حولهما ، لا تبركاً بهما ، او اقرباً بفعلهما ، انما كانت تخاطب آلهة الحب من خلالهما الا يصيبهما ما اصاب ( إساف ونائلة ) ، وان تمنح الآلهة محبتها بركتها ورضاها وتستجيب لادعيتهم وتراثيلهم ، مميزة ذلك بالقرايين والهدايا . ونظير ( إساف ونائلة ) اجا وسلمى ، اللذان لمنتهما الرب قبل لمنة آلهة الحب ، في قصة روتها المظان التاريخية والادبية<sup>(٢١)</sup> ، ليغدو ( الجبلان ) اللذان حملتا اسمي العاشقين عبرة لكل عاشقين يطران بملاقة الحب المقدسة . وبذلك تبدو آلهة الحب في الفكر الاسطوري ، سيدة توهب الحب لكل عاشقين تسهر على حبهما العفة والاخلاص والحرمان والطهارة ، لانه حب يمثل انتصار الروح على الجسد وهزيمة الشهوة الحيوانية .

وتلك هي الحالة الثابتة لملاقة الحب بهذه الآلهة ( المقة ) في ملحمة مفقودة الاصل لم يبق الا مدلولها الاسطوري والشمري واللغوي فضلاً عن الاجتماعي والديني . ومن هذا الباب قيل ان ( المرزى ) استلكرت هي الاخرى رمزاً ارضياً لآلهة السماء ( الزهرة ) . « وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض »<sup>(٢٢)</sup> . وقد تباينت صورها ، من صنم ، الى بيت ، الى شجرات الى حجر ابيض<sup>(٢٣)</sup> ، ومع كل اشكالها ، انها آلهة دجمية في عقيدة العرب ، للمعادن الكثيرة المتعلقة بعبادة ( نجمة الصباح ) عند البابليين وغيرهم ، والموافقة للمعادن التي انتشرت عند العرب في عبادة المرزى ، بوصفها سمكة لفصل الشتاء في اسطورة تموز البابلية<sup>(٢٤)</sup> وذلك ماله نظير عند العرب ، في قولهم : « ان ريمك يشكو بالمرزى لحر تهاية »<sup>(٢٥)</sup> . وقد خصت قريش اللات والمرزى ومناة الثالثة الاخرى بالتعظيم وكانوا يقولون : بنات الله ( عز وجل عن ذلك ) وهن يشفعن اليه<sup>(٢٦)</sup> حتى نزلت الآية الكريمة « افرأيت اللات والمرزى ومناة الثالثة الاخرى انكم الذكور وله الانثى تلك اذا قمتم فيها »<sup>(٢٧)</sup> . ان هي الا اسماء سميتوها انتم وأباؤكم ما ازل الله بها من سلطان »<sup>(٢٨)</sup> .

ومثلما كان الحب منوطاً بالآلهة ، كان قدر الموت كذلك منوطاً بها ، في الفكر الاسطوري بعد استلثارها بالخلود لنفسها !

ويأتي عدم ضمان حياة المفضل بعد الموت ، او في الاقل مشابهة للحياة الدنيوية في مقدمة الدوافع التي جعلت الانسان القديم ينظر الى الموت نظرة مشوبة بالكره والخوف والقلق ، ويتطلع الى نيل الخلود الذي كان حلماً براود ذلك الانسان ، ويسمى الى تحليقه من خلال ابطاله ، ومعاونة الآلهة لهم ، على نحو ما نطالعه في ملحمة ( كلكامش ) وهي تريثاً ورغبة خالجت انسان وادي الرافدين في الحصول على سر الخلود<sup>(٢٩)</sup> .

ويبدو ان العالم الاسفل - تحديد - كان وراء رغبة الانسان

فَلَقُوا مَسَابِيحاً بَيْنَهُمْ ثُمَّ اصْزَرُوا  
إِلَى كِسَاكِ عُسْتَوْنِيٍّ مَشْوَخَةٍ<sup>(٣٦)</sup>

وقوله ايضاً :

رَلَيْتُ الْمَسَابِيحَ خَيْطَ عَشْوَاءَ مِنْ تَجِبٍ  
تَيْفَسَةً وَمِنْ تَغْطِيَةٍ يُغْمَرُ فَنُفْرَمُ<sup>(٣٧)</sup>

وقيل ( المذون ) هي المنية ، كما في قول ابي ذؤيب  
الهذلي :

لَبِنُ الْمُنُونِ وَرَيْبُهَا تَتَوَخَّجُ  
وَالْمَذْمُورُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ

والذي يعنينا من هذا كله ان ( مناة ) ارست معالم توجع  
بدا فيه رد العمل من حتمية الموت ، مغزياً في اطار الاستنجاد  
بهذه الآلهة ، ملتصين منها ايماناً ما يكرهون من بلاس وشقاء  
او فزعة او موت ، زاعمين ان سعادة الانسان وشقاؤه متوقفتان  
على رضا هذه الآلهة او سخطها .

ويذا ليمضي المتشبهين بالحياة ، او المتوجسين من قدر  
الموت ان يلجأ الى وسطاء الآلهة من ( الكهان او الكواهن )  
يسألهم عن موعد موته<sup>(٣٨)</sup> : على نحو ما نطالع في سيرة  
( الزباء )<sup>(٣٩)</sup> و ( ربيعة بن نصر اللخمي )<sup>(٤٠)</sup> . والشاعر  
( الفنون القليلي )<sup>(٤١)</sup> ، بعد ان قرأ في نفوس الناس - قديماً -  
« ان الكهنة قد خصتهم الآلهة بهبة اختراق الغيب ، فصار  
يوسمهم القليل بوساطة عناصر عدة ، وعلامات خال كثيرة ،  
وتفسيرها لخصتهم »<sup>(٤٢)</sup> . ذلك هو دواعي وجود الكهنة ،  
ودلالة حرفتهم ، اذ اطلق على الاتصال بالآلهة والارواح ،  
( الكهانة ) ويقال لمن يقوم بذلك الكاهن او الكاهنة ، فضلاً عن  
براعتهم في فنون السحر<sup>(٤٣)</sup> .

وقد استكر في اذهان الكثيرين ان مع كل واحد من هؤلاء  
الكهنة ركباً من الجن ، او شيطاناً يخبره بما غاب عنه ، وان  
الشياطين كانت تسترق السمع وتلقيه على السنة الكهنة  
فيؤنسون الى الناس الاخبار ، بحسب ما يرد اليهم<sup>(٤٤)</sup> .

ولم تكن ( الكواهن ) الا شأناً من ( الكهان ) ، بل يمكن  
القول ان العرب عبر تاريخهم - قبل الاسلام - « نسبوا الى  
الكواهن احداثاً اعظم مما نسبوا الى الكهان وفي ذلك دليل على  
ان المرأة كانت في نظرهم جديرة بان تستلتي ، وان تنبئ  
بالغيب ، وان يطالع نصحها ، وتتبع مشورتها »<sup>(٤٥)</sup> .

ولم يكن علو المرأة في اطار زعامتها ( الكهنوتية )  
مقتضواً على المجتمع الجاهلي ، اذ نطاق اخباراً تلصق عن  
احتلالها هذه المكانة في المجتمعات القديمة ، فقد كان  
( الاثوريون ) « يعتقدون ان المرأة وحدها التي تستطيع ان  
تفهم السحر وتمارسه وان تعرف الغيب وتتكون به »<sup>(٤٦)</sup> .

وفي بلاد وادي النيل نجد ذكراً لكاهنات وخاصة في  
عبادة الآلهة كالآلهة ( هاتور ) والمعبودة ( ديت )<sup>(٤٧)</sup> . وفي

في الخلود ، على اساس انه مصدر تأتي منه الشياطين  
المؤذية او الارواح الشريرة ، والبيت الذي لا يرجع منه من  
دخله ، والبيت الذي حرم ساكنوه من التراب ، وحيث التراب  
طعامهم والطين قوتهم<sup>(٤٨)</sup> . تلك ملامح العالم الاسفل في  
تصور سكان وادي الرافدين ، فلا جرم ان تحاشوه ، واتمسوا  
الخلاص منه ، او التخفيف من وطأته عليهم بعد موتهم ،  
فاتجهوا لهذه الغاية الى الهتهم يتضرعون اليها ، ان تمنحهم  
على ما ينشدونه من امان في موضوعة الموت وعالمه الاسفل  
على السواء .

وتكشف لنا النصوص الاثرية المكتشفة عن حقيقة ان  
الآلهة الاناث هن حاكمات العالم الاسفل ، وفي مقدمتهن  
( ايرش - كيكال ) « وهي الآلهة الرئيسية في العالم الاسفل ،  
وكانت تحكم بمعاونة عدد كبير من الآلهة الاخرى والاتباع من  
صغار الآلهة الذين كانوا مكللين بتنفيذ اوامرها وتحقيق  
رغباتها »<sup>(٤٩)</sup> . والمقطع الاول من اسمها ( ايرش ) لفظ اكدي  
يعني حرفياً ( سيدة او ملكة ) ... وبالنسبة لعبادة الآلهة  
( ايرش كيكال ) على الارض لكل ما تعلمه عنها انها كانت في  
مدينة ( كوكلي ) بالمشاركة مع زوجها الاله ( نركال ) في  
معبد المسمى ( اي - سلام ) خلال العهد البابلي القديم<sup>(٥٠)</sup> .  
ولعل اختيار الفكر الانساني الالهة حاكمات للعالم الاسفل  
يحمل في تضاعيفه ما تتصف به الانثى من رقة المشاعر ،  
ورفافة الحس ، وعاطفة الحب مما يعني تخفيف وطأة  
ما سيلاقه رعاياها لدى ارتحالهم الى العالم الاسفل . ثم ان  
اسطورة ( ايرش - كيكال ) تعبر عن مكانة المرأة في مجتمع  
بلاد وادي الرافدين القديم ، وقد عبرت عن هذه المكانة ايضاً  
( بعل - صيري ) التي كانت كاتبة العالم الاسفل العظيمة<sup>(٥١)</sup> .  
هذا بالنسبة الى العالم الاسفل اما ( الموت ) نفسه ، فقد  
اختلفت به - على ما يبدو - الآلهة ( ماماتو ) ، التي كان  
يتوجه اليها المتبديون البابليون بالترتيلة القائلة :

ماماتو آلهة القدر والموت

ويا ايها الروح المخيف وملك الموت

ويبدو ان ( مناة ) الجاهلية هي ( ماماتو ) البابلية  
نفسها لان الدهر والقدر في تصور العرب رجل ، لا امرأة . اما  
« مناة » فهي - في زعمهم - انثى ( ربة الموت ) ، يترقب لها  
بصم<sup>(٥٢)</sup> ، موشمه كان « على ساحل البحر من ناحية المثلث  
بالبعيد ، لتتبدد له الاوس والخزرج ومن دان بدينهم من اهل  
يثرب »<sup>(٥٣)</sup> ، وفي رأي ابن الكلبي هي من اقدم الاصنام ، وانها  
صخرة لهذيل وعزاعة<sup>(٥٤)</sup> .

ويبدو ان العرب « كانوا يستعملون بها ، فتأتي الاصطار  
لثغيت الناس »<sup>(٥٥)</sup> . ولذلك سمو الاصطار على قتلها « شيئاً  
وحياً من الحياة »<sup>(٥٦)</sup> ، وذلك تبدو ( مناة ) متحكمة في -  
زعمهم - بمعادلة الحياة والموت من كلا طرفيها ! كما ان  
العلاقة بين المنية و ( مناة ) واضحة ، فكثيراً ماوردت كلمة  
( المنيا ) جمعاً في قصائد الشعراء الجاهليين ، كقول زهير  
ابن ابي سلمى في معلقته :

اليونان كاهنات يمارسن عملهن بماله نظير في حضارات الامم الاخرى<sup>(١٨٨)</sup>.

وحسبنا ان نتلقى بعض اخبار ( الكواهن ) لنقيم القناعة بكثافة النساء في الكهانة ، ففي المظان ان ( طريقة الكاهنة ) نسب اليها الكهنه بـ ( سيل المرم ) بعد ان رأت في كهانتها ان سد مارب سيغرب ، وانذرت بذلك ( عمرو بن عامر ) الذي يقال له ( مزنياء ) ، فباع امواله وارتحل هو وولديه حتى انتهوا الى مكة ، وكانت ( طريقة ) معهم ، ثم اصابتهم الحمى فاشارت عليهم ان يتركوا في جهات اخر فاطاعوها<sup>(١٨٩)</sup>.

ولم يقتصر وجود ( الكواهن ) على التنبؤ بالغيب ، بل تعداه الى احتكام العرب اليهن في الخصومات والمنازلات ( كاحتكام عبد المطلب وقريش الي كاهنة بني سعد ( هذيم ) ، بشأن حفر بئر زمزم<sup>(١٩٠)</sup> ، فضلاً عن التيمن بوجودهن في القتال ، ففي اخبار ( رقاش ) الكاهنة ، وهي امرأة من طيء ، انها كانت تفلو ويتمن الرجال بوجودها بينهم ، وهي الحليقة التي سجلها احد شعراء العرب في قوله :

كسانك رقاش تفلو جيئاً جفلاً  
فصبت رقاش بمن صبا لن يحلا<sup>(١٩١)</sup>

ولم تكن الكهانة تمنى شيئاً دون امتلاكها الوسائل التي تعمل عملها ، ولعل السجع كان ابرز هذه الوسائل ، بوصفه ارفع مراتب الكهانة ، لان معنى السجع اخف من سائر المفردات من المرثيات والمسموعات ، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك واليهد فيه عن المعجز بعض الشيء ، حتى جعل السجع مختصاً بالكهنة بمقتضى الاضافة ، على الرغم من ان كثيراً من العرب كان يتعاطى السجع ، الا ان لسجع الكهنة « لغة خاصة متممة بالغموض واحتمال التأويل ليسلم الكاهن او الكاهنة من اللوم اذا اخطأ الناس في التأويل او كذبت الحوادث والايام ما يلهم من تلك الكهانات »<sup>(١٩٢)</sup>.

وكان سجع الكواهن - كسجع الكهان - يمتلك رديناً موسيقياً يولم جميعاً ، فيؤثر في الناس وتجذب موسيقاه لثوب الصامعين ، معزراً هذا السجع بكل انواع القسم والتراتيل ، فملئ سبيل المثال لا الحصر ، قسمهن بالسماء والماء والارض والهواء والدور والضياء والظلمة ، وبغير ذلك مما هو موجود في اخبارهن مما جعل سجعهن رديناً محضاً مغايراً لسجع غيرهم<sup>(١٩٣)</sup> . زاعمات ان في هذه الاشياء قوى وارواحاً خفية تصبح لهن عن الامور الخافية ، فضلاً عن استدلالهن بحركة الطيور ، والحيوانات واصواتها ، وسائر احوالها ، مما اصططح عليه تسمية ( الزجر والمياه ) ، دون اطفال ممارسهن ( طرق الحصى ) بوصفه ضرباً آخر من التكهن<sup>(١٩٤)</sup>.

وخلاصة ما يمكن قوله ان الكواهن تمين على لهن فكر الانسان المؤله القادر على معرفة الحوادث المستقبلية ، بعد ان وهبن انفسهن للالهة ومبادئها ، حتى يحققن بهذه المنزلة . ومثلما تبوءت المرأة الزعامة الكهنوتية ، فقد تبوءت ايضاً

الزعامة النبوية ، بل يمكن القول انها جمعت بين الكهانة والملك لول الامر ، قبل ان تستقل الكهانة وظيفه قائمة بنفسها ، ويتكفل ( الكهنة ) في اداء المهمات الدينية ، والقامة الاحتفالات والطقوس والشعائر في المعابد<sup>(١٩٥)</sup>.

وكان الملوك - في التاريخ القديم - ومنهم ملوك العرب يحكمون بفضل دعاوى قدسية المولد ، وقدسية الحكم ، وفي هذا الشأن يقول ( بروكلمان ) « ان ملوك العرب كانوا الهة اكتسب بعض القبائل اليهم ... وخلقوا ملوكاً الهوا انفسهم »<sup>(١٩٦)</sup> . ثم ان في لقب ملوك ( سبا ) ما يوضح عن النوعية الملوك ، ان قيل ان معنى تكتيهم بـ « مكرب » يعني المقدس ، وامير الكهنوت ، والمقرب من الالهة ، او الوسيط بين الالهة والناس<sup>(١٩٧)</sup> . فضلاً عن مزاعم الناس بشأن امتلاك الملوك بعض القوى السحرية التي تجعلهم قادرين على الاستمطار ، ومخضاع الجن لهم ، ومنح الخير والبركات<sup>(١٩٨)</sup> . على هذا الاساس احتل الملوك منزلة سامية ذات اجلال وحرية وطاعة في النفوس ، يقولون فيرضى قولهم ، ويحكمون فيمضي حكمهم ، ومن هذه المعتقدات التي ترسخت في شخصية الملوك ، نستطلع اخبار النساء اللواتي تبولن الملك في تاريخ العرب القديم ، بادئين بـ ( بلقيس ) احدى ملكات سبا ، ومعنى اسمها بلقيس حمير ( الزهرة ) ، وفي ذلك دليل على عمقها الاسطوري ، اذا عرفنا ان هذا النوكب السماوي كان من مؤلفات العرب المقدسة - كما مر بنا - وهناك من يذهب ان بلقيس هي ( بلقيس ) وفي سيرتها انها ملكة كانت تستشير نبي الرأي ، ولا تستبد في حكمها ، وكان شعبها يعبد الشمس<sup>(١٩٩)</sup> . وهناك ( الفارعة ) التي حكمت ( سبا ) وريدان وحضرموت ) ، والملكة ( لميس ) بنت اسعد التي يقول فيها علقمة بن ذي جدن :

ولموش كسانك في ذوابسة ناعج  
يجيب اليها الخرج ساكن بربر<sup>(٢٠٠)</sup>

وفي مملكة ( تدمر ) تبرز الملكة ( زنوبيا ) واحدة من الشخصيات المهمة في تاريخ الشرق القديم ، حتى قيل انها اذا اطلت على الناس حسبوها آلهة ، وكانت على قدر كبير من الذكاء وسعة الحيلة ، وتمتمة بصفات المرأة الصارفة التي وقفت ضد الرومان في ارض تدمر العربية ، مما حدا بهم الى القضاء عليها ، واخذوها اسيرة الى روما ، وبانتهاء حكمها ، تفكك ( تدمر ) عظمتها وتكواري عن المسرح السياسي الحضاري<sup>(٢٠١)</sup>.

ونطالع في المظان الادبية والتاريخية نساء تبولن زعامة في المجتمع القبلي ، نستدل عليها من تسمية بعض القبائل باسمائهن كـ « خندف » و « بجيلة » و « مزينة » و « باهلة » و « عاملة » وغيرهن<sup>(٢٠٢)</sup> ، وفي ذلك مؤشر على ان المرأة كانت في الحياة الاجتماعية عزيزة عالية القدر ، ذات شخصية ، وراي وحرية ، فضلاً عن الخوارق والاعاجيب التي احيطت

الاسطوري الذي غدت فيه آلهة ، او من اشباهها ، او من اتباعها ، او وسيطة بين الالهة والناس ، او ملكة ، او زعيمة اسبلت عليها مظاهر التاليف والتكديس ، ناهيك عن مكانتها في مرحلتها الواقعية وهي في الحالتين تؤدي وظائفها الطبيعية - ( ام - اخت - زوجة - ابنة - حبيبة ) فهي سجل حافل بالانشاط في عهده الواقعي والاسطوري للمجتمع العربي في عصوره المتقدمة ، بوجه خاص .

ببعضهم ، ( كام قرلة ) التي ضربت العرب المثل بمعزتها ، فقالوا : « امع من ام قرلة وهي امرأة فزارية ، كانت زوجة لمالك بن حذيفة بن بدر ، وكان يعلق في بيتها خمسون سيلاً لخمسين فارساً كلهم لها محرم »<sup>(١١٧)</sup> .  
ومثل هذه النسوة تنتمي باثار التاريخ المروي للمرأة التي تدوالت اخبارها من امتداد واقعي غير مرئي لعمق اسطوري متحسس ، ومعنى ذلك ان للمرأة سطوراً خالداً تبوات فيه مكاناً رفيعاً لم تتبواه اختها المعاصرة لها لا سيما من منظور الفكر

### الهوامش ومصادرها :

- ( ١ ) انظر : الاسطورة . د . نبيلة ابراهيم . ( الموسوعة الصغيرة - ٥٤ - ) . بغداد ١٩٧٩ : ص ١٣ وما بعدها .
- ( ٢ ) الاساطير - دراسة حضارية مقارنة - د . احمد كمال زكي . القاهرة ١٩٧٥ : ص ٥٦ .
- ( ٣ ) الاسطورة اليوم ، رولان بارت . الترجمة حسن المريني ( الموسوعة الصغيرة - ٢٤٥ - ) . بغداد ١٩٩٠ : ص ٥ .
- ( ٤ ) انظر المين ، تحقيق د . مهدي المصنوعي . ود . ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٨٤ : ( مطر ٧ / ٢١٠ - جامع البيان ( تفسير الطبري ) ، مصر ١٩٥٤ : ٩ / ص ٢٣١ .
- ( ٥ ) الاسطورة في الشعر العربي - قبل الاسلام - احمد اسماعيل النميمي ، اطروحة لكتوراه ، اجازتها كلية التربية / ابن رشد ١٩٩١ : ص ٤١ .
- ( ٦ ) انظر : الفصح العربي ، جيمس فريزر ، ترجمة احمد ابو زيد ، مصر ١٩٧١ : ٤٣ / ١ وما بعدها .
- ( ٧ ) التفكير الخرافي ، د . نجيب اسكلندر . ود . رشدي قام ملصور ، القاهرة ١٩٦٢ : ص ٢٨ - ٢٩ .
- ( ٨ ) التاريخ العربي القديم ، ديفيد نيلسن وآخرون ، ترجمة د . فؤاد حسين ، القاهرة ١٩٥٩ : ص ٢٠٢ .
- ( ٩ ) في طريق الميثولوجيا ، محمود سليم الهوت ، بيروت ١٩٧٩ : ص ٩١ .
- ( ١٠ ) انظر : التفسير الجليلي للاسطورة ، عدنان بن نزيل ، دمشق ١٩٧٣ : ص ٧٣ .
- ( ١١ ) المصدر نفسه : ص ١٢١ .
- ( ١٢ ) مروج الذهب ، المصعودي ، مصر ١٩٥٦ : ٢ / ٢٦٢ .
- ( ١٣ ) ما قبل الفلسفة ، هادي فرلكنكورت وآخرون ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٦٠ : ص ٨١ .
- ( ١٤ ) المصدر نفسه : ص ٨١ .
- ( ١٥ ) الاصلام ، ابن الكلبى ، تحقيق احمد زكي . القاهرة ١٩٦٥ : ص ١٢ مع هامشها .
- ( ١٦ ) التاريخ العربي القديم ، ص ٢٠٢ .
- ( ١٧ ) اللسان . ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦ ، اله .
- ( ١٨ ) الملخص في تاريخ العرب - قبل الاسلام - بيروت ١٩٨٠ : ٦ / ٢٠٠ .
- ( ١٩ ) انظر : اللسان ، خمس .
- ( ٢٠ ) معجم الاساطير ، لطفي الخولي . بغداد ١٩٩٠ : ( خمس )
- ( ٢١ ) الاثنية والامثلة ، المروزي ، جعفر تاج - الهند ١٣٢٢ هـ : ٢ / ٥٠ .
- ( ٢٢ ) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦ : الامة .
- ( ٢٣ ) اللسان ، اله .
- ( ٢٤ ) انظر : التاريخ العربي القديم ، ص ٢١٠ .
- ( ٢٥ ) كلكاش ، د . سامي الاحمد ، بغداد ١٩٩٠ : ص ٢٤ .
- ( ٢٦ ) انظر : البطولة في الشعر العربي ، د . شوقي ضيف ( سلسلة الرا ) العدد ( ٢٣١ ) - مصر ١٩٧٠ : ص ٩ .
- ( ٢٧ ) المكتبات الدينية في العراق القديم ، د . سامي الاحمد ، بغداد ١٩٨٨ : ص ٧٣ .
- ( ٢٨ ) ديوان الفخساء ، تحقيق كرم قباستاني ، بيروت ١٩٦٣ : ص ١٢٢ .
- ( ٢٩ ) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، طه باقر ، بغداد ١٩٥٦ : ٥٦١ / ٢ .
- ( ٣٠ ) معجم الاساطير ، لطفي الخولي ، خمس : ١١٣ / ٢ .
- ( ٣١ ) انظر : معجم البلدان ، ( الامة ) و ( خمس ) .
- ( ٣٢ ) اخبار مكة ، للدرزالي ، مكة المكرمة ، ١٩٦٥ : ١ / ١٣٦ .
- ( ٣٣ ) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د . احمد الحارثي ، بيروت ١٩٦٢ : ص ٢٨٧ .
- ( ٣٤ ) الشعر والشعراء ، ابن كتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مصر ١٩٨٢ : ١ / ٤٦٠ .
- ( ٣٥ ) ديوان امية بن ابي الصلت ، تحقيق ودراسة ، د . عبد الحميد السطلي ، دمشق ١٩٧٤ : ١٠ / ص ٣٦٦ .
- ( ٣٦ ) صبح الاعشى ، القلقشندي . القاهرة ١٩٦٣ : ١ / ٤٠٧ .
- ( ٣٧ ) ديوان طرفة بن العبد . تحقيق كرم قباستاني . بيروت ١٩٥٢ : ص ٥٢ .
- ( ٣٨ ) فصح المملكات السبع المظلمة ، بيروت ١٩٧٢ : ص ٦٥ .
- ( ٣٩ ) انظر : الصورة الفنية في الشعر العربي ، د . علي البطل ، بيروت ١٩٨٣ : ص ٥٧ .
- ( ٤٠ ) ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٧ : ٧٩ / ص ٣٣١ .
- ( ٤١ ) المفضليات ، المفضل الشبي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون مصر ١٩٦٤ : ٤٠ /

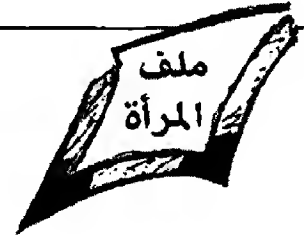
- ( ١ ) انظر : الاسطورة . د . نبيلة ابراهيم . ( الموسوعة الصغيرة - ٥٤ - ) . بغداد ١٩٧٩ : ص ١٣ وما بعدها .
- ( ٢ ) الاساطير - دراسة حضارية مقارنة - د . احمد كمال زكي . القاهرة ١٩٧٥ : ص ٥٦ .
- ( ٣ ) الاسطورة اليوم ، رولان بارت . الترجمة حسن المريني ( الموسوعة الصغيرة - ٢٤٥ - ) . بغداد ١٩٩٠ : ص ٥ .
- ( ٤ ) انظر المين ، تحقيق د . مهدي المصنوعي . ود . ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٨٤ : ( مطر ٧ / ٢١٠ - جامع البيان ( تفسير الطبري ) ، مصر ١٩٥٤ : ٩ / ص ٢٣١ .
- ( ٥ ) الاسطورة في الشعر العربي - قبل الاسلام - احمد اسماعيل النميمي ، اطروحة لكتوراه ، اجازتها كلية التربية / ابن رشد ١٩٩١ : ص ٤١ .
- ( ٦ ) انظر : الفصح العربي ، جيمس فريزر ، ترجمة احمد ابو زيد ، مصر ١٩٧١ : ٤٣ / ١ وما بعدها .
- ( ٧ ) التفكير الخرافي ، د . نجيب اسكلندر . ود . رشدي قام ملصور ، القاهرة ١٩٦٢ : ص ٢٨ - ٢٩ .
- ( ٨ ) التاريخ العربي القديم ، ديفيد نيلسن وآخرون ، ترجمة د . فؤاد حسين ، القاهرة ١٩٥٩ : ص ٢٠٢ .
- ( ٩ ) في طريق الميثولوجيا ، محمود سليم الهوت ، بيروت ١٩٧٩ : ص ٩١ .
- ( ١٠ ) انظر : التفسير الجليلي للاسطورة ، عدنان بن نزيل ، دمشق ١٩٧٣ : ص ٧٣ .
- ( ١١ ) المصدر نفسه : ص ١٢١ .
- ( ١٢ ) مروج الذهب ، المصعودي ، مصر ١٩٥٦ : ٢ / ٢٦٢ .
- ( ١٣ ) ما قبل الفلسفة ، هادي فرلكنكورت وآخرون ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٦٠ : ص ٨١ .
- ( ١٤ ) المصدر نفسه : ص ٨١ .
- ( ١٥ ) الاصلام ، ابن الكلبى ، تحقيق احمد زكي . القاهرة ١٩٦٥ : ص ١٢ مع هامشها .
- ( ١٦ ) التاريخ العربي القديم ، ص ٢٠٢ .
- ( ١٧ ) اللسان . ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦ ، اله .
- ( ١٨ ) الملخص في تاريخ العرب - قبل الاسلام - بيروت ١٩٨٠ : ٦ / ٢٠٠ .
- ( ١٩ ) انظر : اللسان ، خمس .
- ( ٢٠ ) معجم الاساطير ، لطفي الخولي . بغداد ١٩٩٠ : ( خمس )



- ( ٧٥ ) المصدر نفسه : ج ١٦ / ص ٩٢  
 ( ٧٦ ) شرح المصنفات السبع للزواي : ص ١١٦ .  
 ( ٧٧ ) المصدر نفسه : ص ١١٨ .  
 ( ٧٨ ) ديوان الهنليين ( شعر أبي نؤب ) القاهرة ١٩٦٥ : ١ / ص ١ .  
 ( ٧٩ ) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ، بيروت ١٩٦٥ : ١ / ٢٤٩ .  
 ( ٨٠ ) انظر : السيرة النبوية : ١٥ / ١ .  
 ( ٨١ ) انظر : الشعر والشعراء : ١ / ٤١٩ .  
 ( ٨٢ ) المعتقدات البدئية في العراق القديم ، د . سامي الاحمدي : ص ٦٤ .  
 ( ٨٣ ) المفصل في تاريخ العرب - قبل الاسلام - : ١٥٥ / ٦ .  
 ( ٨٤ ) انظر : البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ١٩٨٥ : ١ / ٢٨٩ .  
 ( ٨٥ ) المرأة في الشعر الجاهلي ، د . احمد محمد الجوهلي ، مصر ١٩٧٧ : ص ٤١١ .  
 ( ٨٦ ) المصدر نفسه : ص ٤١٢ .  
 ( ٨٧ ) ملحة في تاريخ الحضارات القديمة - حضارة وادي النيل - بغداد ١٩٥٦ : ٢ / ٢٧٦ .  
 ( ٨٨ ) الاساطير - دراسة حضارية مقارنة ، ص ١٠٦ .  
 ( ٨٩ ) انظر : التيجان ، وغب بن مله ، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٦٢ : ص ٢٦٥ .  
 ( ٩٠ ) انظر : السيرة النبوية : ١ / ١٣٥ .  
 ( ٩١ ) فصل المقال في شرح كتاب الامثال ، البكري ، تحقيق د . احسان عباس ، ود . عبد المجيد عابدين ، بيروت ١٩٧١ : ص ٣٣٩ .  
 ( ٩٢ ) انظر : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق حجر ، عاصي ، بيروت ١٩٨٢ : ص ٧٢ .  
 ( ٩٣ ) انظر : ايمان العرب ، النجدي ، تحقيق محي الدين الخطيب : ص ٣٢ .  
 ( ٩٤ ) انظر : بلوغ الارب ، الالوسي ، مصر ، د . ٣٠٧ / ٣ ، وما بعدها .  
 ( ٩٥ ) قصة الحضارة ، ل . ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٦٥ : ١ / ١٦٦ .  
 ( ٩٦ ) تاريخ الشعوب الاسلامية : ص ٨ ، نقلًا عن كتاب الاساطير - دراسة حضارية مقارنة - ص ٩٧ .  
 ( ٩٧ ) انظر : دراسات في تاريخ العرب - عصر ما قبل الاسلام - د . السيد هادي العزيز سالم ، مصر ١٩٦٨ : ص ١٥٨ .  
 ( ٩٨ ) انظر : الفصن النخعي ، ص ١٠٠ ، ص ٣٢٤ .  
 ( ٩٩ ) انظر : تاريخ الرسل والملوك ( تاريخ الطبري ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٩ : ١ / ٣٥٤ .  
 ( ١٠٠ ) همس الملوحة ، لقمان سعيد الحميري : ص ٨ ، نقلًا عن كتاب المرأة في الشعر الجاهلي : ص ٥٢ .  
 ( ١٠١ ) انظر : اخبار ( الزباء ) باتصاع وتكسيل في دراسات تاريخ العرب - عصر ما قبل الاسلام - ص ٢٥٣ ، وما بعدها .  
 ( ١٠٢ ) انظر : صبح الاعشى : ١ / ٣٢٩ ، وما بعدها .  
 ( ١٠٣ ) مجمع الامثال ، المنبائي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت د . ٢٠٢٣ / ٢ .

- ( ٤٢ ) المصدر نفسه : ج ١٦ / ص ٩٢  
 ( ٤٣ ) انظر : الصورة الفنية في الشعر العربي : ص ٥٦ - ٥٧ .  
 ( ٤٤ ) المصدر نفسه : ص ٥٧ .  
 ( ٤٥ ) مجمع الاساطير ، عشتار ، ٢ / ص ١٢٩  
 ( ٤٦ ) انظر : اساطير الحب والجمال عند اليونان ، د . فريدي خفجة ، بغداد ١٩٨٦ : ٤٩ / ٢ - ٥٠ .  
 ( ٤٧ ) انظر : تاريخ العرب ، فليبي متى ، ولطرون ، بيروت ١٩٧٤ : ٩٥ - ٩٦ .  
 ( ٤٨ ) تراث الحب في الادب العربي - قبل الاسلام - ، د . عادل البهائي ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد السابع ١٩٨٢ ( مستلة ) : ص ٩٢ .  
 ( ٤٩ ) اللسان ، وصل .  
 ( ٥٠ ) المصنفات : ج ١٠ / ص ٥٦ شعر بشامة بن الغنوي ، تحقيق عبد القادر عبد الجليل ، مجلة المورد ، العدد ( ١ ) ، ١٩٧١ : ص ٢١٦ .  
 ( ٥١ ) اللسان ، وصل .  
 ( ٥٢ ) انظر : رمز المرأة في ادب ايام العرب ، د . عادل البهائي ، مجلة آداب جامعة بغداد ، العدد الثاني والمثرون ، ١٩٧٨ : ص ١٦٠ .  
 ( ٥٣ ) ديوان امرئ القيس : ج ١ / ص ٢٢ .  
 ( ٥٤ ) ديوان شعر الحاننة ، تحقيق د . ناصر الدين الاسد ، بيروت ١٩٧٢ : ج ٥ / ص ٨١ .  
 ( ٥٥ ) انظر : تراث الحب في الادب العربي - قبل الاسلام - : ص ٩٠ .  
 ( ٥٦ ) الاصنام : ص ٥٦ .  
 ( ٥٧ ) انظر : السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق مصطفى الصفا وآخرين ، بيروت د . ١ / ص ٨٤ .  
 ( ٥٨ ) الاصنام : ص ٢٩ .  
 ( ٥٩ ) مجمع البلدان ، اجا ، وسلمي .  
 ( ٦٠ ) الاصنام : ص ١٨ .  
 ( ٦١ ) انظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي : ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .  
 ( ٦٢ ) انظر : الاساطير والحرفات عند العرب ، د . محمد عبد الصمد خان ، بيروت ١٩٨١ : ص ١٢٢ .  
 ( ٦٣ ) اخبار مكة : ١ / ١٢٦ .  
 ( ٦٤ ) الاصنام ، ص ١٩ .  
 ( ٦٥ ) الحجم : ١٩ .  
 ( ٦٦ ) انظر : ملحمة كلكاش : طه باقر ، بغداد ١٩٧٠ : ص ٢٢ .  
 ( ٦٧ ) المصدر نفسه : ص ١٠٤ .  
 ( ٦٨ ) مقال ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة ، نائل حنون ، بغداد ١٩٨٦ : ص ١٨٨ .  
 ( ٦٩ ) المصدر نفسه : ص ١٩١ .  
 ( ٧٠ ) المصدر نفسه : ص ٢٧٠ .  
 ( ٧١ ) الاساطير والحرفات عند العرب : ص ١٢٨ .  
 ( ٧٢ ) السيرة النبوية : ٨٧ / ١ - ٨٨ .  
 ( ٧٣ ) الاصنام : ص ١٤ .  
 ( ٧٤ ) مجمع الاساطير : مكة ٢٠١ / ٢ .





# ديوان صفية

## جمع وتحقيق

ليلي محمد الحياي

كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

### السيدة صفية بنت عبد المطلب (رض)

من قال إني أبيضه فقد كذب  
وانما أضربك لكي يثب  
ويهزم الجيش ويأتي بالسلب  
ولا يكن لمسالكه خبأ مخب

وفي الوقت نفسه كانت صفية أرق من شغاف القلب في حنوها  
وعطفها على أبنائها ، فمن ذلك قولها لابنها الزبير في صفه<sup>(١)</sup> :

إن ابني الأصغر خب حنكـ  
لخفاف أن يعقني ويبخـ  
يا رب امتعني ببكـري الأول  
بالمأجد الفياض والمؤمن

فكانت تدعو الباري عز وجل ، أن يمتعها بابنائها ، ولا سيما  
بكرها الأول الزبير بن العوام ،  
وحين نُسِرَ ابنها يد غلام في مكة ، جيء بالغلام إليها  
فقالت<sup>(٢)</sup> :

كيف	وجدت	زيرا
أقطا	حسبته	أم ثمرا
أم	مشمملا	صقرا

فكانت تشجع ابنها ليكون بطلا مقدما يدافع عن نفسه ويذب  
عن ذويه ويحميهم من أيدي الممّدين ، وتمدحه وتقول أنه صقرا في  
شجاعته فلا تستهين بصغر سنه .  
وقالت صفية<sup>(٣)</sup> في ابنها السائب الذي استشهد يوم  
اليمامة<sup>(٤)</sup> :

هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف  
الهاشمية ، القرشية ، عمة رسول الله ( ﷺ ) .  
أمها هالة بنت وهيب بن عبد مناة بن زهرة بن كلاب بن مرة بن  
كعب بن لؤي ، وهي خالة الرسول ( ﷺ ) .

زوجها العوام بن خويلد بن أسد بن عبد المزي بن قصي بن  
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهو أخو خديجة الكبرى ( رضي الله  
عنها ) زوج رسول الله ( ﷺ ) .

ابنها الزبير بن العوام الذي قال عنه الرسول ( ﷺ ) أنه من  
حواريه . اخوانها حمزة والمكّام وحجل بني عبد المطلب . ومجموع  
اخوانها عشرة إخوة وست أخوات . أبنائها الزبير والسائب وعبد  
الكمة .

تزوجها الحارث بن حرب بن أمية في الجاهلية ، فولدت له  
صيفي بن الحارث ثم هلك عليها . فتزوجها العوام بن خويلد أبو  
الزبير . وكان ابنها الزبير من أوائل المسلمين ، فدخل الاسلام وهو  
ممن قصاه صفين ، وهاجر الى الحبشة ، ولم يتخلف عن الرسول في  
غزاة ، وقتل يوم الجمل غيلة .

أجمعت المصادر على إسلام صفية دون سائر عقات  
النبي ( ﷺ ) وحسن إسلامها<sup>(٥)</sup> .

كانت صفية أما مثالية في تربية أبنائها ، فهي تارة تحنو  
عليهم ، وتشفق وترقّ لحالهم ، وأحيانا تغلظ وتقسو عليهم ، ليكونوا  
رجالا أشداء عند الكبر . روى أن نوفل بن خويلد أخا زوجها العوام ،  
كان قد ولي ابن أخيه الزبير فلاحظ بعض الغلظة في معاملة صفية  
لابنائها ، فكانت تضرب الزبير في صفه ، فعاتبها عمه في ذلك ،  
وقال :

« ما هكذا يضرب الولد ، إنك لتضربينه ضرب مبعوض » .  
فارتجزت صفية قائلة<sup>(٦)</sup> :

سبني السائب من خلف الجذز  
لكن أبو طاهر زيار أمر  
مبذر لماله بز غلر

وقد مدح رسول الله ( ﷺ ) نساء قريش فقال<sup>(١)</sup> : « إِنْ خَيْرِ  
نساء رَكِبْنَ الأَبْل نساء قريش ، أحناء على ولد في صغره »<sup>(٢)</sup> .

#### مواقف خالدة :

وجدت صفية على مصرع أخيها الحمزة ( رض ) ، وتألقت  
واحتسبت حين قتل حمزة يوم أحد شهيداً ، ومثل بجسده ، فعلمت  
ابنته أمانة وقدمت من مكة الى المدينة مع صفية .

كان مشهد حمزة ، رهيئاً ، صعباً ، قاسياً يذيب الحديد  
بقساوته ، كانت الدموع أسنة القلوب ، كانت الشكوى لله وحده .  
كانت صفية صلبة قوية ، عظيمة الباس ، أشد ما تكون عليه  
أمرأة من الصبر والتحمل ، لقيها ابنها الزبير بن العوام ( رض )  
فقال :

« يا أمه ، إن رسول الله ( ﷺ ) يأمرك أن ترجمي ، قالت :  
ولم ، قد بلغني أنه مُثل به ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من  
ذلك ، لاصبرن واحتسبن إِنْ شاء الله »<sup>(٣)</sup> .

وعلم رسول الله بذلك فقال للزبير :  
« فخل سبيلها » فأتت اليه ، واستغفر له ثم أمر به فُنُجِنَ  
( رض ) .

وكان الرسول ( ﷺ ) يُحبها ويحرص على مراعاة أحاسيسها  
ومشاعرها ، فقال حين مُثل بحمزة :

« لو لا أن تحزن صفية ، ويكون سنة من بعدي ، لتركتك حتى  
يكون في بطون السباع وحواصل الطير »<sup>(٤)</sup> .

شهدت السيدة صفية ( رض ) كثيراً من معارك الرسول  
( ﷺ ) ودافعت عنه وعن المسلمين بكل ما استطاعت من قوة ،  
فمن أمثلة بطولتها ، أَنَّ الرسول ( ﷺ ) أبى حسان بن ثابت  
الشاعر مع النساء والأطفال ، حين كان المسلمون يقاتلون في غزوة  
الخنث ، وكانت عادة الرسول ( ﷺ ) أن ييقي رجلاً من الصحابة  
مع النساء والأطفال في كل غزوة حفاظاً عليهم .

ففي غزوة الخنث كان حسان مع صفية . وبقية النساء  
وأطفالهن ، في الحصن المعروف ( بحصن حسان ) ، فمر رجلاً  
يهودي يظوف بالحصن ، وكانت بنتو قريظة قد حاربت رسول الله  
( ﷺ ) ، وقطعت ما بينها وبين الرسول ، ولم يكن في الحصن من  
يدافع عن النساء والأولاد<sup>(٥)</sup> . فقامت صفية إليه فضربتته حتى

قطعت رأسه ، ثم حملت رأسه وزمت به على اليهود الذين أحاطوا  
بالحصن . وهذه قصة نادرة من قصص البطولة والشجاعة ، والنفاء  
لدى المرأة العربية ، فكانت صفية أول امرأة قتلت رجلاً من  
المشركين ومن أعداء الله . وشهدت الخنث وضرب لها عليه الصلاة  
والسلام بسهم ، فعند نزول : « وأنزِرْ عَصِيَّتَكَ الأقرين » قام رسول  
الله ( ﷺ ) فقال<sup>(٦)</sup> :

يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، يا بني  
عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي  
ما شئتم .

#### شاعرية صفية :

تخرج كثير من العلماء والنقاد القدامى من ذكر قرابة النبي  
( ﷺ ) ، وتحفظوا فيما ذكروه أو رؤوه عن نساء النبي أو عماته أو  
قرباته ، لأمور دينية وسياسية واجتماعية . فكل ما وصل إلينا كان  
يجري على الألسن صجرى الامثال ، وألشهرته وحفظه في صدور  
الرجال ، أو أستخدمت أشعار النساء كشواهد لغوية أو نحوية أو  
بلاغية ، أو لسرد الاحداث التاريخية المحددة بزمان أو بمكان  
أو شخصيات إسلامية .

فأشعار صفية التي وصلت إلينا كانت مبعثرة في بطون الكتب  
المختلفة ، مثل كتب السيرة ، والمجموعات الشعرية وكتب التاريخ ،  
وكتب الأدب والبلاغة وكتب اللغة والالفاظ .

وإن هذه الظاهرة ، أي انتشار الأبيات الشعرية في ثنايا تلك  
الكتب ، وجودتها ورفقتها لدليل أكيد على وجود اشعار أخرى لم تصل  
إلينا والاستشهاد بأشعار الشواعر دليل اخر على بلاغة وفصاحة  
وجمال اشعار النساء .

فيمكن ان نستنتج على شاعرية صفية من خلال الاطلاع على  
أشعارها في المناسبات المختلفة ، وصديق تمايبرها عن مشاعرها  
وعذوبة الفاظها ، وعمق معانيها فقد روي أن عبد المطلب حين  
حضرته الوفاة جمع بناته الست وقال لهن :

« ابيكن علي ، حتى اسمع ما تقولن قبل أن أموت »<sup>(٧)</sup> .  
فبدأن يقول الشعر على التعاقب بينهن . فكانت أولاهن  
صفية ، ثم بزة ، ثم عاتكة ، ثم أم حكيم البيضاء ، ثم أميمة وأخيراً  
أولاد .

فكانت صفية في رثاء أبيها ساعة الاحتضار<sup>(٨)</sup> :

١ - أرقنت لصوت نائحة بليل  
على رجل بقارعة الصعيد<sup>(٩)</sup>

نحن حفرنا للحجيج زمزم  
سقى الله في المحرم  
ركضة جبريل ولما يظلم

ولها في التباهي والفخر حين حفر بنو عبد الدار بنو أحراد  
وتباهت ضررتها بذلك وهي أمية بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار ،  
زوجة الموام بن خويلد ، وقالت أمية (١١) :

نحن حفرنا البئر أم أحراد  
ليست تخذ النزول الجماد  
فاجابتها صفية ( ضررتها ) (١٢) :

نحن حفرنا بسدر  
نسقي الحجج الأكبر  
من مقبل ومديبر  
ولم أحراد شز

ولصفية أشعار تكشف عن وقائع تاريخية ، عظيمة الأثر في  
تاريخ الاسلام ، فقد شاركت في احد ، والخلق ، وخيبر ، ولها في كل  
غزوة موقف مشرف .

وقد جهل الباحثون قيمة أشعار النساء في العصر الاسلامي  
وأهميته ، وأتهموه بالضعف ، وأحياناً لم يتبرحوا لذكره . إلا أن  
مراثي صفية في أخيها الحمزة ومراثيها لرسول الله ( ﷺ ) ،  
وعذوبة أشعارها لدليل جدير بالدرس والتحصيل لأشعارها . إذ لم  
يعرف الباحثون العرب من الشواعر غير الخنساء ولبلى الأخيلية  
فكان كل باحث يتكلم على من كتب قبله ، ويكتفي برأيه حول  
الشواعر .

أما اليوم فالحقيقة تختلف عن السابق ، حقيقة الشعر  
النسوي ، غيّز مجرى التاريخ الأدبي ، وجود شواعر كن مهمات بين  
طبقات الكتب .

وخاطب الشعراء صفية في مراثيها ، وفي أحزانها معبرين عن  
مواقف صفية النبيلة تجاه الاسلام ، والمسلمين ، فقال كعب بن  
مالك الانتصاري فيها (١٣) :

صفية قومي ولا تمجزي  
ويكي النساء على حمزة

- ٢ - ففاضت عند ذلكم دموعي  
على خدي كمنحدر الفريد (١٤)
- ٣ - على رجل كريم غير وغل  
له الفضل المبين على المبيد (١٥)
- ٤ - على الفياض شية ذي المعالي  
أبيك الخيس وارث كل جود  
٥ - صدوق في المواطن غير يفس  
ولا شخب المقام ولا سنيد (١٦)
- ٦ - طويل الباع أروغ شيعمي  
مطاع في عشيرته خميد (١٧)
- ٧ - رفيع البيت أبلج ذي فضول  
وغيب الناس في الزمن الحرود (١٨)
- ٨ - كريم الجد ليس بذي وضوم  
يروق على المسؤوب والمسود (١٩)
- ٩ - عظيم الحلم من نفر كرام  
خضارمة ملاوثة أسود (٢٠)
- ١٠ - فلو خلد امرؤ لتقديم مجد  
ولكن لا سبيل إلى الخلويد
- ١١ - لكان مخلصاً لخرى الليالي  
يفضل المجد والحسب التليد

كانت اشعار صفية رقيقة ، بسيطة ، سهلة ، متينة السبك ،  
تجري على لسانها بغير تكلف او عناء ، صادقة التعبير ، حسنة  
التصوير ، عميقة التأثير ، جيزة الالفاظ ، بعيدة المفردى ، شعرها  
سهل ممتنع .

فأشهر الأغراض الشعرية التي تناولتها ، الرثاء والنواح ، مثل  
رثائها لأبيها ، ثم رثائها حمزة أخيها ، ورثائها للنبى ( ﷺ ) ،  
وسياتي نكرها في باب التحقيق إن شاء الله .  
ولها في الترتيص وتوجيه أبنائها (٢١) :

يارب امتعني ببكوري الاول  
بالمجد الفياض والمؤمل

ومن أشعارها في الفخر والمدح ، قالت حين حفر عبد المطلب  
بنو زمزم ، وتشرف بهذا العمل المبارك ، لمزلة بنو زمزم المقدسة ،  
إذ أن إسماعيل ( ع ) كان قد حفره منذ القدم ، ويمرور الأيام ، غورت  
تلك السيول ، وعفتها الأمطار ، فلم يبق لزمزم أثر يعرف ، فاعاد  
حفره عبد المطلب ، وقالت صفية في ذلك (٢٢) :

## اشعار السيدة صفية

كانت اشعارها قطعة من قلب متالم . ورقة خضراء يائعة  
تفيض بعمق الحنان ، كانت عقلاً ثاقباً مفكراً ، مدبراً لامر دينه  
ودنياه ، وكانت أيضاً قوة متدفقة ، وشجاعة لا تخضع لياس  
الحاقدين ، وكانت اشعارها انموذجاً اساسياً لعلم النفس الحديث  
في تربية الابناء وتوجيه سلوكهم ، وتقويم نفوسهم .

اقتبس كثير من الشعراء الامويين والعباسيين وغيرهم معاني  
اشعار السيدة صفية والفاظها كقول الشاعر :

يا ذا الفلا والكرم  
ادعوك كشف الظلم  
انت الرحيم المرتجى  
ان زل يومئذ قسدي

اقتبس الشاعر من قول السيدة صفية ( رض ) في منحها  
الرسول ( ﷺ ) حين قالت :

على المرتضى للهسدي والتقى  
وللرشد والنور بعد الظلم

كذلك اقتباس الشاعر الحكمي المعروف صالح بن عبد  
القنوس<sup>(٢١)</sup> معاني شعره من اشعار هذه الشاعرة ، حين قال :

وان من ادبتسه في الصبا  
كالمود يسقى الماء في غرسه  
حتى تراه مورقاً ناعماً  
بعبد الذي ابصرت من ببسه

اقتبسها من شعر صفية ، فكان لها الافضلية في سبقه الى  
ذلك المعنى وله الافضلية في جودة اللفظ ، ورقة الحاشية ، في  
قولها :

من قال اني ابغضه فقد كذب  
وانما اضربه لكي يلب  
ويهزم الجيش ويساتي بالنسب  
ولا يكن لحاله خبا محب  
ياكل في البيت من تمر وحب

ولا تسامي ان تطلي النكسا

على اسد الله في الهزّة

لقد كان عزّاً لا يتامينا

وليث الملاحم في البهزّة

يريد بذاك رضا أحمد

ورضوان ذي العرش والمهزّة

وقال الوليد بن عقبة يمدح صفية ، التي كانت سبباً مهما في  
عز وكرامة ابنها ، ولولاها ما عرف ابن الزبير في زمن معاوية<sup>(٢٢)</sup> :

ولولا حمزة مهتدث عليكم

صفية ما عسدت في الظير

ولا عسرت الزبير ولا أبوه

ولا جلس الزبير على السرير

وذندنا لن أمك غراب

لكنتم شمس طير في الطيور

وقد اختلف المؤرخون والادباء في نسبة الاشعار الى صفية ،  
وخلطوا بين اشعارها ، وأشعار حسان بن ثابت ، شاعر الرسول  
( ﷺ ) الذي كان أشعر أهل المدر وأشعر الانصار .

واذا كان اختلاط اشعار صفية لا يمكن تمييزه وعزله عن  
اشعار حسان فنلك دليل واضح على كون اشعارها بمنزلة عالية فنية  
في جودة السبك وحسن التعبير وعمق التصوير ، وسلامة الالفاظ ،  
وحسن صياغتها . مثال ذلك : القطعة الشعرية في رثاء الحمزة :

( أسائلة اصحاب أحد مخافة

بنات أبي من أعجم وخبيسر<sup>(٢٣)</sup> )

او الخلط بين اشعار صفية وأشعار غاطمة بنت محمد  
( ﷺ ) في :

قد كان بعدك انباء وهديّة

لو كنت شاهدا لم تكسر الخطب<sup>(٢٤)</sup>

وخلط بشير يموت في جملها شاعرة جاهلية وهو خطأ ، حيث  
لجد أكثر اشعارها في ظل الاسلام .

وتوليت صفية ( رض ) في خلافة عمر سنة ٢٠ هـ ولها من  
العمر ثلاث وسبعون سنة<sup>(٢٥)</sup> ، وقيل في خلافة عثمان رضي الله  
عنهما ، وتركت اجواء التاريخ الاسلامي يمتدح يعطرها ، وارتج  
نكرها لتكون قدوة لمن اقتدى .

وحزني الى الله « والاية الكريمة<sup>(١٢١)</sup> : « ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حويلاً كبيراً » .

٣ . كانت اشعارها مرآة صافية ، وسجلاً حافلاً بالاحداث التاريخية ، ونقطة ضوء ساطعة بينت فيها تسلسل الاحداث ، ومجريات الامور في غزوات الرسول ( ﷺ ) في احد عنداستشهاد الحمزة ( رض ) اذ قالت :

فلقلت ان الشهادة راحة  
ورضوان رب يا امام غفور

٤ . صلق المشاعر ، وتاجع العاطفة كانت تلون اشعارها ، رقة الاحاسيس وصدق العاطفة وكان شفاء الامها بنظم القوافي وأنشاد الاشعار ، التي تفصح فيها عن مكنونات قلبها ، مثل رثائها لاختها الزبير بن عبد المطلب :-

فلم اطق صبراً على رزله  
وجدته اقرب الخواني  
لـولم اقل من في قول له  
لقضت العبرة اضلاعيه

٦ . استخدمت الرجز في كثير من المواقف الصعبة لخفته وسهولة نظمه ، وغنوية موسيقاه ، وكثيراً ما كان الرجز لدى الشعارة ، مرتجلاً بعيداً عن التكلف ، مناسباً للظروف المختلفة .  
٧ . وحدة الموضوع في اكثر اشعارها ، فتتناول الرثاء او الفخر ، والتهريض ، كل عرض على حدة ، كراتائها للرسول ( ﷺ ) :

أب ليلى علي بالتسهاد  
وجنبا الجنب غير السوساد  
واعترتني الهموم جـداً بـوهن  
لامـور نـزلت حقاً شـداد  
الزبير بن العوام :

وتركت صفة خير تركت يخلدها التاريخ الاسلامي ، أنموذجاً للتضحية والفداء في سبيل العقيدة السمحاء ، الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي . ابن عمه رسول الله ( ﷺ ) وحوارية ، وأحد المشرة الذين شهد لهم رسول الله ( ﷺ ) بالجنة . وتوفي وهو

وقد اقتبس الشاعر ابو فراس الحمداني الفاظ اشعار السيدة صفية في نماذج كثيرة من شعره ، فكانت اشعارها مصدراً اساسياً من مصادر ثقافته ففي قصيدته البائية<sup>(١٢٢)</sup> في البيت الثامن عشر اقتباس في قوله :

الى الله اشكـو انـنا بمنـازل  
تحكم في اسـمـادهـن كـسـلاب

اقتبسه من اشعار السيدة صفية ( رض ) في مدحها ابن اخيها محمد ( ص ) حين قالت :

فـالى الله ذاك اشكـو وحسـبي  
يعلم الله حـسـبي ونحـيبي

تميزت اشعار صفية بصفات مميزة منها :-  
١ . استخدامها ألفاظاً وحشية او صعبة ، واحياناً الفاظاً اسلامية مستوحاة من القرآن الكريم .  
كقولها في ابنها الزبير بن العوام :-

ان ابني الاصغر حب حنكـل  
اخـاف ان يعقـيني ويـخـل

فالحب ، هو الخداع ، والحنكل هو اللثيم ، وقد اهلل كثير من الشعراء هذه الالفاظ لانها من مخلفات عصر ما قبل الاسلام .

وقد كانت هذه الالفاظ في حينها مستساغة ومقبولة ، طبعية تجري على السنن الناس مجرى مياه الينابيع في الوديان . وكل جديد في حينه قديم في غير عصره .

٢ . استخدامها الفاظاً من الايات القرآنية الكريمة او الاحاديث النبوية الشريفة ، فكانت تعبق بشذا الايمان ، تشبع في ارجائها نسانم الحق ، منكت بحق المعجم اللغوي الجديد لشواعر صدر الاسلام .  
كقولها :-

الى الله اشكـو وحسـبي  
يعلم الله حـسـبي ونحـيبي

استمدت الشاعرة ذلك من الاية الكريمة<sup>(١٢٣)</sup> « انما اشكوبني

عنهم راضٍ ، وأحد أصحاب الشورى الذين جعل عمرُ بنُ الخطاب الخلافة في أحدهم .

هاجر الهجرتين ، دخل المدينة المطورة قبل الرسول ( ﷺ ) ، ولم يتخلف عن غزوة من غزوات الرسول ( ﷺ ) .

قال له النبي ( ﷺ ) يوم بدر : « إني فداك أبي وأمي » (٣٩) ، ولم يحصل على متاع من متاع الحياة الدنيا ، فلم يَلِ إمارة ، ولا جباية ، ولا خراجاً ، ولا شيئاً .

وقال حسانُ بن ثابت يمدحه ويمدح أمه صفية (٣٩) :

وإن إمرا كانت صفية أمه  
ومن أسد في بيتهم لفرقل (٣٧)  
له من رسول الله قري قريبه  
ومن نصرة الاسلام مجد مؤتل  
وكم كربة ذب الزبير بشيفه  
عن المصطفى ، والله يُعطي ويُجزل  
ديوان صفية :

لم يتوفر حتى اليوم ديوان للسيدة صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف القرشية يجمع اشعارها ، ويحفظ آثارها ، ولم أجد اية إشارة ، ولا ذكراً في كتب الادب تبين ان لها ديواناً وانما وردت اشعارها مبثورة في صفحات الكتب التراثية المهمة ، والتي تعد مصادر اساسية لدراسة السيرة النبوية ، والتي نالت ثقة العلماء لصحة معلوماتها ، وفي كتب المختارات الشعرية ، مثل سيرة ابن هشام او دواوين الحماسة ، وفي كتب التاريخ ، كالبداية والنهاية ، او سبط النجوم العوالي .

وكان ابرز اشعارها مراثيها لرسول الله ( ﷺ ) وفي اغلب الكتب التراثية تذكر شجاعتها ويطولتها ومساندتها للرسول ( ﷺ ) بلسانها واشعارها .

أخيراً فان ديوان صفية ، يعد مجموعة شعرية جديدة في عالم الادب لم أجد من سبقني الى ذلك ، قديماً ولا حديثاً ، وهو على الرغم من صفوه فانه تضمن ما يزيد على مائة وثلاثين بيتاً وارجو من الله تعالى ان يوفقني ، او ياخذ بيد غيري من الباحثين ، لاضافة اشعار اخرى ان وجدت .

### منهج الجمع والتحقيق

يقف ديوان صفية احد الدواوين الصغيرة التي جمعتها في رسالة الماجستير ، الا ان الاشعار التي تم تحقيقها وجمعها في هذا

الديوان تضم الاشعار الجاهلية والاسلامية ، وكل ما استطعت العثور عليه من اشعارها .

وكان ترتيب الاشعار حسب القافية ، وتقديم الكسرة على الضمة والفتحة والسكون ، حسب قوة الحركة .

وانتمت في منهجي لتحقيق النصوص ما يأتي :-

١ . الاهتمام بالدرجة الاولى باقدم النصوص ، فاثبت اسم المصدر ثم الاهتمام بعدد الابيات ، فكانت الاسبقية للنص الاطول ابياتاً .

٢ . ذكرت مناسبة النص ، في اغلب النصوص ويقدر ما امكنتني ذلك .

٣ . يبين الفرق بين الروايات المختلفة للنصوص والالفاظ ، فوضحت الاختلاف بين مصدر وآخر .

٤ . وبعد كل هامش اذكر فيه الاختلاف بين الروايات اشرح الالفاظ او التراكيب ، او اسماء الاعلام التي ترد في النصوص الشعرية .

٥ . رتب القطع الشعرية على حسب القافية . ووثبت كل قافية تدريجياً على حسب الحركات الاقوى الكسرة ثم الضمة ثم الفتحة فالسكون .

٦ . خصصت الجزء الاخير من الديوان لذكر تخريجات الاشعار مع الاختلاف في نسبة الاشعار للشاعرة او لغيرها او ما كانت بدون نسبة .

وأخيراً أمل ان اكون قد وفقت في اخراج ديوان الشاعرة بشكل مرض ، علماً بانني بذلت كل ما وسعني من طاقة وجهد ، ويكفي الباحث فخراً انه اخلص في عمله ، خدمة للادب العربي ، ولكتير من الباحثين والدارسين المتخصصين ، لما لهذه الشاعرة من اثر مهم وفعال في حياة الرسول ( ﷺ ) والمسلمين فضلاً عن اهمية اشعارها في مدائح الرسول ( ﷺ ) ومراثيه .

( ١ )

قالت ترثي رسول الله ( ﷺ ) (٣٩) :

١ - لهف نفسي ويث كالملسوب

أرق الليل فعلة المحروب (٣٨)

٢ - من هموم وحسرة زلقتني

ليث أنني شقيته ساء بشمسوب (٣٩)

٣ - حين قالوا إن الرسول قد أمسى

وافقتسه فتيمة المكتسوب

- ٤ - إذ رأينا أن النبي صريع  
فما شأب القذال أي مشيب<sup>(١)</sup>  
٥ - إذ رأينا بهوته موحشات  
ليس فيهن بعهد عيش حبيبي  
٦ - أوث القلب ذاك خزنًا طويلًا  
خالط القلب فهو كالمرعوب  
٧ - ليت شعري وكيف أمسي صحيحًا  
بعد أن بين بالرسول القريب<sup>(٢)</sup>  
٨ - أعظم الناس في البرية حقًا  
سيد الناس حبه في القلوب  
٩ - فإلى الله ذاك اشكو وحسبي  
يعلم الله خيوتي ونحيبي<sup>(٣)</sup>

( ٢ )

وقالت ( رض )<sup>(٤)</sup> :

- ١ - عيني جودي بدمعة تسكاب  
للنبي المظله في الاواب  
٢ - وانذبي المصطفى فغني وخفي  
بدموع غزيرة الاسراب  
٣ - عين من تئديين بعد نبي  
خضه الله رؤنا بالكتاب  
٤ - فأتسح خاتم رحيم رؤوف  
صادق القيل طيب الاثواب  
٥ - مشفق ناصح شفيق علينا  
رحمة من الهنسا الوهاب  
٦ - رحمه الله والسلام عليه  
وجزاة المليك حسن الثواب

( ٣ )

قالت في رثاء النبي ( ٤ )<sup>(٥)</sup> :

- ١ - أرقن فبت ليلتي كـــــــــــــــــالسليب  
بسوجب في الجوانح ذي ذبيب<sup>(٦)</sup>  
٢ - فتشيتني وما شأبت بداتي  
فامسى الرأس مني كالمسيب<sup>(٧)</sup>  
٣ - لفتقد المصطفى بالأنور حقًا  
رسولي الله مائك من ضريب<sup>(٨)</sup>

- ٤ - كريم الخيم أروع مضر جي  
طويل الباع منتجب نجيب<sup>(٩)</sup>  
٥ - ثمال المعدمين وكل جار  
وماوى كل مضطهد غريب<sup>(١٠)</sup>  
٦ - فاما تمسي في جدث مقيما  
فقدما عشت ذا كرم وطيب<sup>(١١)</sup>  
٧ - وكنت موفقا في كل امر  
وفيمنا ناب من جدث الخطوب

( ٤ )

قالت في رثاء رسول الله ( ٥ )<sup>(١٢)</sup> :

- ١ - قد كان بمذك أبناء وهبته  
لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب<sup>(١٣)</sup>  
٢ - إنا لقدناك فقد الارض وابلهما  
واختل قومك فاشهدهم لقد سبوا<sup>(١٤)</sup>

( ٥ )

قالت في رثاء النبي ( ٥ )<sup>(١٥)</sup> :

- ١ - أفاطم يكي ولا تسامي  
بصحك ما ظفغ الكوكب<sup>(١٦)</sup>  
٢ - هو المرء ييكني وحق البكاء  
هو الماجد السيد الطيب<sup>(١٧)</sup>  
٣ - فاحشت الارض من فقهه  
وأي البرية لا يتكب<sup>(١٨)</sup>  
٤ - فما لي بعدك حتى القما  
ت إلا الجوى الداخل المنصب<sup>(١٩)</sup>  
٥ - فتغي الرسول وحقته له  
شهوؤ المدينة والخيـب  
٦ - لتبكيك شمعاء مضرورة  
إذا حجب الناس لا تحجب<sup>(٢٠)</sup>  
٧ - ليبيك شيخ ابو ولدة  
بطوف بمقوته اشهب<sup>(٢١)</sup>  
٨ - ويبيك ركب إذا أرموا  
فلم يلف ما طلب الطلب<sup>(٢٢)</sup>  
٩ - وتبكي الاباطح من فقهه  
وتبكيه مكة والاشخب  
١٠ - وتبكي وعيرة من فقهه  
بحزن ويسمدها الميثب<sup>(٢٣)</sup>



١١ - فعيثي مالك لا تدمعين  
وخشق لدمعك يُشتسغب<sup>(١١)</sup>

(٦)

وقالت في ابنها الزبير بن العوام بعد موت أبيه ، وكانت تغلظ عليه في تربيته<sup>(١٢)</sup> :

- ١ - مَنْ قال إني أبغضه فقد كذب
- وإنما أضربه لكي يلبس<sup>(١٣)</sup>
- ٢ - ويهزم الجيش ويأتي بالسلب
- ولا يكن لمساك خبا مخب
- ياكل في البيت من تمر وحب<sup>(١٤)</sup>

(٧)

وقالت<sup>(١٥)</sup> : من الخفيف

- ١ - طال ليلى أسعدتني لخواطي
- ليس ميتي كسائر الاموات
- ٢ - ليس ميتي كمثل من مات من
- الناس ولا كان مثله في الحياة
- ٣ - طال ليلى لكبة قطمتني
- لا أرى مثله من النكبات

(٨)

قالت في رثاء أبيها ساعة الاحتضار<sup>(١٦)</sup>

- لموت نائمة بليل
- على رجل بقارعة الصعيد<sup>(١٧)</sup>
  - لفاضت عند ذلكم دموعي
  - على خدي كمنحدر الفريد<sup>(١٨)</sup>
  - على رجل كريم غير وجل
  - له الفضل المبين على العبيد<sup>(١٩)</sup>
  - على الفياض شبة ذي المال
  - أبيك الخير وارث كل جود
  - صدوق في المواطن غير تكس
  - ولاشخت المقام ولا تنيد<sup>(٢٠)</sup>
  - طويل الباع أروع شيطمي
  - مطاع في عشيرته حميد<sup>(٢١)</sup>
  - رفيع البيت أبلج ذي فضول
  - وغيث الناس في الزمن الحسود<sup>(٢٢)</sup>

- كريم الجيد ليس يذي وصوم
- يروق على الحسود والحسود<sup>(٢٣)</sup>
  - عظيم الحلم من كسر كرام
  - خضارمة ملاوثة اسود<sup>(٢٤)</sup>
  - فلو خلد امرؤ لقديم مجيد
  - ولكن لاسبيل الى الخلود
  - لكان مخلداً آخرى الليلي
  - للفضل المجد والحب التليد

(٩)

- ١ - عين جودي بدمعة وشهود
- وانديبي المصطفى بحزن شديد
- ٢ - خالط القلب فهو كالمعمود<sup>(٢٥)</sup>
- ٣ - كدت أقتضي الحياة لما أتاه
- قَذْرُ خط في كتاب مجيد
- ٤ - فلقد كان بالمباد رؤفا
- ولهم رحمة وخير رشيد
- ٥ - رضي الله عنه حيا وميتاً
- وجزاه الجنان يوم الخلود

(١٠)

قالت في رثاء نبي الهدى ( ﷺ ) :

- ١ - أب ليلى علي بالتسهاج
- وجفا الجنب غير وطء الوساج
- ٢ - واعترتني الهموم جداً بوهن
- لامور نزلن حقاً شداد
- ٣ - رحمة كان للبرية طراً
- فهدى من أطاعه للسداد
- ٤ - طيب المود والضرية والشيم
- محض الانساب وارى الزناد<sup>(٢٦)</sup>
- ٥ - أبلج صادق السجية عن
- صادق الوعد منتهى الرواد
- ٦ - عاش ما عاش في البرية برا
- ولقد كان ثهبة المرتاد
- ٧ - ثم ولّى عنا فقيداً حميداً
- فجزاه الجنان رب المباد

( ١١ )

قالت في رثاء أخيها الحمزة ( رض ) :

- ٢ - لنا السلف المقدم قد علمتم  
ولم توفق لنا بالفذر ناز  
٣ - وكل مناقب الاخيار فينا  
وبعض الامر منقصة وعار<sup>(٨٧)</sup>

( ١٤ )

وقالت<sup>(٨٨)</sup> :

- ١ - فسانل في جموع بني علي  
إذا كثر التناسب والفضا  
٢ - باننا لا نقر الضيم فينا  
وتحنن لمن توسمنا نضار

( ١٥ )

قالت حين كان ابنها غلاماً يقاتل أحد رجال مكة ، حين  
اعتدى عليه ، وقد كسر الزبير يده<sup>(٨٩)</sup>

- ١ - كيف رايت زئيراً<sup>(٩٠)</sup>  
٢ - ألقا حسبته أم تمرأ<sup>(٩١)</sup>  
٣ - أم مسمعاً صقراً<sup>(٩٢)</sup>

( ١٦ )

قالت في ابنها السائب الذي استشهد يوم اليمامة<sup>(٩٣)</sup> :

- ١ - يسبني السائب من خلف الجدر  
٢ - لكن أبو الطاهر زئار أمز<sup>(٩٤)</sup>  
٣ - فبذر إماله بز غفر

( ١٧ )

قالت عند حفر بئر يذر<sup>(٩٥)</sup> :

نحن حـسـرنا سـبـا بـذـر  
نسقي الحـجـر سـجـج الأـكـبـر  
من مقـبـر مـسـدـبـر  
ولم احـسـر راد شـر

( ١٨ )

قالت صفية ترقص ابنتها الزبير بن القوام<sup>(٩٦)</sup> :

وأبيك زئير ما بنكس احـمـق  
لكنه صقر كريم منـرق

( ١٣ )

وقالت في الحماسة<sup>(٩٧)</sup> :

- ١ - ألا من مبلغ عني قريشاً  
ففيهم الأمر فينا والاماز<sup>(٩٨)</sup>

- ١ - أسائلة أصحاب أحد مخافة  
بنات أبي من أعجم وخبير<sup>(٩٩)</sup>  
٢ - تسائل عن قرم هجان شميذ  
لدى لباس مغوار الصباح جسور<sup>(١٠٠)</sup>  
٣ - أخي ثقة يهتز للمزف والندي  
بعيد السدى في النابات ضبور  
٤ - فقلت إن الشهادة راحة  
ورضوان وب يا إمام غفور  
٥ - فإن أباك الخير حمزة فأعلمي  
وزير رسول الله خير وزير<sup>(١٠١)</sup>  
٦ - دعاه اله الخلق ذو العرش دعوة  
إلى جنه يرضى بها وسور<sup>(١٠٢)</sup>  
٧ - فذلك ما كنا نرجي ونرتجي  
لحمزة يوم الحشر خير مصير  
٨ - فوالله ما أنساك ما هبت الضبا  
ولا بكين في محضري ومسيري<sup>(١٠٣)</sup>  
٩ - على أسد الله الذي كان بدرها  
يذود عن الاسلام كل كفور<sup>(١٠٤)</sup>  
١٠ - ألا ليت شعري يوم ذاك وأعظمي  
إلى أضيع يتبئني ونسور<sup>(١٠٥)</sup>  
١١ - أقول وقد أعلى النعمي بهلكه  
جزئ الله خيراً من أخ ونصير<sup>(١٠٦)</sup>

( ١٢ )

قالت في رثاء النبي الهادي ( ع )<sup>(١٠٧)</sup> :

- ١ - يا عين جودي بدمع منك منحد  
ولا تملي وكبي سيد البشر  
٢ - بكى رسول الله فقد هذت مصيبت  
جميع قومي وأهل البدو والحضر  
٣ - ولا تملي بكاءك الدهر مقولة  
عليه ما غرد القمر بالسخر<sup>(١٠٨)</sup>

حامي الحقيقة ماجد ذو مصدق  
يضرّب الكباش سواء الملقق<sup>(٨٨)</sup>  
وليس بالوالقي ولا بالأخرق<sup>(٨٩)</sup>  
( ١٩ )  
قالت ترقص ابنها الصغير<sup>(٩٠)</sup> :

١- أن ابني الأصغر حنّ خنّك  
أخاف أن يعقني ويبخل<sup>(٩١)</sup>  
٢- يارب أمتعني ببكري الأول  
بالماجد الفياض والمؤمل<sup>(٩٢)</sup>  
( ٢٠ )  
قالت في رثاء النبي ( ﷺ ) :

١- عيّن جوداً بدمع شجم  
يبارد غريباً بما مُنهدم<sup>(٩٣)</sup>  
٢- أعينني فاشحنفرا واشكبا  
بوجد وحزن شديد الالم<sup>(٩٤)</sup>  
٣- على صفوة الله ربّ العباب  
وزبّ السماء وياري النسم  
٤- على المرتضى للهدى والتقى  
والمرشد والنور بعمد الظلم  
٥- على الطاهر المرسل المجتبى  
وسولٍ تخيرة ذو الكرم

( ٢١ )  
قالت في رثاء النبي ( ﷺ ) :

١- لفقد رسول الله إذ حان يومه  
فيا عين جودي بالذموع السواجم<sup>(٩٥)</sup>  
( ٢٢ )  
قالت في رثاء محمد ( ﷺ ) :

١- مالعيني لا تجودان زيا  
قد رزينا خيز البرية خيا<sup>(٩٦)</sup>  
٢- يوم نادى إلى الصلاة بلال  
فبكينا بعد التداء فليا  
٣- كل يوم أصبح فيه ثقيل  
لا يرُدّ الجواب منك إينا<sup>(٩٧)</sup>

٤- لم أجد قبلها ولسن بلاق  
بعضها غصة أمر غنيا  
٥- وخمان الشيخ منحدر في  
عارضيه كالمسك فاح دكيا  
٦- وهي في الصدر قد تساق حثيا  
ومن الوقت عند ذاك هويا  
٧- ليت يومي يكون قبلك يوما  
أنضج القلب للحرارة كيا  
٨- خلقت عالياً وديناً كريماً  
وصراطاً تهدي به مستويا<sup>(٩٨)</sup>  
٩- وسراجاً يهدي الظلام منيراً  
ونبياً مسوداً غريباً<sup>(٩٩)</sup>  
١٠- حازماً عازماً حلماً كريماً  
عابداً بالنوال برأ تقياً<sup>(١٠٠)</sup>  
١١- أن يوماً اتى عليك كيوم  
نورت شمسك وكانت جلياً<sup>(١٠١)</sup>  
١٢- فمليك السلام منا ومن رب  
بك بالسروح بكرة وعقياً<sup>(١٠٢)</sup>  
( ٢٣ )

قالت في حفر بئر زمزم :

نحن حفرة للحجيج زمزم  
سقى نبي الله في المحرم  
ركضة جبريل ولما يقطم  
( ٢٤ )

قالت في رثاء المصطفى ( ﷺ ) :

١- ألا يا رسول الله كنت رجاءنا  
وكنّت بنا برأولم تك جافياً<sup>(١٠٣)</sup>  
٢- وكنّت رحيماً هادياً ومعلماً  
ليبك عليك اليوم من كان ياكياً<sup>(١٠٤)</sup>  
٣- لعمرك ما أبكى النبي لفقده  
ولكن لما أخشى من الهرج أتياً<sup>(١٠٥)</sup>  
٤- كان على قلبي لذكر محمد  
وما خفت من بعد النبي المكاوياً<sup>(١٠٦)</sup>  
٥- أفاطم صلي الله ربّ محمد  
على جدب أمسي بيثرب ثاويياً<sup>(١٠٧)</sup>  
٦- أبدى لرسول الله أمي وخالتي  
وعمي وأبائي ونفسي وماليا<sup>(١٠٨)</sup>

وحسن الصحابة ١ / ١٢٦ نسبا إلى فاطمة بنت محمد ( ٥ ) .

وفي شرح نهج البلاغة ٢ / ٥٠ نسبا إلى أم مسطح بنت أخته .

( ٥ )

سمط النجوم العوالي : ٢ / ٢٣٧ .

( ٦ )

التذكرة السعدية : ١ / ١٦١ .

( ١١ )

١ و ٥ - ١١ في سيرة ابن هشام ٣ / ١٧٦ .

والبداية والنهاية ٤ / ٥٩ .

مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني ١ / ٢٠٩ .

( ١٢ )

النص في شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٩٧ .

والدر المنثور : ٢٦٢ .

وشاعرات العرب لبشير يموت : ١٥٠ .

( ٢٢ )

البيت ( ١١ ) في الاصابة : ٧ / ٧٤٥ .

والذخائر والاعلاق : ٢٢٣ .

( ٢٥ )

الابيات ( ١ و ٤ - ٦ و ٨ و ٩ ) في أنساب الإشراف ١ /

٥٩٤ .

( ١ - ٢ و ٤ - ٩ ) في ذخائر العقبي للطبري : ٢٥٢ .

الذخائر والاعلاق : ٢٢٣ .

( ١ - ٩ ) في تاريخ الخميس للديار بكرى : ٢ / ١٧٣ .

( ١ - ٢ و ٤ و ٥ - ١٠ ) في تبيين أنساب القرشييين :

١٤١

نسبت الابيات في طيقات ابن سعد ، ٢ / ٢ / ٩٣ إلى

أروى بنت عبد المطلب اخت صفية .

### الهوامش

( ٢ ) أنظر نسب قريش : ٢٣٠ والاصابة ٢ / ٥٥٤ وسير اعلام

النبلاء ١ / ٢٨ .

( ٣ ) أنظر الحماسة السنوية للشنقيطي : ٤٨ .

الطبقات الكبير لابن سعد ، ١٠ ج ٣ ص ٧١ وسير اعلام النبلاء ١ / ٢٨ .

( ٤ ) نسب قريش : ٢٠ .

( ٥ ) أنظر مزايا الصحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة للصفاني :

٧ - صدقت وبلغت الرسالة صادقا

ومث صليب المود أبلج صائيا (١١١)

٨ - فلو أن رب الناس أبقي نبينا

سمدنا ولكن أمره كان ماضيا (١١٢)

٩ - عليك من الله السلام تحية

وأدخلت جنات من المدن راضيا

١٠ - أرى حسنا أيتته وتركته

نيكي ويدعو جده اليوم نائيا (١١٣)

( ٢٥ )

قالت ترثي أخاها الزبير بن عبد المطلب (١١٤) :

١ - بغي زبير الخير إذ مات إن

كنت على ذي كرم

٢ - لو لفظته الأرض ما أمّتها

أو أصبحت خاشعة عاريه

٣ - قد كان في نفسي أن أترك

الموتى ولا أتبعهم قافيه

٤ - فلم أطق صبرا على رزئه

وجدته أقرب إخوانيه

٥ - لو لم أقل من بني قولا له

لقضت العبرة اضلاعيه

٦ - فهو الشامي واليماني إذا

ما خضروا ذو الشفرة الداميه

### التخرجات

( ٤ )

في تبيين أنساب القرشييين ، البيت الاول فقط : ١٤١ .

في اللسان ( هبت ) نسبا إلى صفية ، وفي رواية إلى

فاطمة

ملاغات النساء ، ط . القاهرة ١٨ ، والمعد الفريد ٣ /

٢٢٨ .

( ٢٩ ) البيان والتبيين ٢ / ٣٦٢ . وانظر شرح نهج البلاغة ٢ / ٥٠ حيث نسبت الى أم مسطع بنت أئمة ، وفي مراثي شواعر العرب ١٦٦ ، الى فاطمة . واما المصادر الاخرى فهي لصفية . الهنشة : الامور الشديدة . ( ٣٠ ) في التبيين في انساب الفريسيين : ١٤٠ وتجريد أسماء الصحابة ٣٩٨ وسقط النجوم ١ / ٣٦١ .

( ٣١ ) صالح بن عبد القدوس شاعر حكيم عاش في فترة حكم الخليفة العباسي المهدي اذ يذكر محمد بن شاكر الكتبي في فوات الوفيات تحقيق د . احسان عباس طبعة ١٩٧٤ ص ٢٦٦ ان صالح بن عبد القدوس كان حكيم الشعر زنديقاً متكلماً . استقدمه المهدي الخليفة العباسي من دمشق الى بغداد ثم قتله على الزندقة . وهو القائل :  
ما تبلغ الاعداء من جاهل

ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقد روي الكتبي ايضاً ان الشاعر ابن عبد القدوس كان بصرياً . يمدح الناس في البصرة ويقتض عليهم . وله كلام حسن في الحكمة . ( ٣٥ ) التحفة اللطيفة في اخبار المعينة ٢ / ٩٢ . ( ٣٦ ) المصدر نفسه . ( ٣٧ ) مرثل : المرثل من الإبل ، المسرع ، والمرثل : الطويل . أسد : قبيلة الزبير بن الموام الاسدي . المرثل : الاصيل .

( ٣٨ ) الطبقات الكبير لابن سعد ٢ ج ٢ ص ٩٤ . ( ٣٨ ) سقط النجوم الموالى ( لهف قلبي ... مقلعة المحروب ) . المحروب : حارب الرجل فهو محروب ، أي مسلوب ماله ، وهي كلمة تستعمل 'لناب الموتى بمعنى التأسف .

( ٣٩ ) في السمط : ( وحسرة وفنتني ... سبقتها لشعوب ) . شعوب : اسم علم للملعية . ( ٤٠ ) القنائل : ما بين الانذين من مؤخر الرأس . ( ٤١ ) في السمط : ( وكيف يسمي صحيحاً ) . بين : بان ، انقطع وفارق . وبان : ظهر ، وفي قول العمري في شرح سقط الزند :

بان للمسلمين منك اعتقاد  
ظفروا منه يسالهدى والبيان

( ٤٢ ) في السمط : ( وحسبني الله مولى وحيوتي ... ) . وحيوتي : حزني ووحشتي .

( ٤٣ ) الطبقات الكبير لابن سعد ٢ ج ٢ ص ٩٦ . ( ٤٤ ) الطبقات الكبير لابن سعد ٢ ج ٢ ص ٩٥ . ( ٤٥ ) الجوانح : الاطلاع تحت التراب .

٢٩ .

( ٦ ) أنظر أم هاني ( مسلماء خالداً ) : ٢٢ .

( ٧ ) والاصح « أحناهن » على ولد .

( ٨ ) الطبقات الكبير لابن سعد ٢ ج ٨ ص ٢٣ ، وأنظر معاهد التنقيص ١ / ٢١٤ . والسيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٦٧ ، والبيداية والنهاية ٤ / ٥٨ .

( ٩ ) سيرة ابن هشام ٢ / ١٦٧ .

( ١٠ ) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٨ . وسقط النجوم ١ / ٣٦٠ ، وسير اعلام النبلاء ١ / ١٩٣ ، ومقالة أضواء جديدة على سيرة حسام بن ثابت للدكتور سامي اعاني : ٧٨ .

( ١١ ) أنظر سير اعلام النبلاء ٢ / ١٩٤ .

( ١٢ ) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٦٩ .

( ١٣ ) أنظر سيرة ابن هشام ١ / ١٦٩ ، ١٧٨ .

( ١٤ ) قارعة الصعيد : طريق القبر .

( ١٥ ) الفريد : الجوهرة النفيسة ، أو الفخر التي انفردت فوقعت بين آخر فقر الظهر وملئت أطراف المعظام .

( ١٦ ) وغل : الدنء ، الضعيف ، أو المدعي نسباً كاذباً .

( ١٧ ) نكس : الرجل الضعيف الذي لا خير فيه .

شخت : دنء الخلق أو ضعيفه .

سنيد : الضعيف الذي لا يستقل بنفسه حتى يستند وأيه الى غيره .

( ١٨ ) شيطمي : اللقي الجسيم .

( ١٩ ) الحريد : الناقة قليلة الثر . شبه بها الزمن في جذبته .

( ٢٠ ) وصوم : جمع وصم . الميب والمعار .

( ٢١ ) خضارمة : جمع خضرم ، وهو الجواد المعطاء ، والسيد الحمول .

الملاوة : جمع ملوث ، السيد الشريف يطاف ويلاذه به .

( ٢٢ ) الحماسة السنية للشنقيطي : ٤٨ .

( ٢٣ ) معجم البلدان ( زعم ) ٢ / ١٤٨ .

( ٢٤ ) أنظر سيرة ابن هشام ١ / ١٦٤ ، ومعجم ما استعجم للبكري ٢ / ٧٢٥ ، ومعجم البلدان ١ / ١٢٥ .

( ٢٥ ) المصدر نفسه .

( ٢٦ ) ديوان كعب بن مالك . د . سامي اعاني . ص ٢١٦ .

أسد الله : لقب الحمزة مدحه إياه الرسول ( ﷺ ) .

الهزة : تحرك المركب . الهزة : السلاح في الحرب .

( ٢٧ ) الحيوان ٢ / ٤٣٢ .

( ٢٨ ) أنظر البداية والنهاية ٤ / ٥٨ ، وشرح ديوان الخنساء ، وسيرة ابن هشام .

نسبت إلقطة مرة لصفية ، ونسبت في ديوان حسام ، الى حسام بن ثابت .

( ٤٤ ) لدائي : اثراي . المسيب : جمع عسب ، وعسب وهو جريد  
الخلل .

( ٤٥ ) ضريب : صنف ، أو المثل من الناس .

( ٤٦ ) الخيم : الطبيعة والسجية . مضرحي : المضرحي : السيد  
الكريم . المضرحي : الأبيض من كل شيء .

( ٤٧ ) ثمال المصممين : غياثهم ، الذي يقوم بأمر الفقراء والضعفاء .

( ٤٨ ) فقيماً ، قديماً البيان والتبيين ٣ / ٣٦٣ .

( ٤٩ ) في بلاغات النساء : ( فاشهدهم ولا تغلب ) .

( ٥٠ ) لسان العرب : ( فاختل .... ولا تنقب ) . سغبوا : جاعوا ،  
السغب هو الجوع .

( ٥١ ) الطبقات الكبير لابن سعد ٢ ج ٢ ص ٩٥ .

( ٥٢ ) في سمط النجوم العوالي : ( فابكي - ) .

( ٥٣ ) في السمط : ( بحق اليكاه ... ) .

( ٥٤ ) في السمط : ( وإن البيرة لا تنكب ) .

( ٥٥ ) في السمط : ( الذاحل المصلب ) . الجوى : الحرقه وشدة  
الوجد من الحزن .

( ٥٦ ) في السمط : ( لتبتك ... ) .

الشمطاء : مؤنث أشمط وهو الذي خالط بياض شعر رأسه سواد .

( ٥٧ ) في السمط : ( ليبتك ... )

ولدة : جمع ولد .

عقوته : جمع عقاء ، وهو ما حول الدار ، ساحة أو محلة .

الاشهب : البياض الذي يتخلله سواد .

( ٥٨ ) في السمط : ( فلم يكف ما طلب المطلب ) .

إذا أرملا ، إذا افترقا .

أرملت النساء : إذا مات عنها أزواجه .

( ٥٩ ) روايته في السمط :

وتبكيه عذراء من فقدتها

بحزن وتسملها الشيب

الأخشب ، ووعيرة : أسماء أماكن .

الميثب : القافز ، أو ما ارتفع من الأرض ، أو الأرض السهلة ، اسم مكان .

( ٥٩ ) في السمط : ( مالك لا تسمعي ... ما يسكب ) .

( ٦٠ ) الإصابة للمصقلاني ٢ / ٥٥٤ .

( ٦١ ) لب يلب : أي يلتزم بالامر ، أو يصير عاقلاً لبيباً .

( ٦٢ ) في نسب قريش : ( ما في الطل من تمر وحب ) .

( ٦٣ ) الزهرة لمحمد بن داود الأصفهاني ، طبعة الارون ٢ / ٥٠٨ .

( ٦٤ ) سيرة ابن هشام ١ / ١٦٩ .

( ٦٥ ) قارعة الصعيد : طريق القبر .

( ٦٦ ) الفريد : الجوهرة النفيسة ، أو الفقر التي أنفردت فوقعت بين

آخر فقر الظهر وملقتى اطراف المظالم .

( ٦٧ ) وقسل : الدنيا ، الضعيف أو المصعب نسباً كاتباً .

( ٦٨ ) تكس : الرجل الضعيف الذي لا خير فيه . شخت ، دنيء الخلق

أو ضعيف سديد : الضعيف الذي لا يثق بنفسه حتى يستند إليه إلى غيره .

( ٦٩ ) شيطمي : الفتى الجسيم .

( ٧٠ ) الحرود : الناقة قليلة الدر . شبه بها الزمن في جذبته .

( ٧١ ) وصوم : جمع وصم ، الميب والمار .

( ٧٢ ) خضارمة : جمع خضرم ، وهو الجواد المغطاء ، والسيد  
الحمول .

الملاوة : جمع ملوث ، السيد الشريف ، يطاف ويلاذ به .

( ٧٣ ) الطبقات الكبير ٢ ج ٢ ص ٩٦ .

( ٧٤ ) الشهود : الطويل الشديد ، أي ابك بشقة وغزارة ( أنظر لسان  
العرب ) .

( ٧٥ ) المعمود : الذي بلغه الحب مبلغاً .

( ٧٦ ) الطبقات الكبير ، ٢ ج ٢ ص ٩٦ .

( ٧٧ ) الضريبة : الصنف أو المثل .

واری الزناد : خرجت ناره ، أي معروف بنسبه .

( ٧٨ ) سمط النجوم العوالي ٢ / ١١٢ .

( ٧٩ ) في سيرة ابن هشام : ( أسائل ... ) .

( ٨٠ ) قوم : السيد العظيم . هجان : كريم . سميدع : شجاع .

( ٨١ ) في سيرة ابن هشام وفي البداية والنهاية ، صدر البيت :

( فقال الخبير ان حمزة قد ثوى ) .

( ٨٢ ) في سيرة ابن هشام ( أله الحق - يحيي بها - ) في البداية

والنهاية : ( بكاء وحزنًا محضري - ) .

( ٨٣ ) في سيرة ابن هشام ، والبدية : ( بكاء وحزنًا محضري - )

وقال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها : (و) بكاء وحزنًا

محضري ومسيري ) .

( ٨٤ ) مدرها : مدافعاً .

( ٨٥ ) في سيرة ابن هشام ، والبدية والنهاية :

( فيا ليت ... لذي أضيع تمثالني ونسور ) .

( ٨٦ ) في سيرة ابن هشام ، والبدية والنهاية : ( أعلى النفي

عشيرتي ) .

( ٨٧ ) انساب الاشراف للبلاذري ١ / ٥٩٤ .

( ٨٨ ) في مناقب ابن شهر آشوب ( بكاء الدهر ... ) القمري : جمع

قمر وقماري والانتى قمريه ، ضرب من الحمام حسن الصوت .

( ٨٩ ) الامار : المشاورة والانتصار . الافتقال .

( ٩٠ ) المناقب : جمع منقبة وهي المعرفة .

( ٩١ ) نسب قريش : ١١ .

( ٩٢ ) الطبقات الكبير لابن سعد ، ٢ ج ٢ ص ٧١ .

- ( ٨٤ ) زبوراً : اسم لدلال . الزبير : الداهية .  
 ( ٨٥ ) الاقط : الجين ( طعام ) .  
 ( ٨٦ ) مشعلاً : جاداً في المضى ثائراً .  
 ( ٨٧ ) ( ٢٢٦٠٢٠ ) نسب قريش :  
 ( ٨٧ ) أبو الطاهر : كنية الزبير بن العوام ( رضي الله عنه ) .  
 ( ٨٨ ) معجم ما استمع ليكري ٧٢٥ / ٣ .  
 ( ٨٨ ) نو مصق : شجاع صائق .  
 الكيش : سيد القوم .  
 ( ٨٩ ) الاخريق : احمق ، سفيه التصرف .  
 ( ٩٠ ) الحماسة السنية الكاملة المزية للشنقيطي : ٤٨ .  
 ( ٩٠ ) خب : صار خداماً .  
 حنكل : لنثم بطيء في المشي .  
 ( ٩١ ) البكر الاول : هو الزبير بن العوام .  
 ( ٩٢ ) الطبقات الكبير ، لابن سعد ، ج ٢ ص ٩٥ .  
 ( ٩٢ ) سجم : مصبوب . الماء او الدمع ( ينسجم ) .  
 ( ٩٣ ) اسخفر : مضى واسرع .  
 ( ٩٤ ) الاصابة ٧ / ٧٤٥ .  
 ( ٩٤ ) السواجم : السائلة المنسبة .  
 ( ٩٥ ) الزهرة لمحمد بن داود الاصفهاني ٢ / ٣٥ .  
 ( ٩٥ ) في الذخائر والاعلاق : ( اذ فقدنا خير ... ) .  
 ( ٩٦ ) في الذخائر والاعلاق : ( جل يوم ... ) .  
 ( ٩٧ ) في الذخائر والاعلاق : ( وصراطاً يهدي اليه سوي ) .  
 ( ٩٨ ) في الذخائر والاعلاق : ( وسراجاً يجلو الظلام ... مسدداً عربياً ) .

### المصادر والمراجع

الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ، الطبعة الاولى ، المطبعة السلفية ١٩٣٢ .  
 - بلاغات النساء ، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور ٢٨٠ هـ ، طبع النجف ١٣٢٠ هـ ، و طبع القاهرة ١٩٠٨ .  
 - البيان والتبيين ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد طرون ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ .  
 - تاريخ الادب العربي ، كارل بروكلمان ، نقله الى العربية د . عبد الحلیم النجار ، الطبعة الثالثة دار المعارف ، مصر ١٩٥٩ .  
 - تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس ، حسن بن محمد الديار بكري ، بيروت ، ١٢٨٣ هـ .  
 - التبيين في أنساب القريشيين ، موفق الدين بن قدامة المقدسي ٦٢٠ هـ ، حققه وعلق عليه محمد بن نايف الدليمي ، مطبوعات المجمع العلمي بغداد ١٩٨٢ .

- الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الاندلسي ٤٦٣ هـ ، تحقيق محمد علي البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ... بلا تاريخ .  
 - اسد الغابة ، ابن الاثير الجزري ت ٦٣٠ هـ ، طبع على ذمة جمعية المعارف ، تصحيح مصطفى وهبي ، المطبعة الوهبية ١٢٨٠ هـ .  
 - الاصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق على محمد البجاوي ، مطبعة دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٠ وما بعدها .  
 - أنساب الاشراف ، محمد بن يحيى البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، ت ٢٧٩ هـ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، مصر ، بلا تاريخ .  
 - البداية والنهاية في التاريخ ، عماد الدين بن كثير القريشي

السلام هرون ، الطبعة الاولى ١٩٥٢ .  
 - شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد عز الدين ابو حامد بن  
 عبد الله الميداني ٦٥٥ ، دار احياء التراث بيروت .  
 - شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، جمع وتحقيق د .  
 سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١ .  
 - الطبقات الكبير ، محمد بن سعد الزهري ٢٣٠ هـ .  
 مطبعة بربل ، ليدن ١٣٢٢ هـ الطبعة الاوالية  
 - المقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي ٢٢٨ هـ ، تحقيق  
 ابراهيم الابياري وعبد السلام هرون طبع لجنة التأليف والترجمة  
 والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ .  
 - فوات الوفيات ، محمد بن شاکر الکتبي ٧٦٤ هـ تح د .  
 احسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٧٤ .  
 - لسان العرب ، ابن منظور الافريقي المصري ٧١٠ هـ ،  
 طبع دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ .  
 - مرآتي شواعر العرب ، لويس شيخو .  
 - مسلمات خالذات ( ام هاني ) ، تأليف محمد علي قطب ،  
 منشورات المكتبة المصرية صيدا ، بيروت بلا تاريخ .  
 - معاهد التنصيص على شرح شواهد التخليص ، عبد  
 الرحيم العباسي ٩٦٣ هـ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد  
 الحميد القاهرة ، ١٩٤٧ .  
 معجم البلدان ، ياقوت الحموي ٦٢٦ هـ . بيروت  
 ١٩٥٧ .  
 - معجم ما استعجم واسماء البلاد والمواضع ، ابو عبيد البكري  
 ٤٨٧ هـ تحقيق مصطفى السقا مطبعة التأليف والترجمة والنشر  
 ١٩٤٩ .  
 - مناقب آل ابي طالب ، ابن شهر اشوب المازندراني  
 ٥٨٨ هـ ، النجف ١٩٥٦ .  
 - نسب قريش ، ابو عبد الله مصعب الزبيري ٢٢٦ هـ ، نشر  
 وتضخيف ليفي بروفنسال ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥١ .  
 باريس ١٩٥٣ .  
 - المجلات - مجلة آداب المستنصرية ، اضواء على سيرة  
 حسان بن ثابت د . سامي العاني كلية الآداب العدد ٢ السنة  
 الثانية ، ١٩٧٧ .  
 - مجلة المرأة العربية ، مجلة علمية نصف سنوية ، العدد  
 ١٩٨٨ ، تصدر عن الاتحاد النسائي العربي العام ، بغداد .

- تجريد اسماء الصحابة ، ابن الاثير النيسابوري الجزري  
 ٦٣٠ هـ الطبعة الاولى ، مطبعة المعارف النظامية ، الهند  
 ١٣١٥ هـ .  
 - التحفة اللطيفة في اخبار المدينة الشريفة / شمس الدين  
 السخاوي ٩٠٢ هـ ، نشر اسعد الحبيبي طبع القاهرة ١٩٥٧ .  
 - الحماسة السنية الكاملة العزبة في الرحلة العلمية  
 الشنقيطية محمد محمود الشنقيطي ، مطبعة الموسوعات ،  
 مصر ، ١٣١٩ هـ .  
 - الحيوان ، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ٢٥٥ هـ ،  
 تحقيق عبد السلام هرون الطبعة الثانية ، مصر ١٩٥٨ .  
 - در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ، الحسن  
 الصخاني ٦٥٠ هـ ، تحقيق د . سامي مكي العاني طبع بغداد  
 ١٩٦٩ .  
 - ديوان كعب بن مالك الانصاري ، جمع وتحقيق د . سامي  
 مكي العاني بغداد ١٩٦٥ .  
 - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى - الطبري ٦٩٤  
 هـ ، دار الكتب المصرية ١٩٦٧ .  
 - الذخائر والاعلاق في ادب النفوس ومكارم الاخلاق ،  
 الباهلي ابو الحسن الاشبيلي تمت كتابته في ٨٣٩ هـ ، المطبعة  
 الوهية مصر ، ١٢٩٨ هـ .  
 - الزهرة ، ابو بكر محمد بن داود الاصفهاني ٢٩٧ هـ  
 الجزعان الاول والثاني تحقيق د . نوري القيسي ود . ابراهيم  
 السامرائي ١٩٨٥ .  
 - سبط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي للمصافي الخالقي  
 ١١١١ هـ ، المطبعة السككية ، بلا تاريخ .  
 - سير اعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ٧٤٨ هـ ،  
 ابراهيم الابياري ، قريء على د . طه حسين ، دار معارف مصر  
 ١٩٦٢ .  
 - السيرة النبوية لابن هشام ٢١٨ هـ ، تحقيق ابراهيم  
 الابياري ومصطفى السقا ، مصر ١٩٨٥ .  
 - شرح ديوان الخنساء ، لويس شيخو ، بيروت ١٩٦٨ شرح  
 ديوان الحماسة للتبريزي ٥٠٢ هـ .  
 - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ،  
 القاهرة ١٩٣٨ .  
 - شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٢١ هـ ، تحقيق عبد



كلمة

وداع

د . سهير القلماوي

د . عائشة عبد الرحمن



الشهرة والأضواء مستسهلة للوصول الى ذلك التلقيق والسلف من المترجمات والسطو على جهود الآخرين . لقد كانت الراحلتان امونجاً للجهـد العلمـي المخلص والنزيه في أهدافه ومراميه والمحافظة على أثرانه دون تطرف لا في الانسياق وراء المنجز الغربي ولا في التجنـد عند حدود المنجز التراثي ، لقد مثلتا - بحق - مع أصوات أخرى من جيلهما جسراً موصلًا بين ضفتي التراث والمعاصرة .

إننا إذ نبكي غيابهما فإنما نرتي - فيما نرتي فيهما - جهداً نسوياً عربياً مبدعاً استطاع عبر رحلة مضنية أن يتخطى المتنبطات والمواقف ويشق له طريقه محطماً الأسوار والحجب التاريخية والاجتماعية الكثيفة ، وهو ما عالجته د . عائشة في كتابها : ( الشاعرة العربية المعاصرة ) حين رصدت تلك

لقدت الأوساط الأدبية والاكاديمية العربية في العامين الماضيين ١٩٩٧ / ١٩٩٨ عالميتين وأستاذتين جليلتين وفدتا الساحة الثقافية بالإسهامات والمؤلفات الجادة التي ترنت عليها وارتوت من معين أفكارها أجيال من الباحثين والادباء العرب هما د . سهير القلماوي ود . عائشة عبد الرحمن .

وكانَ هذا الزمن الرديء - وهو يعم في التآمر على هذه الأمة الممطاء - يأبى إلا أن يغتال البقية الباقية من القمم الشامخة والرموز المضيئة في ثقافتنا المعاصرة ، فيجمننا في كل يوم بمبدع منهم يخلف رحيله آثاراً داكنة وكابية على الخارطة الثقافية العربية التي تشهد يوماً بعد آخر تصاعداً في مذ التوجهات التغريبية وتزايداً في وجود الأقلام الهشة والرخوة في وعيها وانتمائها ورصيد ثقافتها أو المتبخلة في بحثها عن

المسيرة الممتدة بين واقع المرأة أحسن وهي مكبلة في غرف الحريم وسلبية على هامش الحياة الحقيقية وبينها اليوم أستاذة أو شاعرة أو عالمة... الخ، حيث امتزج عرق الكدح بدماء المضحيات وهن يتفنسن لهن موطيء قدم على طريق الانتماء وإثبات الذات.

لقد تحدث د. جابر عصفور بحثاً وعرفاناً عن أستاذته القلمائي مؤشراً ريادةها الخلاقة لعدد من المجالات الأدبية والأكاديمية: « كانت أول امرأة تحصل على درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية في الآداب، وأول أستاذة في قسم اللغة العربية، وأول رئيسة لهذا القسم، وأول سيدة تولت منصب رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأول من أقام معرضاً دولياً للكتاب في مصر عام ١٩٦٧، وأول من استهلت الأنشطة الثقافية في هذا المعرض، وأول رئيسة لجمعية خريجات الجامعة... وبحولها الكثيرة التي لم تجمع في كتاب مع مقالاتها الوفيرة وأحاديثها الإذاعية وقصائدها التي جعلتها واحدة من مؤسسي جماعة (أبولو) ونشاطها العام الثقافي والاجتماعي، كل ذلك يجعل منها نجمة ساطعة في تاريخ الثقافة العربية »<sup>(١)</sup>.

وليس غريباً وقد عرفت الراحلتان بفزارة الثقافة وتنوع مصادرها من أن تجمع كل منهما بين أكثر من مجال إبداع في تجربتها، لقد جمعت د. سهير إلى (التأليف الأكاديمي) كتابة (المقالة) و(القصة) ثم (الترجمة)، وتركت للمكتبة العربية حصيلة غنية من المؤلفات، نذكر منها:

- أدب الخواارج (أطروحة الماجستير)  
- ألف ليلة وليلة (أطروحة الدكتوراه)

- المحاكاة في الأدب  
- في النقد الأدبي  
- ثم غرابت الشمس  
- العالم بين دفتي كتاب  
- مع الكتب

- الرواية الأميركية الحديثة  
- أحاديث جدتي  
- الشياطين تلهو  
- ترويض النمرة  
- رسالة إيون  
- عزيزتي أنتوني  
- رسائل صينية

- قصص صينية

- هدية من البحر

- مائدة المعرفة

- كتاب المجائب<sup>(٢)</sup>

- الآداب والوحدة العربية (بحث مقدم إلى مؤتمر الآداب العرب السابع في بغداد)

ونجحت بنت الشاطيء في أن تجمع بين (التأليف الأكاديمي) و(القصة) وكتابة (سيرة) بعض الاعلام التاريخية الامة، و(تحقيق المخطوطات) تحقيقاً علمياً تنهل فيه من انجازات علم التحقيق المنهجية ومن حصيلة خبرتها الشخصية المتحصلة بالصبر والذاب على القراءة والمتابعة والكشف، فكانت ثمرة ذلك كتاباً شيقاً عصية على

النسيان، لعل من أبرز عناوينها:

- الحياة الإنسانية عند أبي العلاء (أطروحة الماجستير)  
- الفران لابي العلاء الممرى / دراسة نقدية (أطروحة

الدكتوراه)

- قيم جديدة للآداب العربي القديم والمعاصر.

- تراثنا بين ما هو وحاضر.

- ارتباط الآداب بالثقافات (بحث مقدم إلى مؤتمر الآداب العرب السابع في بغداد).

- الشاعرة العربية المعاصرة.

- لغتنا والحياة.

- أبو العلاء الممرى (سلسلة اعلام العرب).

- قراءة جديدة في رسالة الفران | نص مسرحي من القرن الخامس الهجري.

- تحقيق (رسالة الفران) للممرى.

- تحقيق (رسالة الصاهل والشاحج) للممرى... الخ.

ولا ننسى في هذه الكلمة الموجزة أن نهمس بكلمة عتاب رفيقة، يمزج فيها علينا أن يمر رجليهما دون أصداء تذكروا في مجلاتنا وصحفنا المرافقة، ولا أقل من أن تلد لهما مجلاتنا ملفات خاصة - كما وعدتنا أن تفعل دائماً - يجلو من خلالها الباحثون من هجيهما ويمضوا من انجازاتهما المعرفية<sup>(٣)</sup>، جزءاً يسيراً من دين الوفاء الذي لهما في اعناقنا.

(١) (٢) مجلة فصول، العدد الرابع، شتاء ١٩٩٧.

(٣) للدكتورة نادية غازي بحث بعنوان: (إشكالية الذات والآخر في منظور الكتابة العربية) بنت الشاطيء نموذجاً، منشور في مجلة المؤلف الثقافي، العدد ١٧، ١٩٩٨.

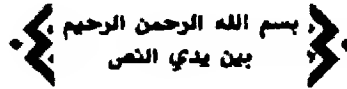


# نصان نادران في الضاء

- ١ - بيتان في ظلمات القرآن مشهوران ،  
لأبن مالك ( ت ٦٧٢ هـ ) .
- ٢ - تصحيح أبي منصور عيسى بن  
مهاصب في الضاء المعجمة .

حققهما الاستاذ هلال ناجي

على مخطوطتين فرديتين



اللون من التصنيف متأخراً بدأ في القرن السابع الهجري في رسالة مخطوطة صنفها عيسى بن عبد العزيز اللخمي ( المتوفى سنة ٦٢٩ هـ ) عنوانها « كتاب المراد في كبلية النطق بالضاء » ، وأقدم ما وصلنا من هذه الرسائل رسالة ( غاية المراد في معرفة إخراج الضاد ) لمحمد بن أحمد بن داود المعروف بابن النجار ( ت ٨٧٠ هـ ) وفي هذا الطريق سارت رسائل ابن غانم المقدسي ( ت ١٠٠٤ هـ ) وعنوانها « بنية المرتاد لتصحيح الضاد » ، وعلي بن سليمان المنصوري ( ت ١١٣٤ هـ ) وعنوانها « رد الاحاد في النطق بالضاء » ، وعبد الغني بن اسماعيل النابلسي ( ت ١١٤٣ هـ ) عنوانها « الالتصاف في النطق بالضاء » ، ورسالة محمد المرعشي ساجلي زادة ( ت ١١٥٠ هـ ) الممنونة « رسالة في الضاد وكبلية ادائها » ورسالة محمد بن اسماعيل الازميري ( ت ١١٦٠ هـ ) في الرد على المرعشي . وكل هذه الرسائل وسواها يندرج في باب « علم التجويد » ، وقد أحصاها صديقنا المفضل الدكتور محمد جبار الميرد في بحثه القيم « كتب الضاد والطاء عند الدارسين العرب »<sup>(١)</sup> .

وليس من شأننا في هذه المقدمة الخوض في مسائل صوتية هي الصق بمنم التجويد مما ذكرناه في الجذم الثاني من المصنفات .

لأننا التصنيف في الجذم الاول - وهو الجذم اللغوي - فقد نهد عالم جليل هو الدكتور رمضان عبد التواب الى محاولة حصر ثروات العربية في الضاد والطاء ، فعد ثلاثين كتاباً بين مطبوع ومخطوط ومفقود ، فكان المجني في هذا الميدان<sup>(٢)</sup> .

حينما انساح العرب إثر الفتوح عبر الاقطار واختلطوا بغيرهم من الامم واجهتهم مشكلتان ، مشكلة اللحن التي تفتت في وقت مبكر من القرن الهجري الاول لما جوهها بتكميد قواعد النحو .

ومشكلة اخرى تجسدت في اندياح حرف الضاد والتصاقه بالطاء نطقاً او بالبدال المخفمة حتى كاد يختفي في نطق العرب جميعاً مشرقاً ومغرباً وقد واجه المصنفون هذه المشكلة بتخصيص عشرات المصنفات للفرقة بين الضاد والطاء وكثير منها لما اشتبه في النطق واختلف في المعنى والخط . بعضها كان نثراً وبعضها كان نظماً ، وكثيراً ما عمد ناظموها او غيرهم الى شرحها تبسيطاً لها .

وقد انتشبت هذه المصنفات المنثورة والمنظومة الى جذمين اساسيين ، جذم يعالج الفرق بين الضاد والطاء معالجة لغوية فهو يحصر الالفاظ الضادية او الطائية المتشابهة نطقاً المختلفة معنى وخطاً ، وبعضها يحصر الالفاظ او الاصول الضادية او الطائية وبعضها سلك مسالك اخرى ليس هذا موضع تفصيلها . فالاهتمام في تصانيفهم كان منصباً على التمييز الخطي ( الكتابي ) لا النطقي والنعان اللذان نثرهما اليوم لأول مرة يندرجان في هذا اللون من التصنيف الذي كانت بداياته الاولى في القرن الرابع الهجري ، وكانت المنظومات وسيلة لتسهيل حفظ مضمونها .

والجذم الثاني انصرف الى دراسة صوت الضاد دراسة صوتية في محاولة لتبين أسباب اندياح هذا الصوت ودوبانه في صوت اخر كالطاء او البال المخفمة او غير ذلك ، وكان هذا



[illegible]

فصول عقدها ابن مكي الصقلي والقلقشندي والسبوطي في كتبهم لهذا الموضوع . ثم اتبعها بمشرة كتب مما صُنّف في كيفية النطق بالضاد وهو كما قلنا يدخل في باب علم التجويد . فابلقها الى ثمانين كتاباً . ورغم هذا الجهد الموسوعي لم يقل ( المعين ) انه قدم احصاء شاملاً لكتب الظاء والضاد ولا ادعى انه حصرها . وهذا هو خلق العلماء الفضلاء . فليس في طوق اي باحث مهما بلغت موسوعيته ان يدعي الاحاطة بكل ما صنّفه السلف في الظاء والضاد . تظل كل القوائم والاحصاءات ناقصة لاستحالة الاحاطة ولتناثر تراثنا المخطوط عبر العالم في مكتبات مفرسة وغير مفرسة . وقد راينا ان ندلي بدلونا بين الدلاء فنضيف جديداً الى ما ذكره صديقنا المفضل د . محمد حمار المعين في بحثه

رمضان عبد التواب في مقدمة « زينة الفضلاء » كان  
مُجَلِّباً حين قدم قائمة في تراث الظاء والضاد في العربية .  
وطه محسن وحسين تودال كانا مُصَنِّيان في مقدمة تحقيقهما  
لكتاب « الاعتضاد » .

٩٩ - مجلة المورد العدد الاول لسنة ١٩٩٩

الموسوعي المشار اليه ، وهذا هو مستدركي :

١- اصول الظاء في الكلام وذكر مواضعها في القرآن .

لابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ( ت ٤٣٧ هـ ) .  
نسبه اليه القطعي في الإنباه ٣ / ٣١٧ .

٢- مؤلف في الظاء والضاد : لابي محمد علي بن احمد بن سعيد المعروف بابن حزم القرطبي الاندلسي ( ت ٤٥٦ هـ )  
نسبه اليه الذهبي في سير اعلام النبلاء ١٨ / ١٩٧ .

٣- كتاب في الضاد والظاء : لابي البركات محمد بن محمد ابن الحسين الشهرستاني ( ت ٦١٨ هـ ) نسبه اليه القطعي في الإنباه ٣ / ٢١٢ .

٤- أرجوزة في الضاد والظاء لنسب الدين احمد بن عثمان السنجاري ( من القرن السابع ) ذكرها السيوطي في بنية الوعاة ١ / ٣٣٦ .

٥- الاقتصاد في الفرق بين الظاء والضاد : ليحيى بن حميد بن ظافر الحلبي المعروف بابن ابي طي ( ت نحو ٦٣٠ هـ ) .  
ذكره الكتبي في فوات الوفيات ٤ / ٢٧٠ .

٦- قصيدة في الالفاظ التي تكتب بالضاد لابي نصر عيسى ابن مواهب ( كان حيا قبل ٧٠٧ هـ ) منها مخطوطة في الاستانة .

٧- قصيدة في الالفاظ التي تكتب بالظاء لابي نصر عيسى ابن مواهب - وهي التي ننشرها في بحثنا هذا - .

ان حصر تراث العربية في الضاد والظاء امر يستعصي على التراثيين العرب المعاصرين لان ذكره ميثل في ثنايا آلاف الكتب والمخطوطات المتناثرة عبر العالم والمصنفة عبر اربعة عشر قرنا .

وحين اورد مستدركي هذا اعلم ان النقص من طبيعة البشر ، فقد ابي الله - جلّت قدرته - ان يكون الكمال للبشر كتابه الكريم . فانا لا اريد التعامل على احد ، واعلم جيدا ان آخرين أجلا او عاجلا - سيستدركون على مستدركي هذا - "وفوق كل ذي علم علم" صدق الله العظيم - .

ونفد ، فقد ظهر في كتب الظاء والضاد اتجاه قرآني مُنمَّز حاول حصر الالفاظ الضادية والظائية في القرآن الكريم وتفسير معانيها . ولأن ما ورد في الذكر الحكيم من الضاد يزيد على الظاء ، إذ وردت الظاء في ٨٥٣ موضعا ترجع الى واحد وعشرين أصلا . في حين جاء حرف الضاد في ١٦٨٤ موضعا ، ترجع الى واحد وثمانين أصلا<sup>(١)</sup> . فان قلة الظاءات هذه دفعت المصنفين القدامى الى ايراد مصنفات لدراسة ظاءات القرآن الكريم او حصرها ليعلم أن ما عداها بالضاد . ومن هذه المصنفات منظومات شعرية اشتملت على اصول الكلمات الظائية . وكل اصل يشمل مجموعة من الالفاظ الظائية ترجع اليه اشتقاقاً او تصرفاً .

وتتراوح ابیات هذه المنظومات الشعرية بين الاثنين

والسبعة اورد عنها الدكتور طه محسن في بحثه المشار اليه احد عشر منظومة ، ذكرها بالترتيب التالي :

١- اربعة ابیات لاحمد بن احمد بن عمار المهدي ( ت ٤٤٠ هـ ) .

٢- اربعة ابیات لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني ( ت ٤٤٤ هـ ) .

٣- اربعة ابیات لابي محمد القاسم بن فبره الشاطبي ( ت ٥٩٠ هـ ) .

٤- منظومة في ثلاثة ابیات واخرى في اربعة لاحمد بن دلة الواسطي ( ت ٦٥٣ هـ ) .

٥- ثلاثة ابیات لمبد الرزاق بن رزق الله الرسمني ( ت ٦٦١ هـ ) ومنظومة له ايضا في سبعة ابیات .

٦- ثلاثة ابیات لاسماعيل بن علي بن سمدان الواسطي ( ت ٦٩٠ هـ ) .

٧- اربعة ابیات لابراهيم بن عمر الجعبري ( ت ٧٣٢ هـ )

٨- اربعة ابیات لمبد الله بن احمد بن علي الكوفي ( ت ٧٤٥ هـ ) .

٩- بيتان لمحمد بن علي بن حسين الكاربي البهشمي ( ت ١٢٤٧ هـ ) .

١٠- سبعة ابیات لمجهول في مخطوط بالاستانة .  
المهم في الامر انه ذكر البيت الاول من نص ابن مالك الذي

ننشره اليوم لأول مرة بالصيغة التالية :  
[ وقال جمال الدين بن مالك الاندلسي ( ت ٦٧٢ هـ ) ] .

ظسل الفليظ الظلوم الفلظ شسوظ لظن

فاسما كظمن وظاهر ظالرا يقظا ]

واحال في الهامش على كتاب رمضان ششن الممنون

» نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا » ١ / ١٧٤ .

واضاف : ولم ينقل المؤلف من المنظومة سوى هذا البيت<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر الباحث الثبت د . محمد جبار المميد البيت الاول

المذكور من هذه المنظومة تحت عنوان ( ضوابط ظاءات

القرآن ) منسوبا لابن مالك وقال ان مخطوطة الكتاب محفوظة

في مكتبة قونغوشلر ( تركيا ) برقم ١٠٩٦ مجاميع وأحال على

كتاب رمضان ششن ١ / ١٧٢ - ١٧٣<sup>(٣)</sup> نفسه .

ومن هذا يتضح ان النص الذي ننشره اليوم جديد كل

الجدد . فلم يذكر احد انه في بيتين فقط عنوانهما ( بيتان في

ظاءات القرآن مشروحان ) ولم يذكر احد ايضا ان ناظمهما قد

شرحهما شرحاً مستفيضاً .

واود ان اضيف الى ما ذكره الباحث الثبت د . طه محسن

من منظومات في اصول الظاءات القرآنية ، منظومة ابن

الجزري وهي في سبعة ابیات ذكرها في كتابه « المقدمة فيما

يجب على القارئ ان يلمه » وقد نشرت هذه الابيات في شرح

الشيخ زكريا الانصاري للمقدمة الجزرية<sup>(٤)</sup> . واليك المنظومة :

والضاد باستطالـجـ ويخرج  
مـبـسـز من الظـسـاء وكلها تـجـي  
في الـظـنـ ظـلـ الظـهـر غـظـم الجـظـ  
أبـظـظ والظـلـز عـظـم ظـهـر الـظـظـ  
ظـسـاهـر نظـى شـواظ كـظـم ظـلـما  
الـظـظ ظـلام ظـلـي انتـظـر ظـما  
اظـفـر ظـنـاً كـيـف جـا وعـظـ سـوى  
عـظـين ظـلـ الظـلـ رـظـسـف سـوا  
وظـنـت ظـلـظـم وـيـسـرـوم ظـلـوا  
كـالـجـبـر ظـلـت شـمـرا نـظـلـ  
نـظـلـنـن مـحـظـوراً مـع الـمـحـظـبـر  
وكنـت ظـظـاً وجمـيـع الـنـظـر  
الـا يـنـظـل هـل واولـى نـاضـره  
والـفـيظ لا الـرـعـذ وهـو قـاصـره  
والـحـظ لا الحـض عـلى الطـسـام  
وفي ظـنـيـب الـظـلـاف سـامـي

xxxxxxx

واضيف ايضاً ان ابيات ابي عمرو الداني التي اولها :  
فـلـسـرت شـواظ بـحـظـها من ظـلـما  
فـكـظـمت غـيظ عـظـيم مـسـا ظـلت بـنا

وقد اوردها د . طه محسن في بحثه المشار اليه . اقول :  
ان الداني ناظمها قد شرح ابياته الاربعة هذه شرحاً مستفيضاً  
نشر بعنوان « الظاءات في القرآن الكريم » للإمام ابي عمرو  
الداني بتحقيق الدكتور علي حسين البواب - الرياض  
١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م ، وهي نشرة علمية متقنة (١) .

xxxxxxx

مصنف النص (٢) :

ناظم النص وشارحه هو الامام جمال الدين محمد بن  
عبد الله بن مالك الطائي الجبائي الاندلسي مولداً ، دمشقي  
مدفنأ . وجيان هذه التي نسب اليها كانت كورة تلج شرقي  
قرطبة . مولده على الاغلب بين عامي ٥٩٨ هـ - ٦٠١ هـ .  
ولما جُبل عليه من حب للعلم والامن معا أثر هجرة وطنه -  
الذي كانت تتقاذفه الصراعات السياسية - الى المشرق طلباً  
للعلم والامن معا . فاستقر مدة في مصر ثم اضطرت الاحوال  
فيها ايام الكامل بن النادل ، فغادرها لتادية فريضة الحج ،  
وعند عودته أثر الاستقرار بحلب التي كانت تزخر بالعلماء كابن  
يعيش شارح المفصل ، ثم انتقل الى حماة ، وانتهى به المطاف  
الى دمشق حيث الامن الذي سمي اليه فاستوطنها .

تناصر ابن مالك نهاية الدولة الايوبية ، وقيام دولة  
المماليك ، كما عاش شطراً من حياته في ظل سلطنة الظاهر  
بيبرس (٣) وتولي في اثنائها . في حلب كان قد تصدر لإقراء

العربية وأم بالمدرسة القاهرة ، وفي دمشق اشتغل  
بالتصنيف والتدريس بالجامع والمدرسة الامانية التي تولى  
مشيختها الكبرى .  
■ شيوخه (٤) :

لما شيوخه في جيان اخذ القراءات والنحو عن ثابت بن  
خير ( ت ٦٢٨ هـ ) كما اخذ عن ابي رزين بن ثابت القلاعي  
وابي المباس احمد بن ثوار ومحمد بن مالك المرشاني . وفي  
دمشق اخذ عن الحسن بن صباح الصخومي ( ت ٦٣٢ هـ ) ،  
ونجم الدين مكرم بن محمد القرشي الدمشقي ، وكان عالماً  
محدثاً ( ت ٦٣٥ هـ ) ومحمد بن ابي الفضل المرسى . وسمع  
من الامام علي بن محمد السخاوي النحوي المقرئ وكان من  
ائمة اللغة والنحو والتفسير والفقه ( ت ٦٤٣ هـ ) .

وفي حلب اخذ عن عالمها الاشهر يعيش بن علي بن يعيش  
الحلبي « شارح المفصل » وهو من اكابر علماء العربية .  
■ خلائقه :

كان صديقاً تقياً ورعاً ، حسن السمعة كثير النوازل ، عرف  
بمقلته وبقائه ورثة قلبه . وكان لا يرى آذ وهو يصلي او يتلو او  
يصنف او يقرأ .  
■ تلامذته (٥) :

روى عنه ولده بدر الدين محمد ، وشمس الدين بن جموان ،  
وشمس الدين محمد بن ابي الطنج ، وابن المطار ، وزين الدين  
ابو بكر المزكي ، والشيخ ابوالحسن اليونيني ، وابو عبد الله  
الصيرفي ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، وشهاب  
الدين محمود ، وشهاب الدين بن غانم ، وناصر الدين شافع ،  
وزين الدين بن النجا ، ويهاء الدين بن النحاس ، وابو بكر بن  
يعقوب ، وخلق سواهم .  
■ مكانته العلمية :

كان ابن مالك من ائمة العلم في زمانه ، قال عنه الصلدي :  
« صرف همته الى اتقان لسان العرب حتى بلغ منه الغاية ،  
واربى على المتقدمين ، وكان إماماً في القراءات وعللها ،  
وصنف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية . ولما  
اللة فكان اليه المنتهى فيها » (٦) .

ووصله محمد بن محمد بن الجزري بانه : « إمام زمانه  
في العربية » (٧) . وقال عنه السيوطي : « ولما النحو  
والتصريف فكان فيهما يحرراً لا يجارى ، وخبراً لا يبارى ، ولما  
اشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الائمة  
الاعلام يتحيزون فيه ، ويتمجبون من ابن ياتي بها » (٨) .  
وقال عنه الالهبي : « واحد مصر في علم اللسان » (٩) .  
ووصله السبكي بانه : « وهو خيرها السائرة مصنفاته

حصير الشمس ، وثقلتها الذي تصلي له الحواس الخمس ، وكان إماماً في اللغة ، إماماً في حفظ الشواهد وضبطها ، إماماً في القراءات وعللها ،<sup>(١)</sup> وحتى صح فيه القول ، انه كان اعلم اهل زمانه باللغة والنحو والقراءات والصرف وغيرها . وكان الى ذلك شاعراً ونائراً .

■ وفاته :

توفي ابن مالك - رحمه الله - في دمشق في ثاني عشر شبان سنة ٦٧٢ هـ ، ودفن بسطح قاسيون . وراثه عدد من شعراء عصره من بينهم تلميذه بهاء الدين محمد بن ابراهيم ابن النحاس الحلبي<sup>(٢)</sup> وشرف الدين الحصني<sup>(٣)</sup> ، وسجد الدين ابن الظهير الازيلي<sup>(٤)</sup> ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن السلمي الحلبي<sup>(٥)</sup> ، وتلميذ الدين حسين<sup>(٦)</sup> ، وسواهم .

■ آثاره :

ناهزت مصنفات ابن مالك الخمسين كتاباً ، وسبكتلي في هذه المقدمة المركزة بالاشارة الى ما طبع منها :

١- ارجوزة في الفرق بين الضاد والطاء : حقلها طه محسن - مجلة المورد - العدد الثالث - المجلد الخامس عشر .

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢- الاعتضاد في الفرق بين الطاء والضاد : حقله طه محسن وحسين تورال - النجف ١٩٧٢ م .

٣- الاعتماد في نظائر الطاء والضاد ، حقله حاتم الضامن - مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ - المجلد ٣١ -

١٩٨١ .

٤- إكمال الاعلام بتلخيص الكلام ، حقله سعد بن حمدان الغامدي - جدة - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٥- الالفة المسماة « الخلاصة في النحو » طبعت طبعات عديدة ومنها طبعة بتحقيق محمد مفيد الخيمي - دمشق ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٨ م .

٦- تحفة المودود في المقصور والممدود ، طبعت أولاً بعناية ابراهيم الهازجي - القاهرة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م ، ثم طبعت في ذيل الكتاب « إكمال الاعلام بتلخيص الكلام » بتصحيح احمد بن الامين الشنقيطي - القاهرة ١٣٢٩ هـ .

٧- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، حقله محمد كامل بركات - القاهرة ١٩٦٢ م .

٨- ذكر معاني ابناء الاسماء الموجودة في المفصل للزمخشري ، حقله محمد وجيه تكريتي - مجلة مجمع اللغة العربية الاردني - عمان العدد ٣٣ - ١٩٨٧ م .

٩- شرح عمدة الحفاظ وعدة الافاظ ، حقله عدنان عبد الرحمن الدوري - بغداد - مطبوعات وزارة الاوقاف ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م .

١٠- شرح الكافية الشافية ، حقله عبد المنعم احمد هريدي - مكة المكرمة - جامعة ام القرى - وقع في خمسة اجزاء .

١١- شرح النظم الاوجز في ما يهزم وما لا يهزم ، حقله علي حسين البواب - الرياض - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

١٢- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، حقله طه محسن - بغداد - وزارة الاوقاف ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٣- لامية الافعال - نشرت بشرح ابنه بدر الدين - تحقيق لولك - لايبزيك ١٨٦٦ . واعاد نشرها نشرة غير علمية حسام النسيبي في العدد الرابع من مجلة كلية الدراسات الاسلامية -

بغداد - ١٩٧٢ .

وقد حقلت الشرح تحقيقاً علمياً ودلمته الى المطبعة .

١٤- مثلثات الافعال لابن مالك وزوائد للبعلي ، حقله سليمان العايد - السعودية ،

١٥- التعرف في ضروري التصريف - وقد حلقناه ودلمناه الى المطبعة .

١٦- وما نشر منسوبة اليه منظومة فيها ورد من الافعال بالواو والياء . نشرت - بدون تحقيق - في مجموع مهمات المتن - الطبعة الرابعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي

منسوبة لابن مالك وعدتها سبعة وستون بيتاً . كما نشرت في كتاب « المزهر » للسيوطي ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٢ منسوبة لابن

مالك ايضاً وعدتها دون الخمسين بيتاً . وقد لاحظنا ان هذه المنظومة قد نسبت في عدد من المصادر الى الشاعر يوسف بن

اسماعيل الشنوء الحلبي ( ت ٦٣٥ هـ ) . ومخطوطاتها متداخلة بعضها منسوبة للشنوء وبعضها لابن مالك . وفي

بعض المصادر ان منظومة الشنوء هذه شرحها بهاء الدين ابن النحاس الحلبي .

وقد حررت في الموضوع بحثاً مفصلاً عنوانه « القصيدة المتداخلة » انتهيت فيه الى ان القصيدة للشنوء الحلبي ،

ولم ابيات في اولها وخاتمتها هي لابن مالك ومن نظمه ( ولوق كل ذي علم عليم ) .

■ مخطوطة الكتاب : اعتمدنا في تحقيق رسالة « بيتان في ظاءات القرآن مشروحات » على مخطوطة فريدة تقع ضمن

مجموع محفوظ في مكتبة احمد الثالث بالاستانة برقم ١٠٩٦ . والمجموع كتب في سنوات مختلفة تنحصر بين عامي ٧٠٧ هـ

الى ٧٢٠ هـ واسم الناسخ محمد بن احمد بن ابراهيم القرشي الشافعي . ورسالتنا هذه انجزها الناسخ سنة ٧٠٧ هـ . وقد

عانت فيها الارضة كما طمست فيها كلمات طمساً تاماً . ونظراً للجهد المبذول في اخراج النص فقد تقررت بقايا الكلمات وتهذبت الى كثير منها معتمداً مصنفات ابن مالك المطبوعة

ليما يخص الطاء والضاد ومعاجم اللغة ، حتى خرج النص



يشكله هذا .

لقد كنت اتعرق شوقاً لتظفر بمخطوطة اخرى من هذه الرسالة ذكرها بروكلمان وقال انها في القاهرة بمسقط .  
ولد دلت في هارس مخطوطات القاهرة المطبوعة ،  
وجميع ما ذكر في تلك الفهارس من مصنفات ابن مالك فلم اجد لها ذكراً . ولست ادري هل انها فقدت ، ام ان الامر ناجم عن سهو صانع الفهارس لصغر حجمها .  
على أية حال ، ان الظفر بمخطوطة اخرى سيساعد على تدارك النقص في نشرتنا هذه في مواضع الطمس وما عانت فيه الارض . وقد يبرز الله ذلك مستقبلاً . ثم اني احمد الله على ان وفقتني في الخراج هذه النص للمرة الاولى خدمة لقرانه الكريم .

وأمل ان يكون نشره اضالة ذات بال في حقل منقومات الظاء القرآنية ، فما نشر منها حتى اليوم قليل للغاية .  
والعظم الفرصة لأخي : اكرمياً وصحلاً ثبثاً هو الدكتور عباد الشبيبي - الاستاذ في جامعة ام القرى بمكة المكرمة - فاهديه عملي هذا ، رداً على تحيته الكريمة بتصوير المخطوطة لي .

والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وآله  
المنتجبين الطاهرين وصحبه الاكرمين ، صلاة وسلاماً دائمين  
الى يوم الدين  
وكتبه في بغداد مدينة السلام طالب علومه ، الراجي  
هلال بن ناجي .

### هوامش الدراسة

- ( ١ ) مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الثلاثون - ج ٢ سنة ١٩٨٦ ص ٥٧٥ - ٦٢٤ .
- ( ٢ ) لتظفر مقدمة تحقيقه لكتاب د زينة الفضلاء في الطرق بين الضاد والفاء ، لابي البركات ابن الانباري - بيروت ١٩٧١ ص ٢٢ - ٣٥ .
- ( ٣ ) لتظفر مقدمة الاعتقاد ص ٧ - ١١ .
- ( ٤ ) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣١ - الجزء الثالث تموز ١٩٨٠ .
- ( ٥ ) اشرنا اليه سابقاً .
- ( ٦ ) منقوبات اصول الطائفة القرآنية للدكتور طه محمد - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد ٣٠ ج ٢ ص ٦٣٥ - ٦٤٦ .
- ( ٧ ) يحقه المشار اليه ص ٦٤٠ .
- ( ٨ ) كتب الضاد والفاء عند الدارسين العرب - ص ٦٠٨ .
- ( ٩ ) شرح المقدمة الجزرية لركوب الانصاري - علق عليه محمد غياث الصباغ - جدة - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، ١٩٩١ م ( ص ٧٠ - ٧٦ ) .
- ( ١٠ ) كان المرحوم د . محمد جمال الدين قد نشر مختصراً من هذا الشرح في مجلة البلاغ المراقبة - العدد الثاني - السنة الثالثة ( ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ) ص ٥٨ - ٦٠ وهي نشرة مختصرة بالغة الاخلال .
- عن سيرة الناظم واثاره لتظفر المصادر التالية :
- تاريخ الادب العربي - بروكلمان - الترجمة العربية ٢٧٥ / ٥ - ٢٩٦ و ١٨٥
- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع : محمد عيسى صالحية ١٧ / ٥ - ٢١ .
- دائرة المعارف الاسلامية ، هوتسما وولفاؤه - الطبعة العربية الثانية ١ / ٢٨٦ - ٢٨٨ ، حذر ترجمته محمد بن ابي شنب .
- مفتاح السعادة ومصباح السعادة : احمد بن مصطفى الشهبز بطاش الكبرى زاده ١ / ١٣٦ - ١٢٨ .
- الغلاكة والمطلوكون : احمد بن علي الدلجي ص ٨٦ - ٨٧ .
- البغلة في تاريخ ائمة اللغة - الطروز ابادي ط ٢ ص ٢٠١ .
- الاعلام ، الزركلي ٧ / ١١١ .
- الوافي بالوفيات : الصفي ٣ / ٣٦٠ .
- وفات الوفيات ابن شاکر الكتبي ٣ / ٤٠٧ - ٤٠٩ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، الياضي ٤ / ١٧٢ - ١٧٣ .
- غاية النهاية ، ابن الجزري ٢ / ١٨٠ - ١٨١ .
- طبقات النحاة واللغويين ، ابن قاضي شهبه : حققه محمد غياض ص ١٣٤ - ١٣٥ .
- بغية الوعاة ١ / ١٣١ - ١٣٤ .
- البداية والنهاية ، ابن كثير ١٣ / ٢٦٧ .
- شذرات الذهب ، ابن عبد الحي الجعفي ٥ / ٣٣٩ .
- نفع الطبيب : الصوري - تحقيق احسان عباس ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، المقريزي حققه محمد مصطفى زيادة ١ / ٦١٣ .
- ( ١١ ) حكم القاهرة ببيرس بين عامي ٦٥٨ - ٦٧٩ هـ .
- ( ١٢ ) حول شيوخه لتظفر مصادر ترجمته وما كتبه محمد بن ابي شنب في دائرة المعارف الاسلامية .
- ( ١٣ ) الوافي بالوفيات ٢ / ٣٦٢ .
- ( ١٤ ) الوافي بالوفيات ٢ / ٣٥٩ .
- ( ١٥ ) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ / ١٨٠ .
- ( ١٦ ) بغية الوعاة ١ / ١٣٠ .
- ( ١٧ ) المعبر في خبر من غير ٥ / ٣٠٠ .
- ( ١٨ ) طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٦٧ .
- ( ١٩ ) بغية الوعاة ١ / ١٣٧ .
- ( ٢٠ ) بغية الوعاة ١ / ١٣٤ - ١٣٥ .
- ( ٢١ ) اشار اليها ابن قاضي شهبه في طبقاته ص ١٣٥ ولم اجد لها في ميواته المطبوع .
- ( ٢٢ ) ذيل مرآة الزمان للميونبي ٣ / ٧٦ - ٧٧ .
- ( ٢٣ ) لتظفر مواته في ذيل مرآة الزمان ٣ / ٧٨ - ٧٩ .

- ( ١ ) مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الثلاثون - ج ٢ سنة ١٩٨٦ ص ٥٧٥ - ٦٢٤ .
- ( ٢ ) لتظفر مقدمة تحقيقه لكتاب د زينة الفضلاء في الطرق بين الضاد والفاء ، لابي البركات ابن الانباري - بيروت ١٩٧١ ص ٢٢ - ٣٥ .
- ( ٣ ) لتظفر مقدمة الاعتقاد ص ٧ - ١١ .
- ( ٤ ) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣١ - الجزء الثالث تموز ١٩٨٠ .
- ( ٥ ) اشرنا اليه سابقاً .
- ( ٦ ) منقوبات اصول الطائفة القرآنية للدكتور طه محمد - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد ٣٠ ج ٢ ص ٦٣٥ - ٦٤٦ .
- ( ٧ ) يحقه المشار اليه ص ٦٤٠ .
- ( ٨ ) كتب الضاد والفاء عند الدارسين العرب - ص ٦٠٨ .
- ( ٩ ) شرح المقدمة الجزرية لركوب الانصاري - علق عليه محمد غياث الصباغ - جدة - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، ١٩٩١ م ( ص ٧٠ - ٧٦ ) .
- ( ١٠ ) كان المرحوم د . محمد جمال الدين قد نشر مختصراً من هذا الشرح في مجلة البلاغ المراقبة - العدد الثاني - السنة الثالثة ( ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ) ص ٥٨ - ٦٠ وهي نشرة مختصرة بالغة الاخلال .
- عن سيرة الناظم واثاره لتظفر المصادر التالية :
- تاريخ الادب العربي - بروكلمان - الترجمة العربية ٢٧٥ / ٥ - ٢٩٦ و ١٨٥
- المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع : محمد عيسى صالحية ١٧ / ٥ - ٢١ .
- دائرة المعارف الاسلامية ، هوتسما وولفاؤه - الطبعة العربية الثانية ١ / ٢٨٦ - ٢٨٨ ، حذر ترجمته محمد بن ابي شنب .
- مفتاح السعادة ومصباح السعادة : احمد بن مصطفى الشهبز بطاش الكبرى زاده ١ / ١٣٦ - ١٢٨ .
- الغلاكة والمطلوكون : احمد بن علي الدلجي ص ٨٦ - ٨٧ .

## بيتان في ظلات القبر مشروح

من كلام الشيخ جمال الدين المصنف رحمه الله برحمته

قال الشيخ الامام جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي رحمه الله تعالى :

هَلْ الْفَلَيْطُ الظُّلُومُ الْفَلْطُ شَوْطُ ظِلِّ  
فَالْمَا كَلَمِنْ وَطَاهِرُ ظَاهِرُ يَلْمَا  
بِحَلْطِ الْفَلْطِ وَكَلَمِ الْفَلَيْطِ ثُمَّ بِخَفَرِ (م)  
الظِّلِّ لَفْظٌ بِحَبِّ نَاقِرٍ وَغَلَا

الْقَبْلُ بِالْكَسْرِ مَمْرُوفٌ وَذَكَرَهُ مُلْكٌ عَنِ الْبَلَالِ لِأَنَّهُ جَمَعَهُ ، وَعَنْ ظَلَمَ<sup>(١)</sup> وَظَلِيلٌ لَانَهُمَا نَحْتَقَانِ مِنْهُ ، وَعَنْ ظَلَّتَانِي مِنَ الْخَوَاتِ كَانَ فَانَهَا عِبَارَةٌ عَنْ مَصَاحِبَةِ الْمَوْصُولِ الصِّفَةِ نَهَارًا كَمَصَاحِبَةِ الْجِسْمِ فَلَنَّهُ لِنَفْسِهِ أَيْضًا أَشْمَارٌ بِالظَّلِّ . وَفِي إِضَافَةِ الظِّلِّ إِلَى الْفَلَيْطِ وَهُوَ مَعْرِفَةٌ مَغَايِرِ الْفَلْطِ الْمَضَافِ ، تَنْبِيهِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمْ فِي الْكِدَاهِيَةِ مِنَ الرِّجَالِ : جَبَلُ الضَّلَالِ بِضَادٍ لِأَنَّهُ لَا تَضَافُ إِلَّا إِلَى مُنْكَرٍ غَيْرِ مَغَايِرِ لِلْمَضَافِ . وَذُبِّهَتْ بِالْفَلَيْطِ عَلَى أَنَّ مَا أَوَّلُهُ غَيْنٌ وَثَانِيَةٌ لَمْ لَا يَكُونُ آخِرُهُ ضَادٌ بَلْ طَاءٌ ، وَكَذَا كُلُّ مَا أَشْبَهَ الْفَلَيْطَ فِي سَبْقِ اللَّامِ فَهُوَ مِنَ الظَّالِمَاتِ لَا مِنَ الضَّادِيَّاتِ ، فَبِتَنَاقُلِ ذَلِكَ الْفَلْطِ ، وَاللَّحْظِ ، وَاللَّفْظِ<sup>(٢)</sup> ، وَالْدَنْظِ<sup>(٣)</sup> ، وَلَفْظِي ، وَالْإِلْفَاطِ<sup>(٤)</sup> ، وَمَا شَاكَلَهَا أَوْ ضَرَبَ مِنْهَا . وَكَذَا امْرَأَةٌ مَلْمُوظَةٌ أَيْ سَمِيَّةٌ ، وَاللَّمَاظُ وَالْمَعْنَفَةُ الْتِهَاسُ اللَّحْمِ وَالشَّرْهُ<sup>(٥)</sup> . وَالْمُؤَوِّظُ مَا يَضْرِبُ بِهِ مِنْ عَصَا وَمَا يَشْبِهُهَا<sup>(٦)</sup> . وَالْأَلْظُ وَالْمُؤَوِّظُ التَّشَدُّدُ فِي التَّقَاضِي وَالطَّرْدِ وَالْمَارَضَةِ ، وَالنَّظْمُ مَا رَفَعَ الرِّيحُ فِي الْمَاءِ مِنَ الْوَرَقِ . وَالدَّلْمَعُ الضَّخْمُ الظَّنِّيُّ الْجَوْفُ . وَالذَّبْنَمَاظُ الْوَقَافُ فِي النَّاسِ<sup>(٧)</sup> . وَالذَّنْظِي<sup>(٨)</sup> الْجَمْلُ السَّرِيعُ ، وَالْبِلْدَنْظِي اتِّبَاعُ لَهُ ، وَالْجَلْمُظُ الشَّرْهُ . وَالْجَلْفَاءُ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ . وَالْجَنْجَفَاءُ الرِّجْلُ الْأَشْمَرُ . وَالْجَلَوَاظُ سَيْفٌ عَامِرٌ بَيْنَ الطُّفُولِ<sup>(٩)</sup> . وَالْجَلْظُ قَطْعُ الشَّيْءِ تَصْفِيْنِ<sup>(١٠)</sup> . وَشُدُّ بِالضَّادِ الْخُضْمُ وَهُوَ الْفُتْلُ<sup>(١١)</sup> ، وَالْفُغُوشُ<sup>(١٢)</sup> وَالْبُلُوشُ<sup>(١٣)</sup> ابْنُ أَوْى وَاللَّاضِ وَالْمَاضِي<sup>(١٤)</sup> الدَّلِيلُ الْحَاقِقُ ، وَالْفُضْضُ<sup>(١٥)</sup> وَالْفُلْهُضَةُ ، الْقَتْعُ وَكَذَا الْفُلْضُ<sup>(١٦)</sup> ، وَالْجَلَاظُ الرَّجُلُ الْثَقِيلُ<sup>(١٧)</sup> ، وَالْفُضْضُ تَنَاقُلُ الشَّيْءِ بِالنَّسَانِ<sup>(١٨)</sup> ، وَالْجَنْظُ ضَخْمٌ<sup>(١٩)</sup> .

وَتَبَيَّنَتْ بِذِكْرِ الظُّلُومِ عَلَى مَا تَأْنِيهِ لَمْ وَتَأْنِيهِ مِمَّ لَا يَكُونُ أَوَّلُهُ ضَادٌ بَلْ طَاءٌ ، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الظُّلْمُ وَالظُّلَامُ وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهُمَا . وَالظُّلْمُ : التَّلَجُّ وَمَاءُ الْإِنْسَانِ وَبَرِيْقَتَا . وَالظُّلْمُ ذَكَرَ النَّفَامِ وَذَكَرَ بَعْضُ الْفُغُوشِيِّينَ أَنَّ ( ) بِالضَّادِ وَهُوَ غَرِيبٌ . وَفِي جَبَلِ الْفَلْطِ صِفَةُ لِلظُّلُومِ مُبْتَهَا عَلَى أَنَّ الَّذِي يَكُونُ

بِظَامٍ مِنْ هَذَا التَّأْلِيفِ شَرْطُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى مَا يَسْتَحْسِنُ وَلَا يَسْتَحْسِنُ كَالْفَلْطَةِ وَهِيَ الْجَفَاءُ وَغَلْظُ الطَّبْعِ ، وَالْفَلْطَةُ وَهِيَ مَاءٌ يَخْرُجُ مِنَ الْكَرْشِ . مَا لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الضَّادُ ( ) وَالْفَلْطَةُ وَالْإِنْفَاضُ . وَالشُّوْطُ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ ، وَذُبِّهَتْ بِذِكْرِهِ عَلَى الشُّوْطِ وَعَلَى أَنَّ مَا أَشْبَهَهُ فِي تَقْدِيمِ الشَّيْءِ فَهُوَ بِالطَّاءِ ، وَشُدُّ الْأَمْرِ شُدُّ ( )<sup>(٢٠)</sup> وَاشْدُدِ الرَّجُلَ التَّشَرُّ ، وَالذَّكْرُ كَذَلِكَ ( )<sup>(٢١)</sup> .

وَشَقَّطَهُمْ وَشَقَّطَاهُمْ فَرَّقَهُمْ ، وَشُدُّ الْعَمَلِ اسْتَمَرَّ ، وَالشُّنْظُورَةُ وَالشُّنْظُورَةُ الْقَطْعَةُ مِنَ الْجَبَلِ ( ١٠٠ ) وَالشُّنْظُورَةُ أَعْلَاهُ<sup>(٢٢)</sup> . وَالشُّنْظُورَةُ السَّيْمَةُ الْخَفِيُّ ، وَالشُّنْظُورَةُ السَّيْمَةُ<sup>(٢٣)</sup> . وَالشُّنْظُورَةُ الْمَرْكَلَةُ [ الْمَكْتَنَزَةُ لِلْحَمِّ ]<sup>(٢٤)</sup> وَاشْدُدِ الْبَيْتَ خَرَجْتَ أَمْرُهُ ( )<sup>(٢٥)</sup> وَشَقَّطَ الْمَيْشَ ضَاقَ ، وَالسَّهْمُ دَخَلَ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ ، وَالْمَكَانُ يَبِيسُ ، وَالْبَعِيرُ اسْتَدَّ جِلَاطَهُ . وَالشُّنْظُورَةُ الْفَرَسُ الطَّوِيلُ<sup>(٢٦)</sup> ، وَالشُّنْظُورَةُ الْجَمَاعُ<sup>(٢٧)</sup> وَالْمَشْطُ : الشَّدِيدُ وَالَّذِي فِيهِ مِشَاطٌ أَيْ شَطِيَّةٌ أَوْ شَوْكَةٌ . وَالْمَشِيطَةُ : الْمِشَاطُ وَغَيْرُ لَا يَدْرِي صَحْتَهُ .

وَالشُّنْظُورَةُ : الْمَنْعُ ، وَشَقَّطَهُ مَكَانُ<sup>(٢٨)</sup> . وَالشُّنْظُورَةُ : فَرَسٌ . وَالشُّنْظُورَةُ عَظْمٌ فِي الذَّرَاعِ ، وَمَصْدَرُ تَشْطِي أَيْ غَضَبٍ<sup>(٢٩)</sup> ، وَالشُّنْظُورَةُ خَرَجْتَ مِنْهُ شَطِيَّةٌ أَيْ لُطْمَةٌ حَادَّةٌ ، الشُّنْظُورَةُ أَيْ الْإِتْبَاعُ ، وَشَطِيَّةُ السَّقَاءِ ارْتَفَعَتْ قَوَائِمُهُ<sup>(٣٠)</sup> .

وَوَجَّهْتُ الْعَظْمَ تُسَرَّتْ مِنْهُ قِطْعَةٌ ، وَالْوُجَّيْظَةُ : قِطْعَةٌ مِنْ خَشَبٍ يُضَمُّ بِهَا الْقَنْذُ أَوْ يُضَيَّقُ بِهَا حُرْتُ النَّاسِ . وَالْوُجَّيْظَةُ خِلَافُ الصَّمِيمِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ . وَوُجَّيْظَتِ الْبَيْتَ جَمَاعَةً أَيْ لَحَقَتْ بِهَا<sup>(٣١)</sup> .

وَالشُّنْظُورَةُ كُلُّ جُرْفٍ ذِي مَاءٍ ، وَالْحَسَنُ الطَّوِيلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٣٢)</sup> . وَالشُّنْظُورَةُ : الْخَضَارُ<sup>(٣٣)</sup> . وَشُدُّ بِالضَّادِ مَا فِيهِ الشَّيْنُ ، الشَّمْشُ مَصْدَرُ شَفْطَةٍ إِذَا اخْتَلَفَ بِمَجَامِعِ كَلْبِهِ<sup>(٣٤)</sup> ، وَالشَّرْضُ : مَا غَلَّظَ مِنَ الْأَرْضِ<sup>(٣٥)</sup> ، وَالشَّرْوَاضُ : الْجَمْلُ الضَّخْمُ الرَّخْوُ<sup>(٣٦)</sup> ، وَالشَّرْوَاضُ شَجَرٌ<sup>(٣٧)</sup> .

وَتَبَيَّنَتْ بِقَوْلِي : « فَالْمَا لَفْظٌ وَظَاهِرٌ » عَلَى أَنَّ التَّقْدِيمَ عَلَى مِمَّ بِمَعْنَى هَمْزَةٍ أَوْ عَلَى عَيْنٍ بِمَعْنَى تَوْنٍ أَوْ عَلَى هَاءٍ بِمَعْنَى رَاءٍ لَا يَكُونُ ضَادًا بَلْ طَاءٌ ، إِلَّا مَا شُدَّ مِنْ قَوْلِهِمْ لِأَعْلَى الْجَبَلِ وَالْوَادِيَّ وَالسَّلْحَفَاةَ شَهْرٌ وَقِيلَ لِأَعْلَى الْجَبَلِ أَيْضًا ضَاهِرٌ ، فَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ بِالضَّادِ . وَأَوَّلْتُ ظَاهِرًا بَيْنَ ظَاهِرٍ وَلَفْظًا لِأَنَّهُ بِلَاكٍ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّأْلِيفَ شَرْطُهُ كَوْنُهُ بِالطَّاءِ دَلَالَةً عَلَى قُوَّةٍ وَغَلْبَةٍ ، لِأَنَّ مَعْنَى ظَاهِرٍ : عَاوَنَ ، وَالْمَعَاوَنَةُ تَسْتَلْزِمُ الْقُوَّةَ وَالْغَلْبَةَ ، وَكَذَا الْبَيْقُ فِيهِ أَشْمَارٌ بِذَاكَ . فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ

يعبر به عن السلاح و يكلاه عن الضعف . يقال فلان كثير الظفر اذا وصف بالذل والجبن . والاشعار بخروج الضفر وما مائه وصرف منه فانه بالضاد اذا لا غلبة ولا معاونه في مدلوله .

ونُيْهَتْ « بيقظ » على ان ما اوله باء وثانيه كاف لا يكون ثالثه ضاداً بل ظاء . واشرت بذكر الحفظ بكسر الحاء الى ان ما اوله حاء وثانيه فاء ، شرطه ان يكون لفظ الحفظ او صيغوا بمعناه بوجه ما .

فمن ذلك : حفظ الشيء حرسه ، والمعلم وغيره رعاةً ، وطريق حافظ : بين مستقيم ، وحافظ على الشيء ( ١ ) عليه ، وحفاظ الدابة : حبل يحميها من نزح رسنها ، وحفظ الرجل حفظاً وحفظاً وحذيقلة اذا غضب على من رام انتهاك حرمة او اهان من يجرّ عليه .

تعلم بهذا ان ما لا يشمر يحفظ ( ٢ ) فهو بالضاد . فمن ذلك حَفِظْتُ الشيء اذا حناه وكذا اذا القاه وطرحه ، ومنه سميت الجليظة التي ياوي بها النحل خبيضة ( ٣ ) لان النحل يحفظ فيها العسل اي يلقيه ( ٤ ) ، وسمي المتاع حفظاً لانه يطرح ، وسمي البعير حفظاً ( ٥ ) وهو الذي يحمل خزني المتاع ( ٦ ) .

ونُيْهَتْ بالكظم على ان ما تقدم فيه كاف وتاخر ميم لا يتوسطه ضاد بل ظاء . ونُيْهَتْ باضافة الكظم الى الفيض على معنى النقص والفيض وهو مَنَعُ النخلة ( ٧ ) ، والفيضُ الشجر المُتَلَف ( ٨ ) .

واشرت بالحظر الى ان ما اوله حاء واخره راء لا يتوسط فيه ظاء الا اذا اشمر بمنع فان لم يشمر بمنع فهو بالضاد . فالتشمر بمنع نحو حظر الشيء مَنَعُه ، ومنه قولهم للحائط جظار ، ولماوى النمل حظار وصانمها محتظر ، وللحطب الحادي

### هوامش النص الاول

- ( ١ ) فلة : ما سترك من فوك وهي المظلة يُستظل بها من الشمس .
- ( ٢ ) المُحَفِّذُ : الاخذ باللسان ما يوقى في الفم بعد الاكل .
- ( ٣ ) الدُّبُّذ : الضرب ، او الدفع في الصدر .
- ( ٤ ) الانفاذ : لزوم الشيء والمتابعة عليه .
- ( ٥ ) لعمرك : التلمظة : انتهاز المظم جزء الفم . والتلمظة : التطفل والشر . قال الشاعر :

اقببه ، ولا فخر ، فان النسي  
تقبسها قوم لعمرك

- ( ٦ ) انشد ابن الاعرابي :
- فَتَتْ لَحْيَ وَأَسْهًا ابْلُوقًا .

- ( ٧ ) اللسان مادة ( دلمظ ) عن الازهري .
- ( ٨ ) الدُّنْظِي : السلب الشديد ، والسمن من كل شيء ، والضخم .

يصنع به حظر ، وللمنجديق حظارة ( ٩ ) وللبخيل حظور . ونُيْهَتْ بذكر النُقْنُ بالفتح على ان ما ثالثه او ثانيه نونان شرط كون اوله ظاء ان يكون لفظ الظن او مشعراً بمعناه بوجه ما ، فلا يدخل في ذلك الدال على بُخْلٍ ، بل يعلم كونه وما تصرف منه او ناسبه بالضاد لا بالظاء .

ونُيْهَتْ بِـ « أَغْظِم » على ان ما اوله عين وثالثه ميم لا تتوسط فيه ضاد بل ظاء ، فدخل في ذلك « العظمة » وما اشتق منها و « العظم » وما صرف منه ولم احتز من نواذر هذا التاليف الجائية بالضاد لمعظم شهرتها وهي : المضموم : الناقة القوية . والمضموم : المرأة الاكول . والمضم : عسيب ذنب اللرس ( ١٠ ) ، والة الذري ، وخط في الجبل ( ١١ ) ، وحي من العرب ، ومصدر عضم الشيء طرده والمضام عسيب البعير . ونُيْهَتْ بتقديد الحظ بالعظم على انه بمعنى النصيب ، لان

ذلك قد عهد وصفه بالمعظم كقوله تعالى « وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ( ١٢ ) بخلاف « الحزن » بمعنى التحريض فان وصفه بالمعظم غير معهود وقيدت « الناظر » بكونه ( ١٣ ) وعوظا على انه غير الدال على الحسن والنضارة . فان ذلك لا يخص من يوعظ فهو بالضاد بخلاف الناظر بمعنى الممتبر فانه لا يراد به الا من يصح وعظه لكونه ممن يعقل . واما الناظر بمعنى المنتظر وبمعنى البصر فقد يعبر به عن ما لا يعقل لكنه قليل وكأنه لقلته لم يستعمل .

ونُيْهَتْ بِـ « وَعْظُهُ » على ان ما اوله واو وثانيه عين لا يكون اخره ضاداً بل ظاء . فقد تضمن هذان البيتان ضوابط ظات القرآن وكثيراً من ضوابط غيره والله اعلم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لكتابها ولوالديه وللمسلمين اجمعين وانقمه بالمعلم واجعله من خيار اهله [ و ] الحمد لله رب العالمين ( ١٤ ) ( ١١٠٦ )

- ( ٩ ) عامر بن الطفيل : احد فئات العرب وشمرانهم وساداتهم في الجاهلية . ادرك الاسلام وولد على رسول الله ( ﷺ ) بعد فتح مكة يريد الطبرية فلم يجرّ عليه . وعرض عليه الرسول الاسلام فاشترب شروطاً ردها الرسول ، فعاد غاضباً . ومات في طريق عودته سنة ١١ هـ وله ديوان شعر مطبوع . تنظر ترجمته في الاعلام ٢٠ / ٤ والاصابة ت ٦٥٥٠ وخزانة الادب ١ / ٤٧١ - ٤٧٤ والشعر بالمرور للصدي ص ١٥٩ - ١٦١ والمؤلف والمختلف ١٥٤ والمجبر ٣٠٣ والمعو والاعتذار للرقام ٢ / ٥١٣ .
- ( ١٠ ) الاعتضاد ص ٣٧ .
- ( ١١ ) التَّضْم : الضم واللاحاق على الرجل . قال الشاعر :

مَنَعْتُ بَنَاتِي وَنَضَعْتُ أُخْرَى  
بِرْوَ مَا كَذَا بِفُلِّ الْكِرَامِ

( ١٢ ) الفُكُوضُ : ابن أوى ( يمانية ) - عن اللسان .

( ١٣ ) والمُفُوضُ ، ابن أوى - ينظر الاعتضاد ص ٣٧ . واللسان ( غرض ) .

( ١٤ ) اللاضى والماخض : لم اظفر بهما في مراجعتي . وفي اللسان : اللضاض : الدليل الحائق . وفي زينة الفضلاء : اللضاض : الدليل هاتان اللفظتان تفرّد بهما ابن مالك .

( ١٥ ) المُفَضُّ : حركه لينزعه نحو الوند وما اشبه . ( اللسان ) .

( ١٦ ) مُفَضَّ الشيء : انتزعه كالنبت ( اللسان ) .

( ١٧ ) رجل جَلَدِيصٌ : ثَقِيلٌ وَحِم ( اللسان - جلهض ) .

( ١٨ ) نَضَضَ بلسانه اذا تناوله . لغة يمانية ( اللسان ) .

( ١٩ ) في الموضوع كلمة غير مفهومة .

( ٢٠ ) في الموضوع طمس بمقدار كلمتين .

( ٢١ ) في الموضوع طمس بمقدار كلمتين .

( ٢٢ ) في الموضوع كلمة غير مفهومة .

( ٢٣ ) في الموضوع طمس بمقدار اربع كلمات .

( ٢٤ ) في اللسان : شَنَاطِي الجبال : اعاليها واطرافها ونواحيها ،

واحداثها شَدَقْلُوه . قال الطرماح :

ففي	شَنَاطِي	أَكْبَن	دونها
غَزَاة	الطير	كصدم	النعام

( ٢٥ ) يقال امرأه شَنَطْلَان : اذا كانت سهلة الخلق سخاية .

( ٢٦ ) في الاصل : المرأه ، ويعدها كلمة غير مقروءة . وما بين

عضادتين استغلغاة من لسان العرب .

( ٢٧ ) في الموضوع طمس بمقدار ثلاث كلمات .

( ٢٨ ) الشَيْكَم : الطويل الجسم القتي من الناس والابل والخيول .

قال عنتره :

والخيول	تَقْتَحِمُ	الخَبَارَ	عَوَابِسًا
ما بين	شَيْكَمَةٍ	وَأَجْرَدَ	شَيْكَمٍ

( ٢٩ ) لم اجد لها في المعاجم ولعل في الاصل تحريفاً .

( ٣٠ ) اسم موضع في شعر حميد بن ثور :

كما انقبضت كدراء تسلسي لراحها  
بشمظلة زلها ، والمياه شمسوب

( ٣١ ) لم اجد في المعاجم .

( ٣٢ ) اللسان : شَطِي السقاء ، اذا فليء فارتفعت قوائمه .

( ٣٣ ) ينظر اللسان مادة ( وشط ) .

( ٣٤ ) اللسان : كل جُرْب فيه ماء . والطويل الحسن الخلق .

( ٣٥ ) الشكيط : قال الازهري : جوار من حَزْبٍ .

( ٣٦ ) الاعتضاد ص ٣٦ .

( ٣٧ ) التاج : الشَرَضُ ما غَطَّت من الارض .

( ٣٨ ) اللسان : جمل شَبَواضٍ ، يَحْمُ ضَمٌّ ، لَمَّا كَانَ ضِعْماً ذا قصرة

عظيمة وهو صلب فهو جَرَواض .

( ٣٩ ) القِرطَراض : لم اجد في المعاجم . وفي التاج : قال الليث

القِرطَراضُ شجر بالجزيرة . وانكره الازهري قال ويقال انها كلمة

معابه .

وقال الصاغاني لم اجد هذا اللفظ في خماسي كتاب الليث من

حرف السين .

( ٤٠ ) في الموضوع طمس بمقدار كلمة .

( ٤١ ) طمس بمقدار كلمتين .

( ٤٢ ) ينظر الاعتضاد ص ٦٥ .

( ٤٣ ) اللسان : قال ابن الاعرابي : الحطض قماش البيت ويرد

المتاع ورداله والذي يحمل ذلك عليه من الابل حطض ، ولا يكاد يكون

ذلك الا زُذال الابل ومنه سمي البعير الذي يحمله حطضاً به . ويعدها

في الاصل المخطوط طمس بمقدار سبع كلمات .

( ٤٤ ) ما بين عضادتين استغلغاة من اللسان .

( ٤٥ ) اللسان مادة ( غيض ) .

( ٤٦ ) اللسان : الطُفُضة : الاجمة ، ومبيض ماء يجمع فينبث فيه

الشجر وجمعها غياض والغياض .

( ٤٧ ) الاعتضاد ص ٥٨ .

( ٤٨ ) اللسان : المعظم : عسيب الفرس ، اصل ذئبه .

( ٤٩ ) اللسان : المعظم خط في الجبل يخالف سائر لونه .

( ٥٠ ) الآية رقم ٣٥ ي سورة فصلت رقم ٤١ .

( ٥١ ) في الموضوع طمس بمقدار كلمة .

( ٥٢ ) الى جانبها كلام بخطهاير هذا نصه « تمت المقدمة والحمد

لله تعالى ثالث جمادى الاخرة سنة ٧٠٧ » وهذا الكلام واضح الالهام

حبراً وخطاً .

\*

١٠٧ - مجلة المورد العدد الاول لسنة ١٩٩٩

وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ  
وَقَدْ لِي قَلْبٌ (٢٢) وَتَمَّ كَلِمَ الْبَيْتِ

وَأَنْتَ كَرَامٌ (٢٢) وَلِلَّامَةِ الْبَيْتِ (٢٢) وَلِيهِ شَقِيَّةٌ وَلَمَّا قَامَ (٢٢)  
وَتَلَّاهُوتُ (٢٢) بِالْحَقِيرَةِ (٢٢) وَالْمُظْلَمِ (٢٢) ثُمَّ الظُّلُمَاتِ (٢٢) وَالْمُفْتَازِ (٢٢)  
وَلَقَدْ (٢٢) الْوَهْمِيَّتَيْنِ (٢٢) مَعَ النِّقَامِ (٢٢) وَالْخَطَرِ (٢٢) بَعْدَهُ وَكَطَافًا (٢٢)  
تَمَّتْ وَهِيَ سَبْعَةٌ وَتَحْشَرُونَ بِهَا نَقْلَتَهَا مِنْ نَسْخَةٍ سَلِيمَةٍ ،  
وَفِيهَا الْفَافُ مَكْرُورَةٌ .

## هوامش النص الثاني

- ( ٢٤ ) العظا : جمع عظام . ( ٢٤ مكرر ) الاظفار : ضرب من العطر ، واحده ظفر .
- ( ٢٥ ) التشقي : التشقق .
- ( ٢٦ ) انقطنون : شجر من المضا . والمنظوان : الطويل ايضا .
- ( ٢٧ ) الظرابين : دويبة .
- ( ٢٨ ) المنظانات : جمع مظنة وهي موضع الشيء وماله .
- ( ٢٩ ) الضماد : عود .
- ( ٤٠ ) الجسم : سوء الخلق .
- ( ٤١ ) الجحظ : كبير العين .
- ( ٤٢ ) الجؤاد : الاكل والدليل خلقاً وخلقاً .
- ( ٤٣ ) الجمطري : القصر الوجلين العظيم الجسم مع قوة وشدة اكل .
- وقال ثعلب : هو المتكبر الجاني عن الموعظة . وقال الزهري : النبؤ الكافر .
- ( ٤٤ ) الكهظاب : داء يصيب الابل . والصياح والجلبة . والظبطاب : كلام الموعد بشي .
- ( ٤٥ ) الظنبوب : حرف الساق .
- ( ٤٦ ) الاحفاظ : مصدر احفظ .
- ( ٤٧ ) الظفر : ذكر القردان .
- ( ٤٨ ) الظروزي : الظريف .
- ( ٤٩ ) الظاب : الخرب .
- ( ٥٠ ) ظهران : وسط الشيء .
- ( ٥١ ) الارعاط : موضع نصل السهم .
- ( ٥٢ ) الوشيخ : الخدم والاتباع والاحلاف والسطة ، ويقال : هم وشيخة في قومهم اي هم حشودهم . والوشيفة : قطعة خشب يشعب بها القدح . وهي ايضا قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .
- ( ٥٣ ) الوطف : الطرد .
- ( ٥٤ ) المحظور : المنوع .
- ( ٥٥ ) الجنظيان : والحنظليان ( بالحاء والحاء ) يقال للرجل اذا كان حاشأ .
- ( ٥٦ ) الانكاد : المجلة .
- ( ٥٧ ) البشظير : الطاحش الشيء الخلق .
- ( ٥٨ ) القارظ : الذي يجمع القرظ ويجتنبه ، والقرظ : شجر يدبغ به .
- ( ٥٩ ) الانلظاظ : الاحاح .
- ( ٦٠ ) الضلطي : نواتي الجبل .

- ( ١ ) اللظي : الدار .
- ( ٢ ) التقريظ : المدح .
- ( ٣ ) الظلم : ماء الاسنان .
- ( ٤ ) الخد : زمان البر او شجرة وهو ينؤز ولا يعمد وتاكله النحل فيجود غسلاً عليها .
- ( ٥ ) حنظب : ذكر الخنافس .
- ( ٦ ) شواظ : لهب دار بلادخان .
- ( ٧ ) ظل يعمل : ظل نهاره يعمل كذا وكذا يظل ظلاً وظللاً وظللت اذا وظلت وظلت ، لا يقال ذلك الا في النهار .
- ( ٨ ) ظرف : وعاء .
- ( ٩ ) الانماط : قيام الذكر .
- ( ١٠ ) باهظ : ثقل .
- ( ١١ ) شظلم : طويل .
- ( ١٢ ) عكاظ : السوق المعروفة .
- ( ١٣ ) اظل البعير : باطن حقه ، اي ما تحت منسم البعير .
- ( ١٤ ) البهظ : ماء الفحل ، المني .
- ( ١٥ ) والبظر : الخاتم وكل ثاب يظر .
- ( ١٦ ) الدغظ : إهاب الذكر كنه في فرج المرأة .
- ( ١٧ ) اكتياط : تضايق .
- ( ١٨ ) ظهير : شعاون .
- ( ١٩ ) ظالع : حامز .
- ( ٢٠ ) ظراب : حجارة محددة ، الزبوة .
- ( ٢١ ) ظليم : ذكر النعام .
- ( ٢٢ ) الظلة : ما استظللت به من سحاب او غيره .
- ( ٢٣ ) لحاظ : جمع لحظ .
- ( ٢٤ ) الشظي : عظم لاصق بالرؤفة . والشظي : انشلاق المصعب .
- ( ٢٥ ) الوظيف : فوق الوسع .
- ( ٢٦ ) الذظ : الدفع .
- ( ٢٧ ) الظنر : الدابة .
- ( ٢٨ ) والظ : لازم .
- ( ٢٩ ) الجنماد : المنشخط عند الطعام .
- ( ٣٠ ) لظيع : عظيم .
- ( ٣١ ) غظب : ذكر الجواد .
- ( ٣٢ ) الظبي : جمع ظبية .
- ( ٣٣ ) الحظ : بالفتح والكسر مع القصر بمعنى : الضمير .

( ٨٠ ) الطهاز من النساء . قول الرجل لامراته انت علي كظهراسي ، وكان الطهازي في الجاهلية طلاقاً . فلما جاء الاسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من طاهر من امراته .  
 ( ٨١ ) الضلف : شدة العيش .  
 ( ٨٢ ) العطب : مژ شرحها .  
 ( ٨٣ ) عذت الحروب : الغنى : الشدة في الحرب .  
 ( ٨٤ ) مائله مماثلة ومطافها : خاصمه وشاتمته وشاره ونازعه ولا يكون ذلك الا مقابلة منهما .  
 ( ٨٥ ) إسبغ : هي ما لم اجدتها في المعاجم بالطاء . لكنني وجدتها بالطاء .  
 واسبطر : اضجع وامتد واسرع .  
 ( ٨٦ ) القيان : ياسمين النير .  
 ( ٨٧ ) ما بين الاشتقاقين من المرأة .  
 ( ٨٨ ) اللط والتمط : اخذ باللسان ما يبقى في الفم بعد الاكل .  
 واسم ما بقي في الفم التماسكة .  
 ( ٨٩ ) تظاهر القوم : تكابروا كانه ولي كل واحد منهم ظهوره الى صاحبه .  
 ( ٩٠ ) الحظيرة : الموضع الذي يحاط عليه لتأوي اليه الغنم والابل يقيها البرد والريح .  
 ( ٩١ ) المظلم : عصارة بعض الشجر . وصبغ احمر هو الوسمة .  
 ( ٩٢ ) الطليقات : الخشبيات الاربعة اللواتي يكن على جنبي البعير تصيب اطرافها السلي الارض اذا وضعت عليها .  
 ( ٩٣ ) القيط : الغضب . المتناظر : الضبيان .  
 ( ٩٤ ) اللغز : ان ترمي بشيء كان في فيه . والفعل : لفظ الشيء .  
 ( ٩٥ ) الوظيفتين : الوظيفة من كل شيء ، ما يقدر له في كل يوم من رزق او طعام او علف او شراب .  
 ( ٩٦ ) النظام : ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره . وكل شعبة منه اصل نظام . ونظام كل امر ملائمة .  
 ( ٩٧ ) الكنظر : الغرض الذي فيه وتر القوس . وشحم الكتبتين المحيط بهما . وحرف الفرج .  
 ( ٩٨ ) الكفلاط : الامتلاء . والكفلاط : طول الملازمة على الشدة .  
 والكفلاط في الحرب : الضيق عند المعركة .

( ٦١ ) الكفلاط : التلازم في الشداد من الكلاب والسيباع والجراد وغير ذلك مما يتلازم في الشداد وينتشب . وتماثلت : لزم بعضها بعضاً في الشداد .  
 ( ٦٢ ) غطب الطائر : حركه زمكاه بسرعة .  
 ( ٦٣ ) الوكظ : الدفع .  
 ( ٦٤ ) الاوشاد : جمع وشهد وهو التابع والجلف والخسيس من الناس .  
 ( ٦٥ ) الخلفي : الفعل ، واحداثها حظاة .  
 ( ٦٦ ) الخطل : شجرة الرجل على المرأة ومنعه ايها من التصرف . يحفل : يضيّق ويحجر .  
 ( ٦٧ ) دلاط : دلفه في صدره او خربة ودلف : مژ فاسرع .  
 ( ٦٨ ) الفط : الخبز الكدام ، الطليط . وماء الكرش يمتصر فيشرب منه عند عوز الماء في الطلوات ، وبه شبه الرجل اللف الطليط للفظه .  
 ( ٦٩ ) الفطيل : ماء المرأة او الدحل . وقال كراع : الفطيل ماء الدحل في رحم المرأة .  
 ( ٧٠ ) اللطام : البحر يلفظ الشيء اي يرمي به الى الساحل . وقيل يعنون الديك لانه يلفظ بما في فيه الى الدجاج . وكل ما رقى فزحه لافظه .  
 ( ٧١ ) الفطيل : المؤقت المشد قال تعالى ( واخذن منكم ميثاقاً غليظاً ) . وقيل : عند المهر . واللفظ : ضد الرقة في الطبع والفعل والمنطق والعيش .  
 ( ٧٢ ) وهو في غلظه : اي في ذراه وكنفه .  
 ( ٧٣ ) خفاط : اخذ الرجل اذا استرخى بطنه وانحال اي السمين .  
 ( ٧٤ ) دلف : مژ فاسرع ، عن السراي ، وكذلك الدلفي الجمل السريع منه وقيل هو السمين ، وقيل : هو الفطيل الشديد .  
 ( ٧٥ ) مژ شرحها .  
 ( ٧٦ ) القام : الشلف . وقد طام مني اذا تزوجت انت امرأة وتزوج هو اختها . والقام ( بلا همز ) الكلام والجلبة .  
 ( ٧٧ ) الخلف : خشونة في الكلام . ورجل فذ : بين الخفاطة والخلف .  
 ( ٧٨ ) في الاصل المخطوط : وكشيك : والشيك . يقال : تكلمت يدي شقية من اللثة تشبهها شيئاً : دخلت فيها .  
 ( ٧٩ ) كاطم : الكظم : اجترع الفيد . قال الله تعالى ( والكافمين الفيد ) .

## ثبت المصادر والمراجع

بليغة الرعاية في طبقات اللطويين والنحاة - السيوطي - حققها محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٦٤ .  
 البليغة في تاريخ ائمة اللغة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - حققه محمد المصري - دمشق ١٩٧٢ .  
 تاج المروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الزبيدي . منشورات مكتبة الحياة - بيروت .  
 تاريخ الادب العربي - بريكتان - ترجمة رمضان عبد التواب - الجزء الخامس . دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .  
 تحفة المودد في المصور والمديد - ابن مالك - بنيل كتاب « اكمال الاعلام بتكليات الكلام » تصحيح احمد بن الامين الشنقيطي - القاهرة ١٣٢٩ هـ .  
 تسهيل الموائد وتكميل المقاصد - ابن مالك - حققه محمد كامل بركات القاهرة ١٩٦٧ .

الاصابة في تمييز الصحابة : احمد بن علي بن حجر المسكلاي - طبعة بالاولست عن الطبعة الاولى الصادرة في مصر سنة ١٣٢٨ هـ .  
 الاعتقاد : ابن مالك - حققه طه حسين وتوالت - النجف ١٩٧٢ .  
 الاعلام : خير الدين الزركلي - ط ٢ - القاهرة .  
 اكمال الاعلام بتكليات الكلام : ابن مالك - حققه سعد بن حمدان العامدي - جدة - ١٩٨٤ .  
 الانفة المسماة « الخلاصة في النحو » - ابن مالك - حققها محمد مفيد الخنيسي - دمشق ١٩٧٨ .  
 انباه الرواة على انباه النحاة : علي بن يوسف القلطي - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٠ .  
 البداية والنهاية : ابو الفداء الحافظ ابن كثير - ط ١ - ١٩٦٦ - مكتبة المعارف في بيروت ومكتبة النصر بالرياض .

خزانة الادب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر بن عمر البغدادي - القاهرة .  
 دائرة المعارف الاسلامية : هوتسما وفنسك ورفقالتها - ط ١ - مصر ١٩٢٢ .  
 ديوان حميد بن تون الهلالي : تحقيق عبد العزيز الميموني - طبعة معصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - الدار القومية للطباعة - القاهرة ١٩٦٥ .  
 ديوان الطرماح : حققه عزة حسن - دمشق - مطبوعات مديرية احياء التراث القديم - ١٩٦٨ .  
 ديوان عنفزة : حققه محمد سعيد مولوي - الكتب الاسلامي - بيروت .  
 ذيل مرآة الزمان : موسى بن محمد اليوناني - الطبعة الاولى - دائرة المعارف العثمانية بدمشق - الدكن - الهند - ١٩٦١ .  
 زينة الفضلاء في الفرب بين الضاد والطاء : ابو البركات عبد الرحمن ابن الانباري - حققه رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١ .  
 السلوك لمروعة نول الملوك : احمد بن علي المغربي - حققه محمد مصطفى زيادة - الجزء الاول - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط ٢ - ١٩٥٦ .  
 صبح اعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي - الجزء الثامن عشر : حققه شبيب الانطاوي ومحمد نصير المرغوسي - ط ٣ - ١٩٨٦ .  
 شتراك الذهب في اخبار من ذهب : عبد الحي العماد الحلبي - المكتب التجاري ببيروت .  
 شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافظ - ابن مالك - حققه عثمان عبد الرحمن الغوري - بغداد - ١٩٧٧ م .  
 شرح الكافية الشافية - ابن مالك - حققه عبد الملمم احمد هويدي - مكة المكرمة - جامعة ام القرى .  
 شرح المقدمة الجزرية : زكريا الانصاري - علق عليه محمد غياث الصباح - جدة - الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن - ١٩٩١ م .  
 شرح النظم الاوجيزي وما لا يهمل : ابن مالك - حققه علي حسين البواب - الرياض ١٩٨٤ .  
 الشعور بالعمور : صلاح الدين الصفدي - حققه عبد الرزاق حسن - عمان - الاردن ١٩٨٨ .  
 شواهد التوضيح والتصحیح لمشكلات الجامع الصحيح : حققه طه محسن - بغداد ١٩٨٥ .  
 طبقات الشافعية الكبرى : عبد الوهاب بن علي السبكي - تحقيق محمود الطناحي - وعبد الفتاح الحلو - الجزء الثامن - القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٧٤ .  
 طبقات النحاة واللغويين - ابن قاضي شهاب - قسم المحدثين - تحقيق محسن غياض - الدجف .  
 المير في خير من غير : الحافظ الذهبي .  
 الجزء الخامس بتحقيق صلاح الدين المجدد - الكويت ١٩٦٦ .  
 المغو والاعتبار : محمد بن عمران العبدي المعروف بالرقام البصري - حققه



عبد القنوس ابو صالح - الرياض ١٩٨١ .  
 نهاية النهاية في طبقات القراء - شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري - علي بشره ج - برجستوار - دار الكتاب اللبناني .  
 الخلائق والمفوكون : شهاب الدين احمد بن علي الفلجي - مطبعة الاداب - النجف ١٣٨٥ هـ .  
 فوات الوفیات : محمد بن شاكر الكتبي - حققه احسان عباس - دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .  
 لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الافريقي - بيروت ١٩٦٨ .  
 مقتات الاعمال لابن مالك وزوائد البجلي - حققه سليمان النايه - المملكة العربية السعودية .  
 مجلة البلاغ - الكاشفة السعة الثالثة - العدد الثاني ١٩٧٠ .  
 مجلة مجمع اللغة العربية الاردني - العدد ٢٣ - عمان ١٩٨٧ .  
 مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٣١ ج ٢ - ١٩٨٠ .  
 مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد ٣٠ الجزء الثاني - ١٩٨٦ - الكويت .  
 مجلة كلية الدراسات الاسلامية - بغداد - العدد الرابع ١٩٧٢ .  
 مجلة المورد - المجلد الخامس عشر - العدد الثالث - بغداد - ١٩٨٦ .  
 المجيز : محمد بن حبيب : رواية ابو سعيد السكري - تحقيق ايلزة لوختن شنتير - المكتب التجاري - بيروت .  
 مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما ينبغي من حوائذ الزمان : عبد الله بن اسعد اليافعي - ط ٢ - ١٩٧٠ منشورات مؤسسة الاعلمي عن طبعة حيدر آباد ١٣٢٨ هـ .  
 المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - محمد عيسى صالحية - الجزء الخامس - القاهرة - مطبوعات معهد المخطوطات العربية - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٩٦٤ .  
 مفتاح السعادة ومصباح السيادة : احمد بن مصطفى الشهير بطايش كبري زانة - حققه كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو اللور - القاهرة - مطبعة الاستقلال .  
 الموزن والمختلف : الحسن بن بشر الامدي - حققه عبد الستار احمد فراج - القاهرة ١٩٦١ .  
 نلح الطوب من غصن الانلس الرطيب : احمد بن محمد المقرئ التلمساني - حققه احسان عباس - بيروت ١٩٦٨ م .  
 الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي - الجزء الثالث : حققه هلموت ريتز - فيسباين ١٩٦١ .



## وصف الجبل

### لابن خفاجة الأندلسي ت ٥٣٣ هـ

#### دراسة تحليلية

د. هدى شوكت بهنام

كلية التربية - قسم اللغة العربية

الجامعة المستنصرية

تمهيد :

ان وصف الطبيعة من اكثر الاغراض الشعرية سعة وتنوعاً في الادب الاندلسي لجمال البلاد الاندلسية التي اطلت بالياب الشعراء فراحوا يوظفون فيها موهبتهم لرسم وبيان جمال هذه الطبيعة ، حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم .

وابن خفاجة واحد من شعراء جملوا الطبيعة همهم الاول واهلهم الشاغل ، فصارت لديه مفترشاً ومتكأ لكل فنه الشعري مهما اختلفت موضوعاته وتباينت اغراضه . وقد تميز ابن خفاجة بقصيدة وصف الجبل حين جعل الجبل مشاركاً لآلامه ومعاناته واخذ النمطة والاعتبار من شموخه ورسوخه .

سيرة الشاعر :

حقائق في حياة ابن خفاجة :

هناك بعض الحقائق تساعد في فهم شخصية ابن خفاجة وتلقي الضوء على قصيدته في وصف الجبل :  
اولاً : ما رواه الضبي في البقية نقلاً عن بعض اشياخه « انه كان يخرج من جزيرة شقر ، وهي كانت وطنه ، في اكثر الاوقات الى بعض تلك الجبال التي تقرب من الجزيرة وحده ؛ فكان اذا صار بين جبلين نادى بأعلى صوته : يا ابراهيم تموت يعني نفسه فيجيبه الصوت ، ولا يزال كذلك حتى يخز مفضياً عليه »<sup>(١)</sup> ، وهذا ما يؤكد خوفه من الموت ومن الاحساس بالزمن .

وقبل البدء بتحليل هذه القصيدة لابد من تعريف سريع بشخصية شاعرها ؛ فهو ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفتح بن خفاجة الاندلسي من اعيان مدينة « شقر » وهي قرية قريبة من شاطبة ، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً ، وكان عالماً بالاداب ، صدرا في البلغاء ، تقم في النثر والنظم ، فابعد واجاد في فنون الشعر المعروفة من مدح وثناء وتشبيب ، وكان لا يتكسب بالشعر ، ولم يتزوج قط ، وديوان شعره<sup>(٢)</sup> مروي عنه ، متنافس فيه توفي سنة ( ٥٣٣ هـ ) وهو ابن اثنتين وثمانين سنة<sup>(٣)</sup> .

التي ألحقت على نفسيته وستبين واضحة في قصيدته ( موضوع الدراسة ) إذ تجاوز بها كل ما قاله في شعر الطبيعة ، فوفقت إزاء الطبيعة والفناء مما - كما يراها د . احسان عباس - تفاعلاً عاطفياً جديداً قائماً على الرؤية العميقة وعلى التشخيص مما<sup>(١٧)</sup> . قال ابن خفاجة في وصف الجبل والاستعبار منه :

بعيشك هل تدري أهوج الجنائب  
تخبط برحلي ام ظهور الجنائب  
لما لُحُث في أولى المشارق كوكبا  
فاشرقت حتى جُبْتُ اُخرى المفاير  
وحيدا تهاداني الفيافي فاجتلي  
وجوه المنايا في قناع الفياهير  
ولا جَسَّاز الا من خُسمام مُصمِم  
ولا دار الا في قتلود الرُكائب  
ولا أنش الا ان أضاحك ساعة  
تفوز الاماني في وجوه المطالب  
بليل اذا ما قلت قد بان فانقض  
تكشف عن زعي من الظن كاذب  
سحبث السدياجي فيه سود ذواب  
لاعتق الامال بيض تـرائب  
فمرقت جيب الليل عن شخص اطلس  
تطفغ وضاح المضاحك قاطب  
رايت به قطعاً من الحجر اغبشا  
تأمل عن نجم توقد ثاقب  
وارعن طفاح الذواب باذخ  
يطاول اعنان السماء بفارب  
نَسُدُّ مهبّ الريح عن كل وجهة  
ويزحم ليلاً شهنة بالمناكب  
وقوز على ظهر الفلاة كأنه  
طوال الليالي مُطرق في العواقب  
يلوث عليه الغيم سود عمائم  
لها من وميض البرق خُمز ذواب  
اصحث اليه وهو اخبرش صامت  
فحسذني ليل الشرى بالمعائب  
وقال الا كم كئث ملجا فساتك  
وموطن اواه تبثل تائب  
وكم نسر بي من مُذلج ومؤب  
وقال بظلي من مطي وراكب  
ولاظم من نكب الزياح معاطي  
وزاحم من خضر البحار جواتي

ثانياً : انه لم يمدح احداً في عهد ملوك الطوائف الذي نشأ فيه المعتصم بن صمانح الا قصيدة واحدة ، وانه عاش مكتفياً حتى اذا أقبل عهد الماريطين قام بمدحهم بشعر مستفيض منكراً ايأهم بأمرة ومتشبيهاً بالبايزين منهم . ومن هذا نجد في حياته مرحلتين : الاولى : عكوفه على المجون وحياة اللهو التي ابتعد فيها عن نوي الجاه والسلطة ، والثانية : تنسكه وتويته وفيها احتش بضعفه البشري فتملق برجال الدولة مع مروره بمرحلة توقفت فيها عن قول الشعر ، وتتفق عودته الى النظم مع دخول الامير ابن تاشفين ، وهذا تتفق موبهته عن قصائد كثيفة ومطولات جاء اكثرها في فترة انبعاث قريحته .

ثالثاً : ان انبعاثات : لخارجية في شعره جاءت مجتمعة لديه متفرقة ومجزأة لدى غيره من الشعراء ، مع تفرده ببعض المؤثرات الاخرى ، فقد انفرد في تأثره بمبد المحسن السوري في بناء القصيدة كلها على الجناس الناقص ، ولعله قد تأثر ببعض اشعار الصوري - وان لم يذكر ذلك - لكنه ذكر انه تأثر بمهيار الديلمي في الاشارات الى الاماكن النجدية والحجازية ، وادرك طريقة المتنبّي في لف الغزل بالحامسة ، وهذه المؤثرات تدفع بمثلها الى محاولة الاستقلال والابداع<sup>(١٨)</sup> .

رابعاً : استفلاله للطبيعة في شعره مملاً ذلك في مقدمة ديوانه ومشيراً الى نفسه بضمير الغائب ، اكثر هذا الرجل في شعره من وصف زهرة ونعت شجرة وجري ماء ونة طائر ما هو الا لانه كان جانحاً الى هذه الموصونات لطبيعة فطر عليها وجيلة ، واما لان الجزيرة كانت داره وملشاه وقراره ، وحسبك من ماء سائح وطير صائح ، ويطاح عريضة وارض اريضة فلم يعم هذاك ، من ذلك ما يبعث مع الساعات أنسه ، ويحرك الى القول نفسه ، حتى غلب عليه حب ذلك الامر ، فصار قوله فيه عن كلف لا تكلف ، مع الاقتناع قام مقام اتساع ، فاغناه عن تبذل وانتجاع<sup>(١٩)</sup> ، فانقطع الى رؤية الجمال في الطبيعة مستغنياً عن التمسك بالوزن ، فحب الطبيعة اما في جبلته او اثر من جمال الطبيعة المحيطة به . ونتيجة لصلته الماساوية بالطبيعة اصبحت لديه متكا للموضوعات الاخرى من مدح وثناء وغيرهما ، مع تقلل صورتين بارزتين في شعره : صورة الفرس والبحر بين الاثنين من قوة وعنف وحويية وتوثب<sup>(٢٠)</sup> ، وسببر آثار هذه القوة والتوثب خلال بعض صوره في قصيدة الجبل كوصفه بالارعن وتكر بعض صور البحار والريح وتزاحم النجوم - كما سنرى ذلك عند تحليل القصيدة .

خامساً : ان شعره الذي ضمه الديوان قد جمعه في آخر حياته نزولاً عند رغبة بعض اخوانه ، وقد اضفى عليه بنفسه تغييرات واصلاحات ( لاستفادة معنى او لاستعادة مبنى ) . ويتبين مما سبق صلة الطبيعة عنده بالمعبرة او بمشكلة الفناء

فما كان إلا أن طوتهم يدُ الزدى  
وطارت بهم ريحُ النوى والنوائب  
فما خفقَ أيكي غمزَ رجلة أضلع  
ولا نوحَ وُرقى غمزَ صرخة نادب  
وما غيظُ الشموان دمي وانما  
نزفتُ دموعي في فراق الاصحاب  
فحتى متى أبقي ويظعنُ صاحب  
أودعَ مذ. ه راحلاً غيرَ أيب  
وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً  
لمن طالع آخرى الليالي وغارب  
فرحماك يامولاي دعوة ضارع  
يمدُ الى نعماك راحة راعب  
فاسمغني من وعظه كل عبوة  
يترجمها عنه لسان التجارب  
فسلى بما أبكى وسرى بما شجا  
وكان على ليل السرى خير صاحب  
وقلت وقد تكثت عنه بطيئة  
سلاماً فإننا من مقيم وذاهب<sup>(١)</sup>  
تحليل القصيدة :

١ - [بعيتك هل تدري أهوج الجنائب  
تخب برحلي ام ظهور الجنائب ]  
يمكن تقسيم هذه القصيدة التي تتألف من ستة وعشرين بيتاً  
على ثلاثة اقسام : مسيرة الشاعر ومناجاة الليل تعبيراً عن وحدته ،  
وصف الجبل ومحاورته ، الاستعبار .  
يبدأ الشاعر ضمن القسم الاول - قصيدته بقسم ( بعيتك )  
موجه الى مخاطب لم يحدده ليعط نصائحه في الحكمة والاستعبار  
لكل شخص يمكن ان يتعظ بهذه القصيدة التي تشكل خلاصة  
تجاربه في الحياة ، مع نوع من الاستقرب المصحوب بالمسائلة  
والحلف بمسألة عزيزة هي عيش الانسان وهذا نوع من الخطاب  
مالوف في القصائد العربية ، كما نقول بمعرك ، بحياتك ، وهنا يقول  
( بعيتك ) ، وقد يقال وعيتك ، ويستفهم من الخطاب هل رياح  
الجنوب السريعة الهوجاء تعصف بجماله ام ان هذا ميلان ظهور  
هذه الجمال .

والشاعر هنا استخدم الخبيب وهو ضرب من المشي والعدو  
استعاره للريح للدلالة على سرعتها ، كما استخدم الجناس في  
الجنائب والجنائب ، والتشبيه المفرد في الجنائب ، ثم وصف الابل  
بانها نجبية .

والسؤال هنا : شاعر اندلسي من القرن السادس الهجري لم

يترك تقليد القصائد العربية في افتتاحها بذكر الرحلة قبل التخلص  
الى موضوعه الرئيس وهو الاستعبار ؟ لان ذكر الرحلة فيه حنين  
وشوق وحزن وهو اقرب الى ذكر رحلة الشاعر العربي في المشرق على  
الرغم من ان الشاعر الاندلسي لم يمت في الصحراء ولم يشهدها ،  
وعلى الرغم من بعده عنها تجده في موضوع يتصل بكوامن النفس  
وجيشانها واستلهاهم الاحزان يعود الى موضوع تقليدي قديم ، وقد  
يكون الشاعر ابن خفاجة - وهو الشاعر الاندلسي المتميز - يبحث  
عن النموذج الفني الذي تقاس به جودة القصائد العربية ، وهو  
ايراد المقدمات التقليدية في افتتاح القصائد ، اذ ظل هذا الانموذج  
الفني الى المصور الاندلسية المتأخرة ينظم به شعراء الاندلس  
وغيرهم من شعراء العربية .

٢ - [ فما لحت في اولى المشارق كوكبا

فاشرقت حتى جبت اخسرى المضارب ]  
إن الشاعر في هذا البيت ثعب تائه في الطريق ، فيسم صورة  
مبالغة - كما هي عادة الشعراء - بأنه ما إن رأى اول الكواكب من  
ناحية المشرق واستبشر لكونه سيهتدي به في طريقه فقال  
[ فاشرقت ] حين استعار لفرحته الاشرار حتى تجده قد تاه في  
طريق واسعة لان هذا الكون لم يوصله الى ضالته ، بل استمر في  
ضياعه حتى وصل الى آخر كوكب في المغرب فما بين اول كوكب في  
المشرق وآخر كوكب في المغرب لم يستطع ان يجد طريقه النائية  
الضائعة ، واستخدامه مفردة [ لحت ] كانت دليل فرحة التائه  
السريعة باول امل للخلاص ، وعبرة [ حتى جبت ] كانت دليل  
خيبة الفاشل السريعة بضياع الخلاص ، فقد اجاد الشاعر هنا في  
التعبير عن نفسيته القلقة الحائرة الضائعة التي تنشده الخلاص  
فلا تجده كما اجاد في التعبير عن حالتي الفرح السريع والحزن  
السريع ، مضيئاً اليهما عنصر الطباق في المشارق والمغرب .

٣ - [ وحيداً تهاداني الفياحي فاجتلي

وجوه المنايا في قناع الفياهب ]  
ثم يعبر الشاعر بصراحة بأنه وحيد في هذه الصحارى  
( الفياحي ) فقال [ فاجتلي ] اي فيكشف عن وجوه متقنعة  
بالظلمة فاستعار صفة انسانية للمنية وهي وجوه ، ليكشف عن  
الموت المحتم في هذه الظلمة كما استخدم المجاز والتشخيص في  
تهاداني الفياحي واستعار القناع للفياهب .

٤ - [ ولا جاز ألا من حُسام مصم

ولا داز ألا في قتود الـركائب ]  
ويعود ابن خفاجة ليؤكد وحدته في هذه الصحراء ، فلا جاره  
ألا حسام اخرس اصم ، ولا داره ألا خشب الرحل ، فهو وحيد من  
كل ناحية ، ويستخدم لمعناه اسلوب القصر ليزيد من صورة الوحدة  
التي يعيشها .

٦ - [ ولا أدنى ألا ان اضحك ساعة

تأسور الاصماني في وجود المصائب ]  
وزيد هذا الأسلوب في البيت التالي ليتحدث عن انيسه  
[ وهو اصمانيه ، فاستعار [ الثغر ] ليشخص هذه الاماني ،  
[ المصائب ] في الرجوع [ للمصائب فكون منها تشبيه صورة ، وهنا  
[ المصائب ] لانه لا توجد الامور معنوية غير محسوسة ، فيضاحك  
[ المصائب ] لانه لا توجد الامور معنوية غير محسوسة ، فيسقط  
[ المصائب ] لانها لا توجد الامور معنوية غير محسوسة .

٧ - [ يسل اذا عايت قد باد فانقصي

تكشف عن وعد من الظن كاذب ]  
ثم بعد ان اصابه هذه بانقضاء الليل الطويل وظهور الصباح ،  
فيقول [ ليل ليله الذي ما ان يظن انه انقضى حتى يجده جائماً  
ومروراً ] . كان الليل عنده انساناً يتمنى ان يبيد وينتهي ،  
ويجده في صفة انسانية اخرى هي كذب الوعد ، واي وعد ؟ إنه وعد  
بداء في ظنه هو ولم يكن موجوداً أصلاً ليمني نفسه بقرب انتهاء  
الليل .

٨ - [ سحبت الدياجي فيه سود نوائب

لاعتق الامسسال بيض ثرائب ]  
ويؤكد الشاعر معاناته في وحدته التي اطالت ليله ، فيقول  
سحبت السواد والظلمة لاجعلهما سواد شبابي لتكون املاً في  
متجري وكهولتي ، فرسم بذلك صورة تضاد : ففي سواد الشعر امل  
بنيء حياته ، كما ان الشيب يشرق ويضيء بلونه فقط ، فقد اراد  
ان يجعل من سواد الدياجي املاً يتبر له حياته في ايام الكبر ، وقد  
ساعدته في رسم صورته مجانسته بين ( نوائب وثرائب )  
ومطابقته بين ( سود وبيض ) مكنياً بذلك عن ايام الشباب التي  
يكون فيها شعر الانسان اسود ، وعن ايام المشيب التي يكون فيها  
شعر الانسان ابيض ، كما انه جسد الامال واعطاها صفة انسانية  
وقال ليعتقها اي ليليسها في عنقه اي ليمسك بها فتعيه في  
تجربته هذه ، وذكره للنوائب اراد به ريمان الشباب لأن اول  
ما يبيض في شعر رأس الانسان هو الذؤابة فانما ما نانت سوداء  
اللون يعني ان المرء في عز شبابه .

٩ - [ فمزقت جيب الليل عن شخص اطلبي

تطلّع وضاح المضاحك قاطب ]  
ويقول ان هذه الامال ، وهذا السواد الذي ارتته املاً في حين  
مرّفته [ وهنا استخدم الفعل مرقى ] ليل على قوة معاناته وغضبه  
وحزنه من وحدته وآلامه ، والذي يمزق جيبه هو من يبلغ به  
الغضب واليأس حدّاً كبيراً يعجز معه عن عمل اي شيء فيمزق  
ملابسه ليفرق كبته ومعاناته ، فمزق هنا الليل اي حين حاول

القضاء على ظلمة حياته ظهر له ذئب يتطلع اليه مقطباً ، ومظهر  
اسنانه ليس للمضحك ولكن ليمزقه .

وهذه صورة جميلة يرسمها الشاعر لحزنه الذي بلغ به المدى ،  
فهو حين حاول القضاء على حزنه ظهر له ذئب يحاول افتراسه  
والايقاع به ، فالكناية هنا انه هجمت عليه الاحزان والالام تنهش  
به من جديد .

ولنتأمل المقابلة في [ المضاحك ، قاطب ] فالشاعر لم يقل  
اسنانه المتقدمة او الثنايا ، وانما قال المضاحك ، ولماذا وصفها  
بالمضاحك اي التي تظهر عند الضحك ؟ وهل راه ضاحكاً ؟  
هيئات ، بل راه حزيباً يهجم عليه وهو مقطب ، فاستعار صورة  
محسوسة في ( مرقى جيب الليل ) ليقول انه حاول التقلب على  
احزانه وشبه احزانه بالذئب المتطلع المقطب المظهر لاسنانه ،  
المتنهش للانقضاض ، وقال [ قاطب ] ولم يقل مقطباً حيث اختار  
صيغة اسم الفاعل ليل على قيامه بالفعل .

٩ - [ رأيت به قطعاً من الفجر اغبشا

تأسمل عن نجم تـوقد ثاقب ]  
ثم يتخلص الشاعر من وصف الليل الى وصف الجبل في  
المحور الثاني من القصيدة فيمهد لذلك ليقول ان هذا الليل الذي  
ظل متملاً به فترة طويلة بدأ يكشف عن الصباح ، فقد رأى فيه  
قطعاً من الفجر الذي يحتوي بقية من الليل بدليل وجود النجم  
الذي لم يغرب بمجيء الصباح لتوقده ، ويمكن ان نتلمس بعد  
ياسه بعض الامل في ليله الذي داخله ضوء الفجر وتلا في نجم  
ثابت متوقد ، فجسد الفجر ، واوقد النجم ، وجعل الليل يتأمل في  
هذا الفجر في ضوء هذا النجم ليفتشل من حزن نفسه المكبوتة  
( الذي كنى عنه بالليل ) بعض الامل في ضوء من الفجر  
والاستبشار .

١٠ - [ وارعن طفاح الذؤابة باذخ

يطاول اعنان السماء بفسار ]  
الارعن : الرعن : انف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ،  
والاهوج في منطقة الاحمق المسترخي<sup>(١)</sup> ، طمع بصره اليه كمنع :  
ارتفع ، والطفاح : الثرة<sup>(٢)</sup> .

الذؤابة : الناصية او منبتها من الرأس<sup>(٣)</sup> ، الغارب : الكاهل او  
ما بين السنام والعنق<sup>(٤)</sup> . ثم يبدأ بوصف الجبل ( في القسم  
الثاني من القصيدة ) ويقول ( وارعن ) بالفتح اي ( ورب ارعن )  
واللفظة هنا مجرورة بالفتحة بدلاً من الكسرة بدليل جز ما بعدها ،  
فهذا الجبل الطويل الثرة في علوه اي المرتفع جداً حتى انه لشدة  
علوه وكان كاهله قد وصل الى السماء ، فجسد الجبل باعطائه  
صفة جسد الانسان ، واعنان السماء : نواحيها ، والباذخ : من  
البذخ : الكبر<sup>(٥)</sup> ، فهو من علوه وطوله وارتفاعه يتافس اعنان

السما في ارتفاعها وتناولها ليصل الى هذا العلو برعونة وكأنه قد وصل في علوه هذا الى السماء .

١١ - [ يسد مهب الريح عن كل جهة

ويسرح ليلاً شبهه بالمناكب ]  
المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس العضد والكنتف ، والموضع المرتفع عن الارض ، ثم ان هذا الجبل مرتفع جداً وكأنه ملتصق بالسماء ، يسد ويحجب الريح من كل جهة شبهه ، الشهب في الالوان : البياض الغالب على السواد وهم النجم المضيء اللامع ، والشهب : الجبل علاه التاج ، وفي الليل تزحم النجوم فوقه وكأنها تصطم بمنكبه أي بأعلاه ، وهذا دليل على ارتفاعه الشديد ، وهنا يستمر المنكب وهو صفة انسانية جسدية ليستل بها على ارتفاع الجبل ، ويأخذ الفعل ( يزحم ) وهو فعل زاخر بالحركة وكان النجوم والشهب في عملية تزامح واصطدام مع اعلى الجبل وجانبه .

١٢ - [ وقور على ظهر الفلاة كأنه

طوال الليالي مطرق في المسايق ]  
وتحول الجبل هنا الى انسان وهذا ما اشتهر به ابن خفاجة في تجسيم وتشخيص الطبيعة ومحاكاتها وجملها انساناً يشاركه همومه واحزانه ، فضخامة الجبل وهيته واستقراره في مكان واحد لزمن طويل جداً جعل الشاعر يمثليه صفة الوقار ، صفة تطلق على الانسان المتزن المهيب الجانب ، فهذه الصحراء الواسعة المترامية الاطراف يقف في وسطها الجبل ثابتاً ساكناً لا يتحرك ، فهو شيخ وقور متزن متأمل في الحياة ، مفكر في عواقب الامور ، يأخذ منه العبرة في جنومه واستقراره كالمفكر ، ولم يقل مفكراً بل مطرفاً لانه قد حنى رأسه للتفكير ، فهو على الرغم من ارتفاعه الخارق محني الرأس لان قمة هذا الجبل عريضة ، فيها انحناء الى جانب من الجوانب فاخذ منها صفة المطاطيء رأسه للتفكير ، مكوناً تشبيه صورة .

١٣ - [ يلسوث عليه القيم سود عائم

لها من وميض البرق حصر نوائب ]  
ويستمر الشاعر في اعطاء صورة هذا الجبل ، فعندما تتلبد السماء بالغيوم يتكرر بياضه وصفائه بمئات سود يضيها على رأسه ، وعندما يحدث البرق ، فإن نوائب رأس هذا الشيخ ( الجبل ) الذي قد لبس المعامة السوداء تكون حمراء من وميض البرق ، فهنا اكتفى بصورة حسية في اعطاء مظهر هذا الشيخ عند المطر فاستخدم ما يضيئه الطبايق في سود - حمر ، مع استعارة صفات انسانية للجبل ليكون تشبيه صورة .

١٤ - [ اصخت اليه وهو اخرس صامت

فحدثني ليل السرى بالمعائب ]

انصت الشاعر الى الجبل على الرغم من انه جامد فشببه بالاخرس الصامت وهو على الرغم من سكوته كان معبراً ودالاً لان مسير الشاعر في الليل جملة يتخيل حديثاً ويصوت مسموع عال مع هذا الجبل ، وكانت احاديثه مليئة بالمعائب ، فاختر الالفاظ ( اصخت ) ولم يقل ( استمعت ) او ( اصفت ) ، ليمسح صوتاً عالياً ، وحدثني ليل على وجود حديث متبادل بينه وبين الليل عن هذا الجبل الصامت الوقور وما مز به من حواث ، فاختر صورة متقابلة : الصمت والحديث ، فلم يكتف بتشخيص الجبل بل ساعده في ذلك الليل ، ليل السرى خاصة الذي يسير فيه الناس فجسده بالحركة والحديث .

١٥ - [ وقال ألا كم كنت ملجأ فائك

وموطن أواه تبتل تسائب ]  
الأواه : الكثير الدعاء .

ويستمر ابن خفاجة في رسم الصور المتناقضة فهذا الجبل كان له ماض وذكريات ، فقد كان ملجأ للناس ، واي ناس ؟ فاختر انموذجين متناقضين : فهو ملجأ حصين للفائك القاتل يلجأ ويتحصن في الجبل من الاعين فيامن فيه ، وهو ايضاً موطن للزاهد الداعي ربه التائب عن ذنوبه يترك اهله وناسه ويتخذ الجبل موطناً له ويعتكف فيه ويعيش حياته ذاكراً لله داعياً إياه ومصلياً تائباً عن ذنوبه ، فاختر للفائك كلمة ( ملجأ ) وللتائب ( موطن ) مطابقتاً ومختاراً المعاني المتناقضة ورأساً تشبيه صورة .

١٦ - [ وكم مزي من ملجأ وموؤب

وقال بظلي من مطي وراكب ]  
ويستمر الجبل ايضاً في الحديث عن مزيه من نماذج الناس المختلفة التي تدعو الى الاستميار ، فقد مزيه الملجأ السائر في اول الليل ، والموؤب : من الاوب ، والتاوب : الرجوع ، والسح جميع النهار او تباري الركاب في السح<sup>(١)</sup> ، وهنا المقصود التائب الراجع الى ربه ، فقد مزيه هذا الجبل الانسان السائر في الليل والسائر في النهار فجمع بين صدين : الليل المظلم والنهار المضيء ، فالاول هو من عمل ذنباً ولجأ الى الجبل ليلاً ليحتمي فيه بدليل ذكره الموؤب وهو التائب الذي لا يخاف من ذنبه ويسير في النور ، ان الاول هو المقترف ذنباً ، فحينئذ تكون الصورة انه يمز به المذنّب والتائب ، ويستظل به المطي والراكب ليجد راحته من تعب الهاجرة ، ويرد الليل ، فيحتاج من الطريق يحوّه ويرده لذلك فالجبل ماوى لمختلف الناس ، وقد اختار الشاعر منهم المذنّب والتائب ليجمع بين نقيضين جورياً على طريقتي التي التزم بها من بداية القصيدة ، وهذا لم يقل [ استظل ] ، وانما قال [ بظلي ] أي انه ظل من الهاجرة للمطي والراكب فاختر تركيباً مختمراً ليكون ابلغ في التعمير .

١٧ - [ ولاطم من نكب الرياح معاطي

وزاحم من خضر البحار جوانبي ]

ثم يتحدث الجبل عن الرياح التي كانت تتلاطم امواجهها على سفوحه ، فاستعار المعاطف للسفوح وكأنها اودية ثقيلة على جوانب الجبل وهي خضراء يائنة استعارت خضرتها من سواحل البحار الخضراء ، اي انه جبل ناضر زاخر بالحياة ، فجوانبه خضراء والرياح تمر به ، فاختر افعالا لها حركة وحياة لتتناسب مع الصورة الحيوية التي يريد بها ، ( لاطم معاطفي من نكب الرياح ) ، اي ان الرياح تضرب بقوة تتلاطم ، ( وراحم جوانبي ) ، فالخضرة اليائنة مزدهرة وتتسع بسرعة وتتزاحم على جوانبه .

١٨ - [ فما كان ألا ان طوتهم يد الردى

وطارت بهم ريح النوى والنواب ]  
وهنا انتقل الشاعر - في قسم القصيدة الثالث - بصورة مفاجئة من صورة مليلة زاخرة بالحياة الى صورة حزينة ، فلك الحياة المزدهرة ماتت وانتهت ، فقد طوى الردى كل من مر بالجبل وريح البعاد والمصائب ابعدتهم عن طريقه ، وهنا يكمن سر حزن الجبل ، فيعد هذه الحياة الزاخرة ، والحركة التي كانت على سفوحه ممن يمر به من الناس ومن حركة الرياح ، والخضرة على سفوحه ، فتأتي الريح الناعبة ويطوي الردى ويقتل كل حياة فيه ويقول : ( طارت بهم ) ، يريد سرعة زوال هذه الحياة الجميلة في هذا الجبل ، فاستعار الطيران للريح كناية عن السرعة وجانس بين النوى والنواب .

١٩ - [ فما خفق ايكى غير رجلة أضلع

ولا نؤخ زؤقي غير صرخة نادب ]  
ثم يؤكد سرعة زوال هذه الحياة ، فما فعل الشجر حين وصله الموت غير رجفة رجفها ، والحمام لم يفعل اكثر من صرخة يندب فيها حظه ، فصرخة مجيء الموت لم يعط فرصة للحياة الموجودة على الجبل ، فقد بادرها الموت بسرعة وجرفها وقضى عليها ، ولم يكن موتاً بطيئاً ، لذلك لم تعتبر الاشجار عن خوفها إلا برجفة والحمام غير صرخة ، وقد اختار لكل شيء فعلاً مناسباً ، فاستعار للاشجار خفق القلب للتعبير عن الخوف ، ولم يطلق كلمة ( اغصان ) للآيك بل قال [ اضلع ] وجعل لها رجفة ، فهو لم يستخدم غير الصور الانسانية المحسوسة واطلقها على ما هو غير انساني ، اما الحمام فقد اختار له ( النوح ) وليس الهديل لانه موقف حزن وموت ، ولكن النوح تحول الى صرخة شخص يندب ويتنجد ، فهنا تشخيص قد بلغ شأوه في صور ابن خنطجة الاستعارية وتشبيهاته الصورية ، وصوره فيها توازن دائماً : خفق - نوح ، ايكى - وركى ، رجفة - صرخة .

٢٠ - [ وما غيض السلولان دمعي وانما

نزفت دموعي في فراق الاصاحب ]  
وبعد هذا الحزن على فقدان الحياة في هذا الجبل يرم

الشاعر صورة مبالغ فيها جميلة ليعبر عن فقد الاحبة ، فالجبل انسان فقد احبته ، ومن شدة حزنه على فراقهم لم يتسلسل عن فقدهم ولم تحتبس دموعه وانما على العكس من ذلك فقد نزفت عيون دموعها ( نزفت ) والذرف يكون للدم وليس للدموع ، والدموع يقال لها ( نزفت ) لكنه استعار ( زف ) الدم للدموع مبالغة وكناية عن كثرة الحزن على فراق الصحاب . ان الشاعر لم يقل ( الصحاب ) ، لان هذه اللفظة لا توافق الوزن ولا القافية المطلقة المؤسسة الموصلة بعد ، فضلاً عن ان هناك رواية اخرى للبيت هي ( ... فراق الصواحب جمع صاحبة ) ، وكذلك لم يقل نزفت عيوني وانما نزفت فجعل الذرف للدموع مباشرة ، وهي - كما قلت - صورة مبالغة جميلة للتعبير عن شدة الحزن الذي لا يسليه شيء .

٢١ - [ فحتى متى أبقي ويظمن صاحب

أودع منه راحلاً غمير آيب ]  
ويضجر الجبل من حياته ومكوثه واستقراره ، سلم بقائه ومسح الصحاب الراحلين غير العائدين ، لقد بلغ الحزن عنده الى حد الجزع واليأس من المتوديع ورحيل الاحبة غير العائدين ، والوداع موقف حزين وهو لا يريد به باستمرار فقد جزع منه وفرغ صبره ، ويستفهم الى متى يستمر في هذا الموقف ، فطابق بين المفردات التي يتملى فيها ان ينتقل سريعاً من هذا الموقف المأساوي [ ابقي ، يظمن ، اودع ، راحلاً ، غير آيب ] .

٢٢ - [ وحتى متى ارعى الكواكب ساهرا

فمن طالع اخرى الليالي وغارب ]  
لقد سلم الجبل حتى مراقبة الكواكب : ظهورها ومغيبها ، سلم سهره وشعر بالتعب من شدة الحزن ، فهل يبقى ساهراً الى ما لانهاية ليراقب الكواكب تطلع وتغرب ، وبين طلوعها في اواخر الليالي ليؤكد سهره في انتظارها لتغرب اخرى ، وهذه حركة تزخر بالحياة لكنه سلم منها وضجر وتعب من الحياة نفسها بعد ان كان يحبها ، فقد وصل الحزن به الى حد الجزع واستخدم لذلك الطبايعي : طالع وغارب ، ويلاحظ على هذا البيت والبيت السابق تكرار الاستفهام المسبوق بحتى ليدل على حالة من فقد الصبر والانتظار .

٢٣ - [ فرحماك يامولاي دعوة ضارع

يمد الى نعمماك راحسة راغب ]  
وهنا يصل الجبل الى نهاية ضراسته حيث يطلب الرحمة من الرب [ يا مولاي ] ويتضرع اليه ليمد له يده ويعطيه الراحة مما اثم به ، فالفاظ المتوازنة [ نعمماك - رحماك - دعوة - راحة ، ضارع - راغب ] تنطوي على دعوة الخلاص من شدة ألمت به ، وهنا يستعير الراحة للراغب وليس لليد ليطلب الراحة والاستقرار النفسي .

## ٢٤ - [ فاسمعي من وعظه كل عبدة ]

يتسرحهما عنه لسان التجارب [ وينتقل هنا الشاعر الى نفسه لياخذ العبدة من صورة جبل يثقف في وسط الفلاة فيجمله عبدة لمن يعتبر ، فهو يتكلم ويعظ بأن الدنيا في زوال ولا تبقى على حال ، وهذه العظة تحدث بها مع الجبل وسممها منه ، فكيف سممها ؟ هل تحدث الجبل ؟ يؤكد الشاعر هنا بأن الجبل - كما قال سابقاً - اخرس صامت ، وانما التجارب هي التي تترجم حاله ، فتجمله كأنه ناطق بالعظات والعبر ، فالشاعر هنا اخذ عبدة من موقف الجبل الذي ترجمته عنه التجارب التي تمر بالإنسان ، فاستعار صفة انسانية ( اللسان ) لشيء معنوي هو التجارب ليكني به عن الكلام ، وحالة الجبل هنا تنطق وحدها .

## ٢٥ - [ فسلى بما ابكى وسرى بما شجا ]

وكان على ليل السرى خير صاحب [ وينتهي الشاعر قصيدته بأنه تسلى من هذه العظات حين ابكاه وكشف الهم عفا احزنه وكان له خير صاحب ومعين على ليله الذي سار وسهر فيه ؛ فقد طابق بين ( سلى - ابكى ) ، ( سرى - شجى ) مواصلاً استعارته الحديث مع الجبل وكأنه في صورته السردية يتحدث عن شيخ وقور .

## ٢٦ - [ وفلت وقد نكبت عنه لطية ]

سلام فسانا من مقيم وناهب [

ثم يودع الشاعر الجبل فيلقي عليه السلام بعد ان يبتعد عنه لنية يتوهمها ولقصد يقصده ويقول : انا مقيمون وناهبون ، فهنا يختصر العبدة التي اخذها من الجبل بأن الحياة فيها المقيم وفيها الذاهب لينتهي صورة الطباق التي بدأ بها القصيدة ، والحكمة هنا ان الدنيا في زوال لا يبقى فيها شيء على حال واحدة ، والجبل هنا يضجر ويسام من توهمه على حال واحدة لفترة طويلة لأنه يحزنه حال فقد الاصحاب .

## التقويم العام للقصيدة :

من خلال تحليل قصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل يمكن استنتاج ما يأتي :

١ - القصيدة من البحر الطويل تبدأ بمقدمة تقليدية في وصف الرحلة ، ولكن لا يطول نفس الشاعر في هذه المقدمة .

٢ - استخدم الشاعر قافية الباء المكسورة المكونة من أربعة حروف ثانيها ألف التأسيس ، وقد أكثر من حرف المد ( الالف ) لينسج فيها عن آلامه واحزانه الدفينة في نفسه . وربما كان ( الالف ) هو الحرف المسيطر على كلماته ليمد في صوته

ب - ( آمة ) الحزن ويجد من خلالها الراحة ، ويكرر أحياناً حرفاً معيناً في بيت واحد مرات عدة لفرض إبراز ايقاع معين يساعده في التعبير عن تجربته ، مثل : فحتى متى أبقي - وحتى متى ارعى ، فقد كرر الالف المقصورة ليجد بعض الراحة في التنفيس عن نفسه ، فضلاً على اكثاره من التكرار والجناس ليحدث من تكرار حرف معين صوتاً يتناسب مع تجربته .

٣ - ان الشاعر قد وفق في اشاعة التقسيم والاعتزان بين الكلمات والجمل والاشطر في بعض الاحيان فاكسبها رنة موسيقية لطيفة كما في الابيات : الثالث عشر والسابع عشر والتاسع عشر والخامس والعشرين .

٤ - في القصيدة سرد وحوار وكلام وإخبار عن حال ، وقد أبرز عنصر التشخيص حين جعل الجبل شيخاً وقوراً تؤخذ منه العبر والعظات ، ويمكن ان نعزو احساسه بالخوف من الموت ومروره ببعض حالات الضعف خلال حياته التي دعت الى الايمان بحكمة ( دوام الحال من المحال ) و( كل شيء الى زوال ) ، فوجد من ثبات وشموخ الجبل هذا الشيخ الوقور الذي يستطيع من خلاله تقديم خلاصة تجربته في الحياة عظة واستبصار للآخرين ، فالجبل هنا هو لجبل خفاجة نفسه ، الذي ابتعد عن المديح والتكسب وما يشعره بالضعف وطلب الحماية ، فصور نفسه عالياً شامخاً وثابتاً وملجأ لكل من يريد ان يجد الراحة عنده اعتزازاً بنفسه ومحاولة لإبعاد خوفه من الاحساس بالموت ، فهو بهذا يقترب بعض الشيء من فلسفة المعري التشاؤمية التي ترى ان الموت هدف اليشورية ، والحكيم من يبتهل الى الله لينقذه بأسرع ما يمكن من شقاء الخياة ، ويرفض المعري ان يصيب الآخرين بما قضي عليه ان يتحمل دون غلط منه<sup>(١٠)</sup> .

٥ - استخدم الصور البلاغية واهمها الاستعارة والكناية والتشبيه مع المحسنات من طباق وجناس ، وأكثر من ايراد التضاد في الفاظه وصوره خاصة حين انتقل من وصف جبل زاخر بالحياة الى رسم صورة ميتة لهذه الحياة .

٦ - القصيدة في الحكمة والاستبصار باستنطاق الجبل ( وهو شيء جامد غير عاقل ، اخذ العظة من وقوفه وثباته لزمان طويل في مكان مقفر فسيح .

٧ - ان الفاظ القصيدة « لا تخلو من جزالة وقوة ، وجمعت بين الوصف الحسي والمعنوي »<sup>(١١)</sup> .

٨ - كان ابن خفاجة « كثير النظر والتأمل في المشاهدات ، ولا سيما مناظر الطبيعة متاثراً بالمنظورات ، يحرك عقله نظره ، لتناسق الالوان سلطان عظيم عليه ، وكل معلوماته جاءت من طريق النظر الى الاشياء . فكان يرى ويلاحظ ويعرف كيف يرى وكيف يلاحظ ، ولم يكن له ألا ان يلبس هذه المنظورات عبارات

والإنشأ بليغة فصيحة ، وإن كان بطبيعتها فنياً كان اختاره للالفاظ والجمل حسناً جداً ، كما يختار المصور الماهر الالوان الجميلة اللازمة له ، لذلك ، كان اسلوبه جميلاً ، وعباراته سهلة ، وكان كلامه سائفاً للنفس ، بعيداً عن كل تعقيد وتركيب زكك ، او غموض في اللفظ او المعنى ، ولا يكاد القارئ يجد تكراراً في المعاني لبراعة الشاعر في حسن اختيارها ، فكلما مرت بالنفس او السمع تجدد اثرها بتجديد الفاظها ، وتتغير أنظما بتغير تراكيبها .

ولقد يصف فيخيل اليك انك تنظر في لوحة مصور ، او كان كل مدنى في كلامه « كائن حي ، يتحرك امامك »<sup>(١٧)</sup> ، « ولقد يفكر في شعره فياتي بأفكار جميلة وملاحظات جميلة . ويخرج من معنى الى آخر ، وقد تكون الاماني معروفة وجديدة معاً ، لانه يبتكر ويبدع في التمتع بكوله :

وليسل اذا ما قلت قد باد فانقضى

تكشف عن وعد من الظن كسائب»<sup>(١٨)</sup>

القصيدة في نظر الادباء والباحثين :

لقد اهتم ادباء الاندلس بابن خفاجة وتحدثوا عن قصيدته في وصف الجبل بما يؤيد ما ورد عند تحليلها ، ومنهم ابن بسام في الذخيرة ، حيث قال انه « الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع ، المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع »<sup>(١٩)</sup> .

وقال عنه الفتح بن خاقان في القلائد : « تصرف في فنون الابداع كيف شاء ، واتبع بلوه الرضاء .. وان وصف سراه والليل بهيم ماله في وضوح ، وخد الثرى بالندى منضوح ، فناهيك من غرض انفراد بضمائه ، وتجرد لحمي ذماره »<sup>(٢٠)</sup> .

وقام الباحثون المحدثون بموازنة قصيدة ابن خفاجة مع قصائد سابقة تشبهها في الموضوع كقصيدة امرئ القيس التي استنتطق فيها الجبل حين قال :

كان اياناً في أفانين وذقة كبير اناس في بجاد مزمل<sup>(٢١)</sup>  
او مخاطبة مجنون ليلي لجبل القوباز بأرض بني عامر حين يسأله عن محبوبته ليلي واين رحلت عنه بعدما كانت مقيمة الى جانبه فقال :

واجهشت	للقوباز	حين	رأيت
وكبر	للرحمن	حين	رأني
فانريت	دمع العين	لما	رأيت
ونادى	بأعلى	صوته	فدعاني
فقلت	له	ابن الذين	عهدتهم
حواليل	في	امن	وخفض زمان
فقال	مضوا	واستودعوني	بلادهم
ومن	ذا الذي	يبقى	عش الحدتان

ورأى د . منجد مصطفى بهجت ان هناك فرقاً كبيراً بين الشعاعين في قصيديهما لأن قول المجنون خاطرة عابرة لو توقفت عندها ابن خفاجة ما بلغ هذا النفاذ ، ولو استوحى من جبل القوباز شيئاً لكان له فضل اثير ، اذ توالى عشرات الادباء بعده شرقاً وغرباً لئن ان يبدعوا مثلهما ابداع ابن خفاجة ، وكان من الذين تأثروا به الشاعر الرصافي البلبني ( ت ٥٧٢ هـ ) في رائيته المشهورة التي مطلعها :

لو جئت ناز الهدى من جانب الطوبى<sup>(٢٢)</sup>

فنبشت ما شئت من علم ومن نور

قال فيها :

حتى زمت جبل الفتحين<sup>(٢٣)</sup> من كئيب

بساطع من سناء غير ميهود

للمساجيل الفتحين من جبل

معلم القدر في الاجبال مذكور

من شامخ الانب في سحنائه طلش

له من الغيم جيب غير مژدور

مفجراً بسراه عن نزي فلبك

مشتطير الكف والاكشاف مقطور

تضي النجوم على إكليل مفترق

في الجؤ حائمة مثل الدنانير

وربما مسخه من نوائبها

بكل فضل على فؤاده مجرور<sup>(٢٤)</sup>

ونلاحظ في مقطع القصيدة السابقة بوضوح تشخيص الجبل واعطائه صفة الشموخ والغطاء التي اراد بها المدوح . مما يوحي بتأثر الشاعر الرصافي البلبني بقصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل .

ورأى د . متولي بدير ان الاندلسيين اقتصروا على الوصف الحسي المكثور من المحسنات لئن ان تحرك في المرء عاطفة<sup>(٢٥)</sup> . لكنه لو تأمل جيداً في قصيدة ابن خفاجة لأخذ العبرة من « ذا الجبل الجائم في مكانه كما اخذ العبرة ابن خفاجة نفسه الذي جاء في شعره « نزوح خاص الى الاحساس بالطبيعة الاندلسية في مدنته ، وجوه سحرها وجمالها مما يكسبه نكهة اندلسية يشيع فيها نبض من اصالة وملاحم من جدة في هذا الباب لا تنكر »<sup>(٢٦)</sup> .

كلمة اخيرة :

ومن اعجاب الباحث عبد الرحمن جبير بقصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل رأى انها فن « يقصد الشرح والتفسير ، مدحانه في ان يبقى هكذا متحد الاجزاء ، متصل الانبياء ، متداون



علها :

« لقد طور الاندلسيون معاني الرثاء والزهد والهجاء والنزل ، كما تطوروا في الحديث عن الطبيعة وتأملها كما صنع ابن خفاجة في وصف الجبل . فإن هذه القصيدة لتدل على يقظة الفكر وبعد النظر في شعورهم وجولاتهم وراء المكشوف من «تأمر الحياة»<sup>(١١)</sup> .

النقمت ، كطاقة من الزهر ، جمالها في ان تبقى طاقة زهر . لا ان يبحث فيها باحث ، او يعبث فيها عابث<sup>(١٢)</sup> . وهكذا نجد ان قصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل قد استأثرت باهتمام الادباء في كل مكان لما فيها من ابداع في القول والوصف والتشخيص وللوحدة الموضوعية التي تتمتع بها ولاستنباط المعبرة منها بما ينفع الانسان كل حين . ونختتم دراسة قصيدة الجبل بما قاله د . سعد اسماعيل شلبي

### الهوامش :

- ( ١ ) تاريخ الادب العباسي : رينولد . ا . نيكلسن ، ترجمة : محمد خلوصي ، بغداد ، المكتبة الاهلية ١٩٦٧ ، ٩٥ .
- ( ١٦ ) قضايا اندلسية : بدير متولي حميد ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤ ، ٢٠٩ .
- ( ١٧ ) بلاغة العرب في الاندلس : احمد ضيف ، مطبعة مصر ، ١٩٢٤ ، ١٩٥ .
- ( ١٨ ) م . ن ١٩٩ .
- ( ١٩ ) الذخيرة ٥٤١/٢/٣ .
- ( ٢٠ ) قلائد المقيان ٧٣٩/٤ - ٧٤٠ .
- ( ٢١ ) ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد ابي الفضل ابراهيم ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ، ٢٥ . شبه الشاعر ( ايان : جبل في فزارة ) حين غشيه المطر وعنه الخصب بشيخ ضعيف في بجاد .
- ( ٢٢ ) كتاب الامالي لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٧/١ .
- ( ٢٣ ) الطور : الجبل ( القاموس المحيط ، باب الرء ، فصل الطاء ، لان المدح نزل بجبل الطنج .
- ( ٢٤ ) جبل الطنج ثناء وهو مفرد ومثل هذا كثير في الشعر .
- ( ٢٥ ) ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدم له د . احسان عباس ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ٢٥ ، ٨٧ ، ٩٢ : الادب الاندلسي من الطنج حتى سقوط غرناطة ٩٢ - ٨٩٧ هـ : د . منجد مصطفى بهجت ، الموصل ، مديرية دار الكتب في جامعة الموصل ، ١٩٨٨ ، ٢٩٨ .
- ( ٢٦ ) قضايا اندلسية ٢٠٩ - ٢١٠ : البيئة الاندلسية واثروا في الشعر : سعد اسماعيل شلبي ، مصر ، دار النهضة ، ١٩٧٨ ، ٢٨٩ .
- ( ٢٧ ) الشعر والبيئة في الاندلس : ميشال عاصي ، بيروت ، منشورات المكتب التجاري ، ١٩٧٠ ، ٩٤ .
- ( ٢٨ ) ابن خفاجة الاندلسي : عبد الرحمن جبير ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٩٨٠ ، ١٠٧ .
- ( ٢٩ ) البيئة الاندلسية ٣٨٨ .

- ( ١ ) حقق ديوانه السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ، منشأة المعارف / ١٩٦٠ .
- ( ٢ ) انظر ترجمته في المصادر الآتية : قلائد المقيان للفتح بن خاقان ، تج : حسين خريوش ، عمان ، مكتبة المنار ، ١٩٨٩ ، ٧٣٩ - ٧٦٦ ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ، تج : احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٨ ، ٥٤١/٢/٣ - ٦٥٢ وفيه اورد نصوصاً كثيرة جداً من شعره ونثره ، خريدة القصر للمعاد الاصطهاني ، تج : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، القاهرة ، دار النهضة مصر ، ١٩٦٩ ، ١/٢ - ٦ ، بغية المتمسك للضبي ، تج : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري والليبناني ، ١٩٨٩ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، المغرب لابن سميح تج : النعمان بن المتامل القاضي ، القاهرة ، مطابع الاهرام ، ١٩٧٣ ، ٨٧ ، تلح الطبيب للمصري ، تج : احسان عباس ، بيروت دار صادر ، ١٩٦٨ ، صفحات متفرقة منها : ٢١٠/١ ، ٦٧٧ - ٦٧٨ ، ٦٨١ - ٦٩١ .
- ( ٣ ) البغية ٢٦٥/١ - ٢٦٦ .
- ( ٤ ) تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧١ ، ٢٠٤ - ٢٠٧ .
- ( ٥ ) ديوان ابن خفاجة ٢٩٠ .
- ( ٦ ) تاريخ الادب ، الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين : ٢١٢
- ( ٧ ) م . ن ٢٠٨ .
- ( ٨ ) ديوان ابن خفاجة ٢١٥ - ٢١٧ .
- ( ٩ ) القاموس المحيط للفيروز آبادي باب النون فصل الرء .
- ( ١٠ ) القاموس المحيط باب الحاء فصل الطاء .
- ( ١١ ) م . ن باب الباء فصل الدال والذال .
- ( ١٢ ) م . ن باب الباء فصل الفخ .
- ( ١٣ ) م . ن باب النون فصل العين ، باب الحاء فصل الباء .
- ( ١٤ ) القاموس المحيط ( باب الجيم فصل الدال والذال وباب الباء فصل الهمزة ) .
- ( ١٥ ) اللزوميات للمعري ، القاهرة ، المطبعة الجمالية ، ١٩١٥ .





# « الحلقة المنسية » في تاريخ الفلسفة الإسلامية

صالح مهدي هاشم / بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

ومراض العرس في المدرستين النظامية والمستنصرية ، وريت لهفة طلاب مدرسة الشريطين الرضي والمرتضى ، وأعانت الحلقة واسعة لصراع الغزالي مع الفلاسفة ثم وسعت أنكار أبي البركات البغدادي<sup>(١)</sup> وتبدلت مدرسته البغدادية ، ومدتها بأنكار فلسفية لها نظرياتها المتفردة وقواعدها الممتدة .

والذي يهمننا في هذه الدراسة هو تسليط الضوء على أهم تلك الجوانب لمعرفة حقائق جديدة عن تاريخ الفلسفة الإسلامية التي أعقبت ابن رشد ، وهي التي تمتد من الحلقات المنسية في تاريخ تلك الحقبة ، مع أن فيها مدرسة فلسفية متميزة لها خصائصها وسماتها ورجالها ولتأجياتها لمت وترعرعت في بغداد وأنت أكلها في الحلقة ، وشع نورها في المالمين العربي والإسلامي . والتي يحق لنا أن نسميها ( مدرسة الحلقة الفلسفية ) .

والذي لجده ان من الاسباب التي ساعدت على نسيان هذه المدرسة وابتعاد الدارسين عنها ، أن أياً من نتائج روادها لم يطبع ولم ينفذ الغبار عن أي من مخطوطاتها على حد ما نعرف ، الأمر الذي أدى إلى طمسها وطمسها المدارس الأخرى عليها . وللتاريخ نذكر أن أوضح الآثار الفلسفية التي أنتجها خرجوا هذه المدرسة هي الأفكار الفلسفية التي جاء بها ابن المطهر الحلبي ( ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م )<sup>(٢)</sup> وتضمنتها كتبه الفلسفية والكلامية التي منها كتاب ( الأسرار الخفية في العلوم العقلية )<sup>(٣)</sup> وكتاب ( المواعيد والمقاصد في المنطق والطبيعي والالهي ) وكتاب ( المقاومات ) قال عنه مؤلفه ( باحثنا فيه الحكماء السابقين وهو يتم مع تمام عمرنا ) ، وكتاب ( مواصد التحقيق ومقاصد التحقيق في المنطق والطبيعي والالهي ) ومن كتبه الفلسفية كتاب ( حل المشكلات من كتاب التلويحات ) وهو كما يفهم منه شرح لكتاب ( شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي ) ( ٥٨٧ ق ) والمعروف بكتاب ( التلويحات اللوحية

يبدو أن الحلقة<sup>(٤)</sup> ، وإن كانت واردة بابل كما أن الكوفة واردة الحيرة والبصرة واردة الأبله . إلا أنها لم تحتل مكانتها المرموقة في التاريخ اللاحق ويرتبتها المعروفة الآن قبل ان يستوطنها سيف الدولة صدقة بن منصور الاسدي<sup>(٥)</sup> الذي أسكن أهله وجيشه فيها سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م ، فتألق هو وأصحابه في إقامة القصور والمباني الفخمة وبنى المدارس والمعاهد وأنتقل إليها العلماء والأدباء من يلبدة النيل<sup>(٦)</sup> القريبة منها<sup>(٧)</sup> ، ومن الكوفة لا سيما من قبائل اسدي<sup>(٨)</sup> عميد إحسان المد الفكري منها . فصارت كمبة يجح إليها العلماء من كل فن ، والتجار وسائر أرباب المهن<sup>(٩)</sup> ، بعد أن كانت أجمة تأوي إليها السباع<sup>(١٠)</sup> ، ولما قُتل هذا الأمير عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م<sup>(١١)</sup> بقيت الحلقة على عاقبتها<sup>(١٢)</sup> . ثم تماقبت عليها الأمراء حتى زحف هولاكو التتري المنمرو<sup>(١٣)</sup> . إلا أن الفتحاء وبلغف من الله سبحانه وبحمكة بعض أهلها تمكنت من الأفلات من تلك المصير المؤلم الذي لقيته عاصمة الخلافة بغداد ، فحبا أهلها وكان في ذلك استمرار ثقافتهم واحتفاظهم بجزء كبير من التراث الحضاري العربي العريق بالإضافة إلى ألتعاش أحوالهم الاقتصادية الذي كان له الأثر في زيادة ثقافتهم لأنهم كانوا ( يجلبون الأطعمة إلى بغداد ويبتاعون بائناًها الكتب النفيسة فاستغنى بهذا الوجه خلق كثير ) على ما ينقل في الحواشي الجامعة<sup>(١٤)</sup> .

ولأن الحلقة أقرب الحواضر العامة لبغداد حينها ، وبين علمائها وأبيائها وعلماء بغداد وأبيائها أكثر من وشيجة وصلة وتزواج فكري معروض ، وكانت نتائج هؤلاء العلماء والأدباء معروفة معروفة لدى الدارسين في المدينتين ، فلم تكن الحلقة والحالة هذه غريبة على الوافدين إليها من أهل بغداد ممن نكبهم الغزو التتري ، فكانت اليد الحنون التي كفكت النعم عن جفون دار الحكمة ( حكمة المأمون ) . ونفضت الغبار غبار الغزو عن دار العلم بين السورين في كرخ بغداد ، وأزاحت الانقراض عن باحات

خاص بالالهيات ( وهو العلم بمصرفة مبدأ الاشياء ومنتهىها ... )<sup>(١١٧)</sup> .

وقد تضمن كل قسم من اقسام الكتاب الثلاثة مقالات<sup>(١١٨)</sup> يتفاوت تعدادها من قسم الى آخر ، وقد تفرعت تلك المقالات الى مباحث فصلت فيها مفردات تلك العلوم ...

لقد عالج المؤلف في المقالة الاولى من قسم الطبيعيات من الكتاب لواحق الاجسام الطبيعية وهو الجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والمكان ، والزمان ، والان ، والخلاء ، وعالج في المقالة الثانية ، الامور العارضة للطبيعيات من جهة ماله كـ ، وهي القتالي ، والعماس ، والاتصاق ، والاتصال ، والنهاية ، والالهاية ، وتناهي الابدان ، وتناهي القوى الجسمانية ، والجهات ، ودرس في المقالة الثالثة عوارض الامور الطبيعية ومناسباتها ، وهي تقاسيم الحركة ، والمناسبات الواقعة بين الحركات والازمنة ، والمسافات ، والمناسبات بين العلل المحركة والمتحركة ، والصل ، والحيز الطبيعي للاجسام ، واتصال الحركات ... وأسهب في شرح مفهوم السماء والعالم في المقالة الرابعة من الكتاب ، حيث فصل في هذه المقالة ، قوى الاجسام البسيطة والمركبة واصنافها ، وتركيب الاجسام البسيطة وتقدم بعضها على بعض ، وفصل الكلام في الامور الفلكية الاخرى ويبرهن على أنَّ العالم واحد ، أما في المقالة الخامسة ، فقد فصل الكلام في يسائط العنصرية ومركباتها وفي حركتي الكون والفساد والاستعالة وفي عدد الاسطوانات وما قيل فيها ، وفي المزاج ، وفي الانفعال والانفعالات المنسوبة الى هذه العناصر ، وكذلك الكلام في الكائنات التي لا نفس لها ...

أما في المقالة السادسة والاخيرة ، فقد سلط الضوء على تحديد النفس ووجودها وماهيتها وعلى القوى النباتية والحيوانية والانسانية .

وهكذا فعل الحلبي في قسمي كتابه الآخرين ، وفي كل من هذه الاقسام لم يتخط المؤلف في منهجه وترتيبه ، منهج الفلاسفة والحكماء ، سواء أكان ذلك في تسلسل بحثه للمواضيع الفلسفية أو في الاسلوب الذي عالج فيه تلك المواضيع .

ولكن الحلبي يجد أنَّ كتابه هذا ( أجود من غيره من كتب السابقين ، لاشتماله على ما لم يذكره من التفريعات ومن تصانيف المتأخرين لاستعمالهم في تصانيفهم طرائق التشبيهات ، والقياسات المغالطات ، والجدليات ... )<sup>(١١٩)</sup> .

ومن ثناء المناقشات التي أوردها الحلبي في كتابه المذكور نلاحظ : أنَّه قد أحاط بالمواضيع التي طرقها إحاطة الرجل الخبير ، حيث استعرض جميع الآراء والابئلة والنظريات التي تكاملت في عصره استعراضاً مسهباً ، فيذكر مواطن القوة والضعف في كل منها ثم يرجع ما يستحق الترجيح ، ويقارن الرأي القوي بالضعيف ليكشف عن مواطن القوة في الرأي المرجح ، ومواطن الضعف في الآخر ، ثم يفضل الرأي المختار داعماً آياه بأكثر من

والعربية ) . ومن كتاب الحلبي التي باحث فيها ابن سينا كتاب ( اوضح الفكييس في كتاب الرئيس ) وكتاب ( كشف الخفا من كتاب الشفا ) قال عنه المؤلف أنَّه كتاب في الحكمة ويبدو أنه شرح لبعض المشكلات الفاضحة التي جاء بها كتاب ( الشفاء ) لابن سينا . وكتاب آخر لابن المطهر الحلبي باحث فيه شراح كتاب الاشارات لابن سينا ايضاً ، فأورد عليهم وحاكم بينهم كما هو واضح من اسمه وهو ( كتاب المحاكمات بين شراح الاشارات ) ومن المعلوم أنَّ أبرز شراح هذا الكتاب في تلك الزمان هما فخر الدين الرازي ونصير الدين وأقطاب آخرون غيرهما وفي تلك اشارة مهمة الى استقلالية هذه المدرسة وتميزها عن سابقتها من المدارس الفكرية ، ولم يطبع ولم ينطش الليار عن أي من مخطوطات كتب الحلبي الفلسفية إلا ما كان من مخطوطات كتاب ( الاسرار الخفية في العلوم العقلية ) وكانت نسخة منها بخط مؤلفها وقد أجزأ تحقيق قسم الطبيعيات على أمل تحقيق الاقسام الاخرى منه بالاشتراك مع استاذنا الفاضل الدكتور حسام الالوسي<sup>(١٢٠)</sup> ، وقد تفضلت جامعة بغداد في حيله بتعصيد طبعه وتكفل المرحوم قاسم محمد الرجب بطبعه ونشره واوكل لهذه المهمة احدى دور النشر في بيروت وكان السيد رفيق وكيله المشرف على الطبع وقد طلب مني في حزيران ١٩٧٤ كتابة تعريف بالكتاب يدون على الصفحة الاخيرة من الجلد واعطيت السيد رفيق ما اراد وشاهدت مسودات الكتاب مطبوعة كاملة وقد تجاوزت ٥٠٠ صفحة ، ومنذ تلك التاريخ لم أجد ما يشير الى أنَّ عملية النشر قد تمت .

إن عدم طبع ونشر هذا الكتاب يعد خسارة وسبباً مهماً من اسباب نسيان هذه الفترة اثنائية من الفكر الاسلامي في العراق ، وبالتالي معرفة اهم ما تمتاز به مدرسة الحلة الفلسفية . لعل أبرز خصائص كتاب ( الاسرار الخفية في العلوم العقلية ) : أنَّ مؤلفه قد عبر فيه بدقة عن آراء المدرسة التي تخرج فيها ، وأوضح استقلالها وتميزها عما سبقها من المدارس الفلسفية ، حيث أشار في أوله الى منهجه في البحث ، فنذكر أنَّه لم يتبع فيه مذهب أحد من القدماء بشكل ترتيب متهافت ، ولم يحول على قول من القوال غيره من الحكماء دون نقد وتمحيص ، بل سلك منهج مفرسته ، وهو طريق البرهان الذي يبرج إليه ، فما دل البرهان عليه اعتمده وعول عليه ، وأخذ به .

وكان من الاسس التي اكتسبها من تلك المدرسة انه لم يرم من تقدمه ممن خالف رأيه بالتخليط ، بل كان المنهج لهذه المدرسة هو أدب البحث والفكر المتحرر المتسامح<sup>(١٢١)</sup> .

قسم الحلبي كتابه هذا الى اقسام ثلاثة : الاول خاص ( بالعلوم المنطقية لكونها آلة في تحصيل المجهولات ... )<sup>(١٢٢)</sup> ، والثاني خاص ( بالعلوم الطبيعية لكونها باحثة عن المحسوسات ... وموضوعه هو الجسم الطبيعي من حيث يلحقه التقدير الذي هو أما الحركة وأما السكون ... )<sup>(١٢٣)</sup> ، والقسم الاخير

مثل ولليل ، معنونا الفقرات الفلسفية المهمة تحت كلمة ( سر ) ، وقد كوتت هذه الفقرات ( الأسرار ) بمجموعها خلاصة للأفكار الفلسفية لتلك العصر .

ان الحلبي قد قرأ بامعان ماوصل إليه من الفلاسفة اليونانيين ، وعلى الخصوص أفلاطون ، وأرسطو ، وأفلوطين ، وتشعبت أفكاره واختزنت ذاكرته ماوجده عندهم ، ولكنه كان أقرب الى المدرسة الإغلاطينية المحدثه منه الى غيرها من المدارس اليونانية .

كما يتوضح بجلده ان الحلبي قد قرأ باستفاضة واستحسان أفكار المتكلمين المسلمين الأوائل مثل المؤلف والنظام وبرز الفارابي وسير غور ابن سينا وقارن أفكار ابن رشد ، وحاول توضيح أفكار الفزالي لما يخدم الفلسفة ، وتابع أبا زكريا الرازي وتحمس للحكمة الاشرافية من خلال قيامه ( بحل المشكلات من كتاب التلوحيات ) للسهروردي القليل ولكنه لم يكن صوفياً<sup>(١١)</sup> وان لحقته كراماتهم ، وتخص عن قرب كتاب المعتبر لأبي البركات البغدادي<sup>(١٢)</sup> وغيره من فلاسفة وحكماء الزمان الذي سبقه ، ولكنه لم يكن قريباً من أي فهم قدر قرره من ابن سينا ، فقد أنغمس في قراءة كتبه الفلسفية ، ( فكشف الخفا عن كتاب الضياء ) ( وحاكم بين شراح الاشارات ) ، و ( أوضح التلخيص الذي وجده في كلام الرئيس ابن سينا ) فكان يمكن أن يكون كاساتنة ، فلاسفة عصره الذين قيل عنهم أنهم حريصون كل الحرص على السنيوية ، أمينون الى منتهى الامانة على منهج ابن سينا ، مخلصون كل الاخلاص لمصوره الفلسفي<sup>(١٣)</sup> ولكنه لم يكن كذلك أيضاً<sup>(١٤)</sup> لان الوسط الروحي الذي عاش فيه ، ورجالات عائلته شيوخ الفقه والحديث في الحلة ، ومنصبه الديني ، أضافت إليه خصوصية أخرى عن سابقه . لهذا كله ولأن كتابات الفلسفة أصبحت أكثر وضوحاً وترتقياً في زمانه وتضحيت المباحث ولانت المصطلحات وتحدت المعاني ، الامر الذي مكّنه من أن يطرح أفكاره بجرأة أكبر ، ومعالجة طروحات عصره بروية أتم ، فكان نزوعه الفلسفي بارزاً في آرائه الكلامية ، وحيه وشغفه بالفلسفة طبع منهجه في علم الكلام بحيث انعكست بشكل بارز على كثير من آرائه الفقهية . وهو مايرجو ان يتصدى لتوضيحه الباحثون ...

ومن الملامح الاساسية الاخرى التي تميز بها خريجو هذه المدرسة الفلسفية ماكتشفته كتب الحلبي الكلامية ، وهو المنهج الفلسفي في علم الكلام الاسلامي ذلك المنهج الذي مكن الصدور الفلسفي أن يتغلغل في المفاهيم الكلامية بل ويمزج بينها وبشكل تام مكوناً منهجاً جديداً ، بحيث يجد المدقق لاصوله ان ليس هناك يون شاسع وتباين حاد بين علم الكلام وبين الفلسفة عموماً ، بل ان الوحدة قائمة بينهما ، والوشائج قوية ، والتفاعل مستمر في الاصول والفروع ، ومن خلال ذلك المزيج تلاحظ أيضاً ان

ليس هناك فكر كلامي وآخر فلسفي ، بل هي مدارس فكرية بينهما أكثر من وشيجة وصله ، فلم يبلغ أحدهما الآخر كي يؤثر فيه ، ولكم يلبس اي منهما لباس صنوة ، ولكن مؤسسي هذا المنهج مزجوا لأول مرة في الاسلام ، الفلسفة بعلم الكلام ( مزجاً تاماً بحيث صاراً شيئاً واحداً )<sup>(١٥)</sup> بعد تلك الفجوة ونقاط الخلاف التي فصلها المعنيون<sup>(١٦)</sup> . وتمثل هذا الاتجاه بشكل بارز في كتيب صغير شرحه لأول مرة<sup>(١٧)</sup> ونشره على الناس ، وفك رموزه وحل ما غمض من معانيه ابن المطهر الحلبي وذلك بعد موت مؤلفه كما يشير في مقدمة كتابه ( كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد )<sup>(١٨)</sup> بعد أن وجد أن مؤلف الكتاب ( قد أوجز الفاظه في الغاية ، وبلغ في ايراد المعاني الى طرف طرق النهاية ، حتى كل عن ادراكه المحصلون ، وعجز عن فهم معاني الطالبون )<sup>(١٩)</sup> . ويبدو أن الكتاب لصغر حجمه وسعة معانيه ( قد تدل الكلمة منه على مسالة وتقوم الجملة المختصرة مكان الفصل ... )<sup>(٢٠)</sup> الجات الحلبي ان يتوسع في شرحه بحيث اندمج المتن في الشرح فلا يعرف حد بينهما فكانا بمثابة تاليف جديد ، ولكنه وفق تلك المنهجية التي ألزم الحلبي السير في مسالكها فكان يعد بحق باعناً للمنهج الجديد ونعني به المنهج الفلسفي في الدراسات الكلامية موضحاً بشكل يدعو الى الاعجاب التلاحم بين الفلسفة وعلم الكلام حتى أن ( مشاكل علم الكلام ليست ثوب الفلسفة ، وتشعبت بما امتصته من جذورها . فصارت في جوهرها موضوعات تقرب في طرحها لان تكون موضوعات فلسفية بحتة )<sup>(٢١)</sup> .

وخلاصة لما أورثناه فان ابن المطهر الحلبي وهورائد وعنوان كبير من عناوين مدرسة الحلة الفلسفية إنما عبر عن آراء تلك المدرسة التي تلت وورثت ميرستي بغداد والاندلس ، وهي الحلقة العنصرية في سلسلة حلقات التراث الفلسفي في المشرق العربي خاصة والاسلامي عامة ، في فترة مظلمة من تاريخها .. ولا أقول أنني وفيت الموضوع حقه ، لما في الموضوع من امور شائكة ومسائل طغى عليها ظلام الفترة المظلمة من تاريخ العراق .. ولكنها على كل حال اشارات على الطريق ...

ان استقصاء آراء هذه المدرسة ، وفرزها عما لحق بها ، وقيام الباحثين والكتاب بتحديد ابعادها وتحقيق ما يمكن من مخطوطات كتابها ، سيمكنهم ولا ريب من الاسترسال في الكتابة عن الفلسفة وتكوين تاريخها بصورة متكاملة ومتسلسلة من العلاف والنظام والجاهل مفكرين والى الكندي فيلسوفاً ، وانتهاء بجمال الدين الافغاني ومحمد اقبال مفكرين ..

هذا عدا كون هذه المهمة ضرورة علمية ، وانجازاً فلسفياً ومستمسكاً مادياً ينحض الكثير من الاوهام التي صارت كالحقائق عند البعض من المعاصرين ...

## الهوامش

- ١ - لتفصيل تاريخ الحلة يرجع : الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ، ص : ٣٦٠ ، ابن جبير ، الرحلة ص ١٦٨ - ١٦٩ ، ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٣٨ - ٩ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مواضع مختلفة من ج ٩ و ١٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ مواقع متعددة ، الحوادث الجامعة ، مواضع متعددة ، ومن المتأخرين ، تاريخ مدينة الحلة وسوخته الشيخ يوسف كركوش ، شمراء الحلة ، وطبقات لقله الحلة ، وغيرها مما لا يمكن حصره هنا ، ومن جمل الحكم الذي قيل في الحلة انها ( مطبوعة على ثلاثة طوابع . الاول طابع المروية المحضة لان مؤسسها من مصاص العرب الكهناح ومن امراء العرب في تلك القرون ، بنو مزيد الاسدي ، ولها اسد من الضخم واعظم قبائل العرب في الجاهلية والاسلام . الطابع الثاني ، طابع العلم ، الطابع الثالث / طابع الادب العالي ) انظر مقدمة كتاب الباطليات .
- ٢ - ابن الاثير المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥١ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥ .
- ٣ - ( النيل بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يكثر فيها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر ) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ، ص ٣٦٠ .
- ٤ - الحموي ، ياقوت ، نفس المصدر ، ج ٨ ص ٣٦٠ .
- ٥ - اسد اسم لقبيلتين عظيمتين اولاهما قبيلة من مضر وابوهم اسد بن خزيمه بن مدركة ، وقد تزكت هذه القبيلة المراق وكانت ضمن جيوش سعد بن ابي وقاص عند تصير الكوفة واليهما ينتسب بنو مزيد . والقبيلة الثانية من ربيعة وابوهم اسد بن ربيعة . وعدد عمر كحالة في كتابه ( معجم القبائل العربية ) ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٢١ - ٢٥ تسع بطون تسمى باسم اسد .
- ٦ - ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ١٦٨ .
- ٧ - الحموي ، نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٣٦٠ .
- ٨ - ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٤٤٠ - ٤٤٩ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٥٨ .
- ٩ - الحموي ، نفس المصدر ، ج ٨ ، ص ٣١٠ .
- ١٠ - انظر الكلمات المؤلفة التي يتحدث بها ابن الاثير . نصف القطر في حوادث ٦١٧ ولما دخلوا بغداد بعد فقد توفي عليه الرحمة سنة ٦٣٠هـ ، انظر الكامل ج ١١ ، ص ٣٧٠ .
- ١١ - ص ٣٣١ ، ويذكر ايضاً أنهم كانوا يجلبون الخيل والتمر والسمك الى بغداد التي كان يلقيها لحطب وغلاه ، ص ٤٤٧ .
- ١٢ - وهو هبة الله علي بن ملكا و ( كتابه المعتبر ) مطبوع في ثلاث مجلدات حيدر اباد ، ( ١٣٥٧ - ١٣٥٨ ) هـ .
- ١٣ - هو الشيخ جمال الدين ابو منصور الحسن بن الشيخ ابو المظفر مهدي الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين علي ابن المظفر الحلي المراقبي الاسدي المعروف بالملامة . ولد في الحلة ١٩ رمضان ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م وتوفي فيها ( ليلة السبت ٢١ من المحرم سنة

- ٧٢٦ هـ ) ١٣٢٦ م . ترجم الحلي لنفسه في كتابه الرجال ، ص ٤٥ - ٤٩ ، وترجم للحلي كثيرون منهم على سبيل المثال لا الحصر السفاوي وابن حجر والصدقي وقد احتسبهم الزركلي في كتابه الاعلام ج ٢ ، القاهرة ١٣٤٥ م .
- ١٤ - ذكر الحلي تفاصيل كتبه الفلسفية والعلمية والدينية في الكتب التي جاوزت السبعين كتاباً في كتابه الرجال ص ٤٦ - ٤٩ .
- ١٥ - كان ذلك قبل ربع قرن وهو باكورة اعتاداً .
- ١٦ - اشار الى مثل هذا المنهج الحلي في كتابه ( الاسرار الخفية ... ) ورقة ٢ .
- ١٧ - ايضاً ورقة ١ .
- ١٨ - ايضاً ورقة ٦٨ .
- ١٩ - ايضاً ورقة ٢ .
- ٢٠ - سماها ابن سينا في الاشارات ( انشاط ) وسماها في قسم المنطق ( نهج ) ، وسماها الحلي مقالات كامر .
- ٢١ - الاسرار الخفية في العلوم العقلية ، ورقة ١ .
- ٢٢ - فصل هذا الجانب الشيعي ، الدكتور كامل في كتابه الفكر الشيعي والزرعات الصوفية ، ١١٥ .
- ٢٣ - يذكر ابو البركات البغدادي في مقدمة كتابه المعتبر انه احتذى ( في ترتيب الاجزاء والمفصلات والمسائل والطلبات حذو ارسطوطاليس في كتبه المنطقية والشعرية واللاهية ) ج ٢ ، ص ٤ . وفي صدر الجزء الثاني من كتابه هذا قسم الطبائيات قال انه يبحث ( في المطالب التي تكلم فيها ارسطوطاليس في كتابه المعروف بالسباع الطيبية ) ، ج ٢ ، ص ٢ .
- ٢٤ - سلاسم ، دكتور عبد الامير ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .
- ٢٥ - وهذا لا ينفي الاحترام الكبير الذي يوليه الحلي لشيوخه .
- ٢٦ - الشيعي ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .
- ٢٧ - انظر تفاصيل ذلك ، الالوسي حوار بين الفلاسفة والمعتكفين ، بغداد ، ١٩٦٧ ونشأة الفكر الكلامي ... ، الكويت ١٩٧٣ ، ... ، وسليمان دنيا ( محمد عبده بين الفلاسفة والمعتكفين ) القاهرة ، ( ١٩٥٨ ) .
- ٢٨ - شرح ابن المظفر الحلي جزء المنطق من هذا الكتاب وسماه ( الجوهر النضيد في شرح منطق ائرجيد ) وهو مطبوع متداول ، وشرح الجزء الاخر منه وسماه ( كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ) .
- ٢٩ - ابن المظفر الحلي ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ص ٣ .
- ٣٠ - المصدر السابق ، ص ٤ .
- ٣١ - ايضاً ص ٤ .
- ٣٢ - الشيعي ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .





## أخبار التراث العربي

• من تحقيقها أيضاً نشرت وريقات من ترجمة عبد الله بن عباس (رض) لابن عساكر المؤرخ الدمشقي (٥٧١ هـ) وهي قطعة من تاريخ مدينة دمشق في مجلة مجمع اللغة العربية الدمشقي الجزء الثاني من المجلد ٧٣ (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٣٥٦ - ٣٤٧

• صدر عن دار الكتب المصرية في القاهرة كتاب التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة، للقرطبي محمد بن احمد (توفي عام ٦٧١ هـ) قدم له وضبط نصه وخرج احاديثه: ابو عبد الله سيد توفيق عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ٧٢٠ ص

• التراث المجهول: اطلالة على عالم المخطوطات - ليوسف زيدان صدرت الطبعة الثانية منه عن دار الامين للنشر والتوزيع في القاهرة عام ١٤١٧ - ١٩٩٧ في ٣٨٩ ص

• بتحقيق: محمد بنوي المختون ومراجعة: د. رمضان عبد التواب صدر كتاب تصحيح الفصح وشرحه لابن درستويه عبد الله بن جعفر (توفي عام ٣٤٧ هـ) في طبعته الاولى عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، وزارة الاوقاف في القاهرة عام ١٤١٧ - ١٩٩٧ في ٥٩٠ ص

• التنبهات العلية على وظائف الصلاة القلبية - للشهيد الثاني المتوفى عام (١٩٦٥ هـ) دراسة وتحقيق: علي جهاد الحسامي صدر عن مكتبة العرفان للنشر والتوزيع في الدجف الاشرف عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ١٧٧ ص

• من تحقيق ودراسة: عمار جمعي الطالبي نشر كتاب ثمره الحكمة لابن الهيثم ابي علي الحسن البصري المتوفى عام (٤٣٠ هـ) في مجلة مجمع اللغة العربية الدمشقي الجزء الثاني المجلد الثالث والسبعون (١٤١٩ - ١٩٩٨) ٢٦١ - ٣١٠

• الجامع للخلال البغدادي ابي بكر احمد بن محمد بن هارون المتوفى عام (٣١١ هـ) تحقيق: ابراهيم بن حمد السلطان صدرت طبعته الاولى عن مكتبة المعارف في الرياض عام ١٤١٧ - ١٩٩٧

• صدر كتاب حادي الاطمان اللطيفة الى الديار المصرية لمحب الدين الحمدي (٩٤٩ - ١٠١٦ / ١٥٤٢ - ١٦٠٨) من تحقيق ودراسة: محمد عان البخيت، عن جامعة مؤتة في الأردن عام ١٤١٤ - ١٩٩٣ في ٢٠٠ ص

• صدر كتاب الدر المصون او المسمى بسحر العيون لابي بكر بن تقي الدين البغدادي من تحقيق: سيد صادق عبد الفتاح عن مؤسسة دار الشعب في القاهرة عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في مجلدين

• صدر عن المكتبة الازهرية للتراث في القاهرة كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي المتوفى عام (٥٩٧ هـ) حققه وعلق عليه: محمد زاهد الكوثري عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ٨٧ ص

• ديوان ابن قسيم الحموي من شعراء نور الدين زنكي جمع

• صدر كتاب (أبو محمد الاموي وجهوده اللغوية) جمع وتحقيق ودراسة: محمود جاسم الدويش، عن دار الشؤون الثقافية العامة، ١٤١٨ - ١٩٩٨، في (٩٩) صفحة.

• يواصل الشيخ العلامة أحمد الجاسر نشر كتاب (الامكنة والمياه والجيال والاثار ونحوها المذكورة في الاخبار والاشعار، لابي الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندراني المتوفى بعد عام ٥٦١ هـ في مجلة / العرب (الرياض) جزء ١ - ٢، سنة ١٤١٧ - ١٩٩٦) ٨٨ - ٩٢

جزء ٣ - ٤، سنة ١٤١٧ - ١٩٩٧ (٢٥٤ - ٢٥٠)

جزء ٥ - ٦، سنة ١٤١٧ - ١٩٩٧ (٤١٤ - ٤١٩)

جزء ٧ - ٨، سنة ١٤١٨ - ١٩٩٧ (٥٥٠ - ٥٥٤)

جزء ٩ - ١٠، سنة ١٤١٩ - ١٩٩٨ (٧٠٥ - ٧٠٢)

• من منشورات مركز الكتاب للنشر في القاهرة صدر كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن كما فيه من الحجة والبيان - للكرمانى محمود بن حمزة (توفي سنة ٥٠٥ هـ) بتحقيق وشرح وتعليق: السيد الجميلي. عام ١٤١٨ - ١٩٩٨، في ٢٨٠ ص

• عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير في القاهرة صدرت الطبعة العلمية الاولى لكتاب بلاغات النساء وطرائف من كلامهن وصلح نوابهن واخبار نوات الراي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الاسلام - لاحمد بن ابي طاهر طيفور البغدادي (توفي سنة ٢٨٠ هـ) سقته وعلق عليه: عبد الحميد هندواي. عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ٣١٨ ص

• صدر كتاب تاج علوم الادب وقانون كلام العرب - للمهدي لدين الله احمد بن باهي (توفي سنة ٨٤٠ هـ) تحقيق: محمد عبد العزيز علي مكى، ط ١، المصورة (مصر) ١٤١٧ - ١٩٩٧، في ٣٦٧ ص

• من تحقيق: سكرية الشهابي صدر المجلدات ٣٥ - ٣٦ من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر علي بن الحسن المتوفى عام (٥٧١ هـ) عن مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٤١٨ - ١٩٩٧، في مجلد واحد عداد صفحاته ٧٩٦ ص وهو مما ينشر لأول مرة.

ولراسة وتحقيق : سعد محمد وعبد الجابر صدرت طبعته الاولى  
عن دار البشير للنشر والتوزيع في ( عمان والاربن ) عام ١٤١٥ -  
١٩٩٥ في ١٤٩ ص

• عن أكاديمية المملكة المغربية في الرباط صدر كتاب رحلة ابن  
بطوطة المعروفة باسم ( تحفة النظار في غرائب الامصار  
وعجائب الاسفار بتحقيق : عبد الهادي التازي في خمسة اجزاء  
عام ١٤١٧ - ١٩٩٧

• الرعاية لحقوق الله للمحاسبي المتصوف الحارث بن اسد  
المتوفى سنة ( ٢٤٣ هـ ) صدر عن دار اليقين للنشر والتوزيع  
في المنصورة ( مصر ) عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ٦٩٨ ص  
• صدر كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد - لابن قيم الجوزية  
محمد بن ابي بكر الزرعي المتوفى سنة ( ٧٥١ هـ ) بتحقيق :  
حمزة الدشتي وعبد الحفيظ فرغلي عن مؤسسة الاهرام في  
القاهرة عام ١٤١٨ - ١٩٩٨

• عن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع في دمشق صدرت الطبعة  
الاولى من سير اعلام النبلاء للذهبي محمد بن احمد المتوفى عام  
( ٧٤٨ هـ ) تحقيق : محب الدين عمر بن غرامة العمري عام  
١٤١٧ - ١٩٩٧ في ( ١٧ ) جزءاً

• شرح لامية العرب - للخطيب التبريزي المتوفى عام  
( ٥٠٢ هـ ) دراسة : محمود محمد المامودي نشرت في مجلة  
معهد المخطوطات العربية في القاهرة الجزء الاول ، المجلد  
الحادي والاربعون ( ١٤١٨ - ١٩٩٧ ) ١٣٥ - ١٨٤

• عن وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق صدر كتاب شعر ابن  
الهارية ابي يعلى محمد بن محمد بن صالح ( ١٤١٤ -  
٥٠٩ هـ ) من جمع وتحقيق : محمد مازن سكزي طرابلسي عام  
١٤١٧ - ١٩٩٧ وضع الكتاب في ٢٢٢ ص

• عن دار الفيلس الثقافية في الرياض صدر كتاب شعر مزينة في  
الاسلام جمع وتحقيق ، عبد المجيد الاسداوي عام ١٤١٨ -  
١٩٩٨

• انجز الدكتور خلف رشيد نعمان تحقيق كتاب • الموضح • في  
شرح شعر ابي الطيب المتنبي ، للشيع علي بن يحيى التبريزي  
المتوفى سنة ٥٠٢ هـ المؤلف من خمسة اجزاء - بعد التحقيق -  
وسوف تقوم دار الشؤون الثقافية - مشكورة - بنشر اجزائه تباعاً .

• صخر بن عمرو السلمى - حياته وشعره - جمع وتحقيق : عباس  
هاني الجراح نشر في مجلة العرب في الرياض الجزء ١ - ٢ سنة  
٢٣ ( ١٤١٨ - ١٩٩٧ ) ٨٥ - ٩٩

• في جملة منشورات دار ركاوي للنشر في القاهرة صدر كتاب  
طبيب من لا طبيب له او من لا يحضره الطبيب - للرازي الطبيب  
محمد بن زكريا المتوفى سنة ( ٢٢٠ هـ ) شرح وتحقيق : محمد  
ركابي الرشيدي عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ١٧٥ ص

• عبد الله بن ايوب التميمي ( ٢٠٩ هـ ) حياته وشعره - جمع  
وتحقيق ودراسة : رشدي علي حسن نشر في مجلة مجمع اللغة

العربية الاوربي ( عمان ) المجلد ٥٥ ، السنة الثانية والعشرون  
( ١٤١٨ - ١٤١٩ / ١٩٩٨ ) ١٦٩ - ٢١٣

• عن مطبعة مديولي في القاهرة صدرت طبعة جديدة من عجائب  
الانار في التراجم والاخبار للمحقري عبد الرحمن بن حسين  
( ١٨٢٢ م ) بتحقيق : عبد العزيز جمال الدين ، عام  
١٤١٨ - ١٩٩٨ في اربعة مجلدات .

بتحقيق : محمد احمد الدالي نشر كتاب : المجالة في  
تفسير لفظ الجلالة - للخجلدي احمد بن محمود بن عمر ( ت نحو  
٧٠٠ هـ ) في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق الجزء  
الثاني ، المجلد الثاني والسبعون ( ١٤١٧ - ١٩٩٧ ) ٢٣٧ -  
٢٦٦

• عقبة بن المضر وبنيه : اخبارهم واشعارهم - عبد الحميد  
محمد عبد المجيد الاسداوي نشر في مجلة العرب في الرياض  
الجزء ٩ - ١٠ ، السنة ٢٣ ( ١٤١٩ - ١٩٩٨ ) ٦٥٥ -  
٦٧٠

• الميال لزين ابي الدنيا عبد الله بن محمد المتوفى عام  
( ٢٨١ هـ ) صدر بتحقيق وتقديم وتعليق نجم عبد الرحمن خلف  
عن دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع في المنصورة ( مصر )  
عام ١٤١٧ - ١٩٩٧ في ٤٦١ ص

• من منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المغرب صدر  
كتاب النصوص لابي العلاء ساعد بن الحسن الربيعي البغدادي  
المتوفى عام ( ٤١٧ هـ ) تحقيق عبد الوهاب التازي سمود  
( ١٤١٣ - ١٤١٦ / ١٩٩٣ - ١٩٩٦ ) في ٦١ جزءاً

واشتمل الجزء السادس على الفهارس الفنية الشاملة للكتاب .  
• فضائل الاعمال للضياء المقدسي محمد بن عبد الواحد  
المتوفى عام ( ٦٤٣ هـ ) صدر بتحقيق : مصطفى ابو سليمان  
الدوي عن دار الكلمة للنشر والتوزيع في المنصورة ( مصر ) عام  
١٤١٧ - ١٩٩٧ ، في ٢٤٣ ص

• فهارس كتاب غريب الحديث - لابي عبيد القاسم بن سلام  
الهروي المتوفى عام ( ٢٢٤ هـ ) اعده : اسامة محمد ابو  
العباس وثروت عبد المصعب ، وقدم له : اعلى عشرين زايد صدر عن  
مكتبة ومطبعة القد في القاهرة عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ٤١٦  
ص والكتاب فهرسه تحليله لطبعة مجمع اللغة العربية في  
القاهرة ومقابلتها بطبعة صدر أبلا في الهند

• صدر في القاهرة كتاب فهارس معجم المين للخليل بن احمد  
الفراهيدي المتوفى عام ( ١٧٠ هـ ) اعداد البسيولي  
عبد العظيم البسيولي عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ واشتمل على  
فهرس المواد اللغوية . - وقد سبق لمجلة ( المورد ) ان نشرت  
« كشاف المواد اللغوية في معجم المين » اعداد الأستاذ  
عبد العزيز ابراهيم في المجلد الثاني ، ( ص ١٦٥ - ٢٠٠ )  
المجلد الثامن عشر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

• من منشورات معهد المخطوطات العربية في القاهرة وطبع دار

المين للطباعة والنشر والتوزيع صدر كتاب: الفهارس المفصلة (م. ناصر ابن جني) صبعة : عبد الفتاح السيد سليم ، عام ١٤١٧ - ١٩٩٧ ، في ٤٣٢ ص

١٠ فهرس النشر في النظام الفريب في اللغة . للرمي صبعة : عبد الفتاح السيد سليم . مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة العدد الأول الصادر الدادي والريمون ( ١٤١٨ - ١٩٩٧ ) ٥٢٠٧

١١ من عهد المخطوطات العربية في القاهرة صدر كتاب فهرس المخطوطات المصورة من اعداد : عصام محمد الشنطي ، عام ١٤١٧ - ١٩٩٧

١٢ قواعد التصوفية - لشمسي محمد بن احمد الواسطي المتوفى سنة ( ٨٤٩ هـ ) دراسة وتحقيق وتعليق : عادل محمد علي صدر من مكتبة النهضة العربية في القاهرة عام ١٤١٧ - ١٩٩٧ في ٢٢٧ ص

١٣ باوريل الينا من شعر ابن الشبل البغدادي ( ابي علي محمد بن الحسين ٤٠١ - ٤٧٣ هـ ) جمعه وحققه : حلمي عبد الفتاح الكيلاني نشر في مجلة مجمع اللغة العربية الاردني في عمان العدد الرابع والخمسون السنة الثانية والمشرعون ( ١٤١٨ - ١٩٩٨ ) ٥٧ - ١٥٨

١٤ عن عهد المخطوطات العربية في القاهرة صدر المحكم والفحيط الاعظم لابن سيدة علي بن اسماعيل المتوفى سنة ( ٤٥٨ هـ ) المجلد الثامن منه بتحقيق : يحيى الخشاب وشاركه في تحقيقه وزاجمه : عبد الوهاب سيد عوض الله خليل يحيى نامي عام ١٤١٦ - ١٩٩٦ في ٤٥٥ ص وصدر المجلد التاسع منه ايضاً عن المعهد نفسه بتحقيق : مصطفى حجازي وخايل يحيى نامي عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ في ٢٣٩ ص

١٥ صدر المجلد العاشر منه ايضاً عن المعهد نفسه بتحقيق : مصطفى حجازي ، عام ١٤١٨ - ١٩٩٧ في ٢٤٦ ص

١٦ صدر عن مكتبة الاداب في القاهرة كتاب مختار الصحاح للرازي محمد بن ابي بكر المتوفى بعد سنة ( ٦٦٦ هـ ) حققه وخرج احاديثه : يحيى خالد توفيق قدم له : عبد الوهاب عبد الوهاب فايد ، عام ١٤١٨ - ١٩٩٨ ، في ٣٠١ ص

١٧ مرة بن محكان السعدي .. حياته وشعره - جمع وتحقيق : عباس هاني الجراخ مجلة العرب في الرياض الجزء ٥ - ٦ السنة الثالثة والثلاثون ( ١٤١٨ - ١٩٩٨ ) ٢٠٠ - ٢١٥

١٨ عن مكتبة التوبة في الرياض صدر كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن - لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ( ٢٢٤ هـ ) بتحقيق : محمد بن صالح المديفر ، عام ١٤١٧ - ١٩٩٧

١٩ يحيى بن نوفل اخباره وأشعاره - جمع وتحقيق : عبد المجيد الاسداوي مجلة العرب الصادرة في الرياض الجزء ٣ - ٤ السنة الثانية والثلاثون ( ١٤١٧ - ١٩٩٧ ) ١٧٤ - ١٩١

٢٠ أنجز الدكتور محمد عبد المطلب البكاء ، تحقيق ودراسة « ماغات كتاب سيويو من أبنية كلام العرب » وهو أحد الابواب التي ضمها كتاب شرح سيويو لابي سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ الذي يعد من أجل شروح الكتاب بشهادة معاصريه

٢١ أنهى د . محمد عبد المطلب البكاء بالاشتراك مع د . هادي نهر تحقيق ودراسة مخطوطة : « مختصر شرح أمثلة سيويو » لابي منصور موهوب الجواليقي المتوفى ٤٦٥ هـ ، عن نسخة فريدة مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقم ( ٢٢ ) نحو ، وعدد أوراقها ( ٦٠ ) ورقة نقلها عن خط المؤلف أحد تلاميذه . وهذه النسخة مصورة على ( ميكروفيلم ) عن نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة رقم ( ٥٥ ) نحو - والمخطوطة هي مختصر لشرح أمثلة كتاب سيويو لابي الفتح محمد بن عيسى بن عثمان المطار التحوي الذي أخذ عن أبي سعيد السيرافي ، كما ذكر السيوطي في البقية ١ / ٢٠٦ .

لمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاة الفيلسوف العربي الكبير ابن رشد ، أصدر مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة باسم « سلسلة التراث الفلسفي العربي / مؤلفات ابن رشد » ، يشرف عليها الدكتور محمد عابد الجابري .

٢٢ ضمن هذه السلسلة صدر كتاب : « ابن رشد : سيرة وفكر - دراسة ونصوص » مؤلف الكتاب هو الدكتور الجابري نفسه . وقد قصد منه التعريف بالرشدية فكراً وسلوكاً لتكون حافزاً للمتقنين الشباب : « بغية استيعاب التراث وتمثل الفكر المعاصر والتشبع بالروح النقدية والفضيلة العلمية والخلقية . » الكتاب يتألف من ٢٤٢ صفحة .

٢٣ ضمن السلسلة نفسها صدر كتاب « الضروري في السياسة . مختصر كتاب السياسة لإفلاطون » نقل الكتاب الى العربية الدكتور أحمد شعلان ، وقدم له الدكتور محمد عابد الجابري بمدخل ومقدمة تحليلية وشرح . يقع الكتاب في ( ٢٠٤ ) صفحات ، واتسم الكتاب بأنه « يشبه المختصر من وجهة الكتاب حنف التطويل ، والمختصر من جهة التتميم والتكميل » . وقد كشف وجهاً جديداً من أوجه عقلانية ابن رشد وأفته الاصلاحية . وما انفصل به عن افلاطون ليقرر إمكانية إيجاد المدينة الفاضلة على هذه الارض بما يتلاءم مع الحضارة العربية الإسلامية والواقع الاندلسي بصفة خاصة .

٢٤ من تحرير د . سلمى الخضراء الجيوسي أصدر مركز دراسات الوحدة العربية كتاباً تحت عنوان « الحضارة العربية الإسلامية في الاندلس » صدر الكتاب بجزئين ، تناول الأول منهما : « التاريخ السياسي ، والاقتيات ، والمدن الاندلسية ، واللغة والشعر والادب ، والموسيقى » . أما الجزء الثاني فقد غني به الفن ، والمعمارة ، والتاريخ الاجتماعي ، والتاريخ الاقتصادي والفلسفة ، والدراسات الدينية ، والعلم والتكنولوجيا والزراعة .

\*



## \* قسيمة الاشتراك

يكتب اليها بعض الباحثين والدارسين والقراء ، انه لا يستطيع الحصول على نسخته من [ المورد ] ولا سيما محاضرات القطر ، واقطار وطننا العربي ، ومراكز البحوث والدراسات في دول العالم ... ومع علمنا ان النسخ المطبوعة من مجلتنا نسخ محدودة إلا أننا نود ان نطمئن الجميع ، أفراداً ومؤسسات أننا فتحنا قسماً للمشاركة يعمل على ايصال المجلة الى المشاركين كافة ، داخل القطر وخارجه ، وسيضمن هذا القسم ايصال ( المورد ) بالبريد المضمون الى المشاركين لقاء اجور زهيدة خدمة لهدف المورد الاساسي في ايصال بحوثها ودراساتها ونصوصها المحققة الى مختلف المعدين والمهتمين بترائنا العربي والاسلامي الخالد . فبرغم كل معاناة الحصار وثقل وطاته ، تحرص المورد على تحقيق التواصل بينها وبين قرائها الكرام خدمة لهدف المورد وضمان ديمومته .

مجلة المورد / قسم الاشتراكات  
دار الشؤون الثقافية العامة  
ص . ب ٤٠٣٢ الاعظمية - بغداد  
جمهورية العراق

## \* قسيمة اشتراك

يرجى اعتماد اشتراكي في مجلة المورد ، لمدة :  
( ) نسخة .  
ارفق طية قيمة الاشتراك بشيك رقم ..... في .....

رجاء الاشعار بالاستلام

..... الاسم :  
..... المهنة / الوظيفة :  
..... العنوان :  
.....  
.....  
.....  
.....  
.....  
.....

/ التوقيع

/ التاريخ